الإيمان بالملائكة

عليهم السلام

صفاتهم ، أصنافهم ، وظائفهم ، مواقفهم

بقلم

عبد الله سراج الدين

الطبعة الأولى

١٣٩١ هـ ـ ١٩٧٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد إمام الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين إلى يوم الدين .

وبعد ، فان عالم الملائكة هو أمرٌ حقٌ ، يجب الاعتقاد بوجودهم والايمان بصفاتهم ، فقد جاء ذكرهم في مناسبات متعددة من كتاب الله تعالى وأحاديث رسول الله ﷺ ، وجميع تلك النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تدلُ دلالة قاطعة على حقيَّة وجود الملائكة ، بمعنى أنهم ذواتٌ موجودة . متصفة بصفات حميدة ، وأعمال رشيدة ، وأقوال سديدة ، كما سنفصل ذلك إن شاء الله تعالى .

وإن الملائكة عليهم السلام ليسوا ضرباً من الأوهام ، ولا نوعاً من تخيُّلات الأحلام . كما أنهم ليسوا عقولاً مجردة ، ولا من معاني النفوس البشرية السعيدة المسعِدة ، وإنما هم عالم حقيقيُ الوجود ، غيبيٌ عن العيان المشهود ، أكرمهم الله تعالى وشرَّفهم بالنفسيَّات الطاهرة الزكيَّة ، والصفات القدسيَّة ، فهم كرام بَرَرة ، أنقياء طَهَرة ، يتقلَّبون في أعمال الصلاح والخير ، وينفرون من الفساد والشرّ ، عصمهم الله تعالى بعصمته ، ووجَّههم نحو عبادته وطاعته ؛ يسبحون الليل والنهار

لايفترون ، ولا يعصون ما أمرهم الله تعالى ويفعلون مايؤمرون .

وقد كلّف الله تعالى عباده أن يؤمنوا بهم فذكرهم سبحانه في جملة العقائد الإيمانية التي لقّنها سبحانه لعباده بقوله : ﴿ آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله .... ﴾ الآية .

وذلك بعد أن عرّف سبحانه عباده في كثير من الآيات القرآنية بأوصاف الملائكة وأصنافهم ، وأعمالهم ووظائفهم المرتبطة بالأكوان عامة ، وبالانسان خاصة ، كما يتضح ذلك جلياً في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

فلم يكن وجوب الإيمان بالملائكة ، من باب إلزام الإيمان بما لايلزم ، أو التعزيف بعالم لاصلة للانسان به ولا ارتباط له معه ولا فائدة له بالاطلاع والتعرف عليه ! كلاً ثم كلاً .. بل إن في الإيمان بالملائكة عليهم السلام والتعرفِ على أوصافهم ووظائفهم وأعمالهم ووجوه ارتباطهم بالأكوان والانسان ، ووجوه تدابيرهم وتصرفاتهم في ذلك كما هو مقتضى مشيئة الله تعالى وحكمته وإذنه لهم في ذلك وأمره لهم بذلك ـ إن في ذلك لوجوهاً من الحِكم والعبر ، لذوي العقول والنظر . نذكر أطرافاً منها موجزة :

أولاً - أن يعلم الانسان سعة علم الله تعالى وعظيم قدرته وبديع حكمته ، وذلك أنه سبحانه خلق ملائكة كراماً لايحصيهم الانسان كثرة ولا يبلغهم قوة ، أعطاهم الله تعالى قوة التشكل بأشكال مختلفة حسبما تقتضيه مناسبات الحالات .

ولا ينبغي للعاقل أن يرتاب في ذلك بعد ما ثبت في الكتاب والسنة ، واستسلم له العقل الصحيح وأقرّ بإمكانه ووقوعه ، إذ لايستطيع العقل أن يحيل ذلك أو يبطل إمكان وقوعه مهما حاول إلى ذلك سبيلاً .

وأما قول من ينكر ماوراء المادة : كيف يثبت وجود شيء دون أن تراه العين أو تسمعه الأذن أو تحسه اليد ؟ فهذا قول مردود ، لأن إثبات وجود الموجود لايتوقف على الوجدان ولا على رؤية العيان ، فان كثيراً من الكائنات هي قطعية الوجود دون أن تكون في الشهود ، ولكن ثبت وجودها بآثارها الدالة عليها . فهذه الأرواح المدبِّرة للأشباح ، وهذه العقول المدبرة للأجسام بإحكام ونظام ، وهذا الهواء الذي ملأ الفراغ والفضاء ، هي كائنات موجودات قطعاً مع أنها لاترى بالعيان .

ولكن آثار الروح في حياة الجسم وحركته دليل وجودها وقبل

أن تنفخ فيه وبعد أن تنزع منه لاحياة في الجسم ولا حراك له. وإن إحكام كلام العاقل وحسن تصرفه في أفعاله دليل وجود عقله . وإن خلط كلام المجانين وسوء تصرفاتهم في أمورهم دليل فقدان عقولهم . وإن شعور الانسان بعوارض الهواء من الحر والقرّ وتحرك الأشجار وإثارة الغبار وتموج البحار وما يحمله الهواء من كائنات دقيقة صغيرة الحجم بحيث لاترى إلا بالمكبرات ، كل ذلك يدل على أن الهواء موجود قطعاً وإن كانت العين لاترى ذات الهواء للطافته وإنما ترى آثاره وتشعر بعوارضه .

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيراً ﴾ وهذه الجنود هي ملائكة الله تعالى التي نزلت يوم الأحزاب ، فزلزلت قلوب المشركين وأرتهم ألوان الأفاعيل، وأنزلت فيهم المخاوف والتهاويل حتى انهزموا وولوا مدبرين في ظلمة الليل البهيم .

وقال تعالى في يوم حنين : ﴿وأنزل جنوداً لم تروها ، وعذّب الذين كفروا ، وذلك جزاء الكافرين﴾ فبين سبحانه أنه أنزل ملائكة لم تر العين ذاتهم ، ولكن رأت آثارهم وأفعالهم وتنكيلهم بأعداء الله تعالى وتشتيتهم وتعذيبهم وتشريدهم .

ثانياً : أن يعلم الانسان أن الله تعالى خلق ملائكة أنقياء أقوياء، أذن لهم في تدابير المكوّنات بأمره تعالى إظهاراً لسلطان ربوبيته وعظمة ملكه ، وأنه الملك المليك الذي تصدر عنه الأوامر العلوية ، وأن الملائكة الكرام يتلقونها وينفذون أحكامها ومقتضياتها ، ويدبرون الأمور وَفق مارسم ، كما قال تعالى : ﴿ فالمدبِّرات أمراً ﴾ ويقسمونها وفق ماحكم ، فهو سبحانه له التدبير المطلق قال تعالى ﴿أمّن يدبر الأمر ، فسيقولون الله﴾ وله سبحانه الأمر المطلق قال تعالى : ﴿ ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾ . فمن الملائكة عليهم السلام مَنْ هم موكّلون بتطوير النطفة في الأرحام وتصويرها ثم نفخ الروح في الجنين ، وكتابة أعماله التي سيعملها حتى موته ، ومنهم الكرام الكاتبون . يكتبون على المكلّف أعماله الصادرة عنه وأقواله ، ليجزى بها يوم القيامة ، ومنهم المعقبات الحفظة ، يحفظونه من أمر الله تعالى بذلك ، ومنهم القرناء بابن آدم يدلّونه على الخير ويحذّرونه من الشر ، ومنهم الموكلون بحضور مجالس الصلوات لله تعالى ، ومنهم الموكلون بحضور مجالس القرآن الكريم وأنواع الذكر والعبادات ، ومنهم الموكلون بحضور مجالس الصلوات على النبي ﷺ وتبليغها له ﷺ مع التسليمات ، ومنهم المؤمِّنون على الدعوات ، ومنهم الداعون لابن آدم ، ومنهم المستغفرون له ، ومنهم الرافعون أعماله الصالحة وأقواله الطيبة إلى رب العزة ،

ومنهم ملائكة الهمم واللمم ، ومنهم ومنهم ... إلى سائر ماهنالك من أصناف الملائكة عليهم السلام وأنواع ارتباطاتهم ومواقفهم من الانسان وبقية الأكوان ، كما ثبت ذلك كله في الكتاب والسنة ، وسنفصله في مواضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

ومن هنا يعلم الانسان ماذا يجب عليه تجاه مواقف الملائكة معه ومناط وظائفهم المتعلقة به ، فيرعاها حقها ويعمل بمقتضاها ومواجبها .

وخذ مثالاً على ذلك أن الانسان إذا علم أن عليه ملكاً رقيباً يراقبه ، عتيداً حاضر العتاد لايتركه ، متلقياً عنه ما يصدر منه ، فعليه أن يحسن الإلقاء والإملاء لهذا الملك المتلقي عنه والمستملي منه الذي يدوّن على الانسان كتابه ويجمعه ، ثم يبسطه له يوم القيامة وينشره ليقرأه ، قال تعالى : ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ .

وهكذا ينبغي للانسان أن يراعي جميع مواقف الملائكة معه المتعلقة بأموره الدينية وأفعاله الاختيارية .

ثالثاً ـ أن يعلم الانسان أن لله تعالى ملائكة كراماً بَرَرة جعلهم سبحانه وسطاء سفرة بينه وبين أنبيائه ورسله صلوات الله عليهم . قال تعالى : ﴿ بأيدي سَفَرة كرام بَرَرة ﴾ ،وقال : ﴿ ينزّل الملائكة بالروح

من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إلهَ إلا أنا فاتقون ﴾ وفي ذلك بيان وإعلان ، وتنويه وتنبيه إلى عظم النبوة والرسالة ، ورفعة منزلة الشرائع الإلهية ، وشرف العلوم الربانية الموحاة إلى الأنبياء والمرسلين ، وأن شرائع الله تعالى مجيدة علياء ، كريمة غرّاء ، لأن الذي شرعها هو العليم الحكيم ، أحكم لهم أحكامها ، ووضع لهم نظامها على وجه يضمن مصالح العباد وسعادتهم ، وعزتهم الانسانية ، وكرامتهم الآدمية ، فانه سبحانه هو أعلم بهم وبما يصلح شأنهم ، إذْ أنشأهم من الأرض وطوّرهم وصوّرهم .

فحقّ للشرائع الإلهية ، العلية القدسية ، وحكمة أحكامها ، وبديع انتظامها أن تتنزّل بها أشراف الملائكة وساداتها ، على أشراف الخليقة الانسانية وساداتها أنبياء الله تعالى ورسله صلوات الله تعالى وسلامه على إمامهم وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم سيدنا محمد صاحب لواء الحمد وراية المجد ، وعليهم أجمعين .

هذا وإن موضوع البحث في الملائكة عليهم السلام هو موضوع واسع جداً ، وقد اقتصرت في هذا الكتاب الذي جاء على عجالة من أمره ، على جمل من القول ، وأطرافٍ من المسائل المهمة المتعلقة بالملائكة عليهم السلام ، لعلّها تفي ببعض المراد من الموضوع ، والله تعالى وليّ التوفيق.

وجوب الإيمان بالملائكة عليهم السلام

قال الله تعالى معلِّماً لعباده مجمل الواجبات الاعتقادية ، وملقّناً لهم جملة الأصول الإيمانية ، ومبيناً لهم ما يجب عليهم تجاه أوامره الشرعية من السمع والطاعة لأنها جاءت وَفْق ما أُعطي العبد من قدرة واستطاعة فقال سبحانه : ﴿ آمن الرسول بما أُنزِل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا وإليك المصير . لايكلف الله نفساً إلا وُسْعها ، لها ما كسبت وعليها مااكتسبت .. ﴾ الآية .

قال المحققون من أهل العلم والمعرفة : إن هذه الآية الكريمة هي فذلكة جامعة لما فُصِل قبلها من العقائد الإيمانية والأعمال التكليفية ، فجاءت هذه الآية مبينةً لما يجب على المكلَّف أن يعرفه ويؤمن به ، وكيف يجب أن يكون موقف المكلف مع أوامر الله تعالى ، وذلك بأن يقف مع العقائد الإيمانية موقف الإيمان الجازم ، دون شك ولا ارتياب ولا تردد ولا اضطراب ، ويقف مع الأوامر العملية موقف السمع والطاعة ، والانقياد لموجبها ، فقال تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أُنزِل إليه من ربه والمؤمنون ﴾ .

والمراد : بما أُنزل إليه ﷺ من الوحي القرآني والوحي النبوي، قال الله تعالى : ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ﴾، والحكمة هي السنَّة النبوية ، وإنما ابتدىء بذكره ﷺ لأنه هو الأوجه والإمام فحقّ له أن يكون هو الوجهَ وله الأمام ، عليه أفضل الصلاة والسلام، ثم يأتي ذكر المؤمنين تابعين له سالكين سبيله ، جعلنا الله منهم .

﴿ كلٌّ آمن بالله ﴾ ومجمل الإيمان بالله تعالى هو : الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى حقٌّ ، وأنه سبحانه متصف بالكمالات المطلقة التي لانهاية لها ، منزَّه عن الآفات والنقائص

ومعنى أن الله تعالى حقٌّ : أي هو واجب الوجود ، لاشكَّ في وجوده ، وكيف يُشك في وجوده سبحانه ومصنوعاتُه موجودة ، وآياته مشهودة ؟! وإلى هذا نبَّه الله تعالى العقلاء فقال : ﴿ أفي الله شك ؟ ﴾ ، أي لاشك في وجوب وجوده ، بدليل أنه : ﴿ فاطرِ السموات والأرض ﴾ يعني أن السموات والأرض وما احتوتا عليه موجودة مشهودة ، ولا قدرة لمخلوق على إيجادها ولا يمكن أن توجد بنفسها بلا موجد لها ، لأنها قبل وجودها معدومة قطعاً ، فمن هو الذي نقلها من العدم إلى الوجود ! فان العدم لاينشأ عنه وجود فلا بدَّ من موجد، قال تعالى : ﴿ أم خُلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ؟! ﴾ يعني أنهم شيء موجود

فكيف يصح أن يوجَدوا لا عن موجِد بل عن عدم ؟! فإن ادَّعوا أنهم خلقوا أنفسهم فذاك باطل حساً ، وباطل عقلاً ، لأنه يلزم منه أنهم قبل إيجادهم لأنفسهم كانت أنفسهم موجودة !! فلا بدَّ وأن لهم موجداً أوجدهم ليس من أنفسهم ، ولا من جنسهم، بل هو الله الخالق لكل شيء وليس كمثله شيء .

ومما يوضح ذلك ويُثبت قطعاً أن الله تعالى هو حقٌّ - بمعنى أنه واجب الوجود - : أن هذه الموجودات الممكنة كانت مسبوقة بالعدم ثم وجدت ، فلا بدَّ لها من موجد يرجح وجودها على عدمها ، فيخرجها من العدم الذي كانت فيه إلى حيّز الوجود الذي صارت فيه ، ولا يمكن أن توجد بنفسها بلا موجد لها ، لأنه يلزم من ذلك ترجُّح وجودها على عدمها الذي كانت فيه بلا مرجح ؛ وهذا باطل لدى جميع الموازين العقلية ، كما أنه يستحيل ترجح إحدى الكفتين المحسوستين بلا مرجح لدى جميع الموازين الحسيَّة المادية ، لأنه إذا كان ثمة كفتا ميزان متساويتان تماماً فانهما تكونان متعادلتين ، ولا يمكن أن ترجح إحداهما على الأخرى إلا بمرجح من المثقلات أو ضغطة هواء ونحو ذلك .

وهكذا الوجود والعدم بالنسبة للممكنات قبل وجودها ، فإنها على حد سواء ، لا يمكن أن يترجَّح وجود الممكن على عدمه إلا

بمرجِّح ، فالذي رجح وجودها على عدمها بإرادته هذا هو الله الخلاق العليم الذي قال :﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾.

﴿كلٌّ آمن بالله وملائكته﴾ ، ومجمل الإيمان بالملائكة هو : الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى خلق عالَماً أسماه بالملائكة ، وهم : أرواحٌ قائمة في أجسام لطيفة نورانية ، قادرةٌ على التمثل بأمثلة مختلفة ، بإذن الله تعالى . كما سنوضح ذلك إن شاء الله تعالى .

﴿كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه﴾ ومجمل الإيمان بكتب الله تعالى هو : الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى أنزل على رسله عليهم صلوات الله تعالى ، كتباً مشتملة على هدي العباد ، وبيان ما فيه صلاح دنياهم وآخرتهم ، وما لهم وما عليهم من الحقوق والواجبات ، كما أن فيها بيان سبل السعادة والرشاد إلى ما فيه خير البلاد والعباد . وإنزالُ هذه الكتب الإلهية بتلك الحكم البالغة والحجج الدامغة والبراهين الساطعة اللامعة ، ذلك مقتضى حكمة رب العالمين ، وأنه الملك الحق المبين . يتعهَّد عباده بالإسعاد والإرشاد ، ويُحسن تربيتهم بإنزال التعاليم الإلهية والأنظمة الشرعية والتوجيهات الأدبية الخلقيَّة ، ليفوزوا بالسعادات الأبدية .

قال تعالى : ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا تُرجعون؟! فتعالى الله الملك الحق﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿كتاب أنزلناه إليك

لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ ، فمن أنكر كتب الله تعالى وكذب بها فما عرف الله العليم الحكيم ، ولا عرف قدر رب العالمين . قال تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدْره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء .. ﴾ الآية ،نزلت فيمن أنكر نزول الكتب الإلهية وما حوت من السعادات البشرية .

هذا ، وإن الإيمان بكتب الله تعالى المذكورة في الآية يشمل أيضاً الإيمان بكتب الله تعالى القضائية القدرية ، وهي الكتب التي سطرت فيها جميع الحادثات الكونية والقضايا الخَلْقية . قال تعالى : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير ﴾ ، ويشير إلى هذا قوله تعالى في الإخبار عن السيدة مريم : ﴿ وصدَّقَت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ﴾ .

وبهذا تكون هذه الآية الكريمة ، وهي قوله تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه .... ﴾ الآية ، قد اشتملت على العقائد الإيمانية الستة المذكورة في حديث جبريل عليه السلام ، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره . فالايمان بالقدر داخل في الايمان بكتب الله القضائية . والايمان باليوم

الآخر داخل في قوله تعالى : ﴿ غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ .

﴿ كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴾ ومجمل الايمان بالرسل صلوات الله تعالى وسلامه على نبينا وعليهم هو : الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى بعث في كلّ أمة رسولاً يدلهم على كل خير في عاجل أمرهم وآجله ، وفي دنياهم وآخرتهم ويحذرهم من كل شر في عاجل أمرهم وآجله ، وفي دنياهم وآخرتهم ، كما ثبت في صحيح مسلم وغيره عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلاً فمنا مَن يصلح خباءه ومنا مَن ينتضل ومنا من هو في جَشَره ـ المواشي ونحوها ـ إذ نادى منادي رسول الله ﷺ « الصلاة جامعة » فاجتمعنا إليه ﷺ فقال : « إنه لم يكن نبيّ قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أُمته على خير مايعلمه لهم ، وينذرهم شر مايعلمه لهم ، وإن أُمتكم هذه جعلت عافيتها في أولها ، وسيصيب آخرها بلاء شديد وأُمور تنكرونها ، فتجيء فتنة فيرقِّق بعضها بعضاً ، فيقول المؤمن هذه مُهلكتي ، ثم تنكشف ، ثم تجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه . فمن أَحبَّ أن يُزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر وليأتِ إلى الناس ما يحب أن يُؤتى إليه » .

وأما تفاصيل الإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله فكلٌ منها يحتاج إلى كتاب خاص .

وكما أن الله تعالى لقّن عباده جوامع عقائدهم الايمانية ، وأجملها لهم في آخر سورة البقرة ، كذلك لقّنهم سبحانه إياها عن طريق الوحي النبوي إلى سيدنا محمد ﷺ ، فأرسل الله سبحانه جبريل عليه السلام متمثلاً بصورة أعرابي يسأل الرسول ﷺ عن جامع أمور الدين وكليّاتها : الاسلام المتعلق بالأمور الظاهرة ، والايمان المتعلق بالعقائد القلبيـة ، والاحسان المتعلق بالأحكام القلبية ، وقضايا الساعة وأشراطها ، ليكونوا على بينة من أمرها ويأخذوا حذرهم منها ، لأنها سوف تدرك هذه الأمة ـ فما أحوج هذه الأمة إلى معرفة أمارات الساعة وأشراطها !.

روى مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لايُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه ـ أي فخذي نفسه ، وجلس على هيئة المتعلم المتأدب . أو : على فخذي النبي ﷺ كما في رواية للنسائي : أن النبي

ﷺ كان يجلس بين ظهرا نَيْ أصحابه ، فيجيء الغريب فلا يدري أيُّهم هو ﷺ حتى يسأل ، فطلبنا إلى رسول الله ﷺ أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه ، فبنينا له دكاناً - أي مرتفعاً - من طين فكان يجلس عليه . وإنا لجلوس ورسول الله ﷺ في مجلسه ، إذ أقبل رجل أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً كأن ثيابه لم يمسَّها دَنَس ، حتى سلم في طرف البساط فقال : السلام عليك يامحمد ، فرد عليه النبي ﷺ السلام . فقال : أَدنو يامحمد ؟ فقال ﷺ : ادنُهْ . فما زال يقول : أَدنو يامحمد ؟ مراراً ، ويقول له ﷺ ادنه ، حتى وضع يديه على ركبتي النبي ﷺ - فقال : يامحمد أخبرني عن الاسلام ، فقال رسول الله ﷺ : « الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » ، فقال - أي جبريل - صدقتَ . فقال عمر : فعجبنا له يسأله ويصدِّقه - يعني أن أمر هذا السائل عجيب ، فإن سؤاله يدل على عدم علمه بما يسأل عنه ، وقوله « صدقتَ » يدل على أن له سابقة علم بما يسأل عنه - قال : فأخبرني عن الايمان ، فقال ﷺ : « الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » ، قال : صدقتَ . قال فأخبرني عن الإحسان ، فقال ﷺ « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه

يراك » ـ وفي رواية : « أن تخشى الله كأنك تراه . . » ـ قال : فأخبرني عن الساعة ، فقال ﷺ : « ماالمسئول عنها بأعلمَ من السائل ». قال فأخبرني عن أماراتها ـ علاماتها ـ فقال ﷺ : « أن تَلِد الأمَةُ رَبَّتها ، وأن ترى الحُفاة العُراة العالة ـ الفقراء ـ رِعاءَ الشاء يتطاولون في البنيان » .

ثم انطلق ـ أي جبريل ـ قال عمر : فلبثت مَلِياً ـ وقتاً طويلاً ـ ثم قال لي رسول الله ﷺ : « ياعمر أتدري من السائل ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » .

وقد نقل الامام النووي عن القاضي عياض رحمهما الله تعالى أنه قال : إن هذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الايمان ، وأعمال الجوارح ، وإخلاص السرائر ، والتحفظ من آفات الأعمال ، حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعّبة منه . قال : وعلى هذا الحديث وأقسامه الثلاثة ، ألّفنا كتابنا الذي سميناه بـ « المقاصد الحسان فيما يلزم الانسان » . إذ لايشذ شيء من الواجبات والسنن والرغائب والمحظورات والمكروهات عن أقسامه الثلاثة والله أعلم . اهـ .

ـ ولما كان الايمان بالملائكة عليهم السلام ركناً من أركان الايمان

لما تقدم ثبوت ذلك بنص الكتاب في الآية السابقة ، ونصّ السنة في الحديث المتقدم ـ كان إنكار وجود الملائكة عليهم السلام كفراً وضلالاً قال تعالى : ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً ﴾ .

حقيقة الملائكة عليهم السلام(١)

الملائكة عليهم السلام هم : أرواح قائمة في أجسام لطيفة نورانية، قادرة على التمثّل بأمثلة مختلفة بإذن الله تعالى ، لايوصفون بأنوثة ولا ذكورة .

والدليل على أنهم أجسام لطيفة نورانية ماروواه مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « خُلقت الملائكة من نور ، وخُلق الجانُّ من مارجٍ من نار ، وخُلق آدم مما وُصف لكم » .

---

(١) الملائكة جمع ملأك ، على وزن شمائل جمع شمأل ، وهو مقلوب عن مألك ، مشتق من الألوكة وهي الرسالة ، لأن الملائكة عليهم السلام رسل الله تعالى في تبليغ أوامره أو تدبيرها أو تنفيذها أو نحو ذلك ، ثم جرى التخفيف على لفظ مألك فقيل ملك . وهناك توجيهات أخرى في الاشتقاق .

فقد بيّن النبي ﷺ في هذا الحديث أُصول العوالم الثلاثة : الملائكة والجن والانس ، وقدم ذكر الملائكة لأنهم أسبق في الوجود على الجن ، ثم الجن لأنهم خُلقوا قبل الانس . قال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الانسان من صَلْصالٍ من حَمأٍ مسنون . والجانَّ من قبلُ من نار السموم ﴾ .

فالملائكة خلقت من نور ، وأما الجن فقد خُلق أبوهم الأول وهو الجانْ من نار السموم . قال تعالى : ﴿ وخلق الجان من مارج من نار ﴾ أي من نار مخلوطة بهواء ، كما قاله المحققون ، والمعنى أنهم خُلقوا من عنصرين مختلطيْن : النار والهواء .

وأما أبو البشر وهو آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، فانه خلق كما وصفه الله تعالى في مواضع متعددة من الكتاب العزيز حسب المناسبات الحكيمة ، فأخبر سبحانه في موضع أنه خلق من تراب ، قال تعالى : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ﴾ الآية ، إشارة إلى المبدأ الأول ، وفي موضع آخر أخبر أنه خلقه من طين ، قال تعالى : ﴿ وبدأَ خلق الانسان من طين ﴾ إشارة إلى الجمع بين التراب والماء . وأخبر في موضع آخر أنه خلقه من طين لازب ، قال تعالى : ﴿ إنا خلقناهم من طين لازب ﴾ إشارة إلى الطين المستقر على

حالة من الاعتدال ليصلح لقبول التصوير . وأَخبر فى موضع آخر أنه خلقه من صلصال من حمأٍ مسنون ، إشارة إلى يبسه وسماع صلصلة منه ، وأَخبر في موضع آخر أنه خلقه من صلصال كالفخّار ، قال تعالى : ﴿ خلق الانسان من صلصال كالفخار ﴾ . ثم نبّه سبحانه على تكميل هذا الانسان بنفخ الروح فيه ، فقال سبحانه : ﴿ فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ فأمر الملائكة بالسجود له بعد نفخ الروح فيه ، فافهم . ثم نبّه سبحانه على تكميل نفس هذا الانسان بالعلوم والمعارف والآداب ، فقال تعالى : ﴿ وعلّم آدم الأسماء كلّها ﴾ الآية .

قال الشيخ الأكبر محيي الدين رضي الله عنه : وإنما قال ﷺ : « وخُلق آدم مما وُصف لكم » ولم يقل كما قال قبله ـ أي في الملائكة والجن ـ طيّناً للاختصار ، لأنه ﷺ أُوتي جوامع الكلم ، وهذا منها ، إذ الملائكة لم يختلف أصل خلقها ولا الجانّ ، وأما الانسان فاختلف خلقه على أربعة أنواع ، فخلق آدم لايشبه خلق حوّاء ، وخلق حواء لايشبه خلق آدم ، وخلق عيسى لايشبه خلق الكل ـ أي لايشبه خلق آدم ولا حواء ولا خلق ذريتهما ـ فأحال ﷺ على ما وصل إلينا من تفصيل خلق الانسان . اهـ .

ثم إن الجن والانس تشملهما صفة الذكورة والأنوثة ، ويجري بينهم التناكح والتناسل ، وأما الملائكة عليهم السلام فلا يوصفون بذكورة ولا أنوثة ، فإنهم نوع من خلق الله تعالى وعباد من عباده مغايرون لنوع الانس والجن. قال تعالى رداً على المشركين الذين حكموا على الملائكة بالأنوثة : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً. أشَهِدوا خلقهم ؟! ستكتب شهادتهم ويُسألون ﴾ .

ومن ثَمَّ نصَّ العلماء في كتب العقائد على كفر من قال بأنوثة الملائكة لمعارضة صريح النص القرآني، كما نصُّوا على التَّبديع المفسِّق لمن قال بذكورتهم .

تمثلات الملائكة عليهم السلام

لقد أعطى الله تعالى الملائكة عليهم السلام قوة التشكل بأشكال مختلفة ، حسب المناسبات التي تقتضيها الحالات التي يذهبون فيها بأمر الله تعالى .

قال الله تعالى مخبراً عن مريم عليها السلام : ﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثَّل لها بشراً سوياً ﴾ ، فجاءها جبريل عليه السلام بصورة بشر سويّ الخلق كامل البنية ، يبشرها بغلام زكيّ النفس نامي الخير برّ الوالدة . قيل ان جبريل عليه السلام جاءها على الصورة التي سيخلق عليها عيسى عليه السلام ، لتكون صورة عيسى الخلقية على الصورة المثالية التي جاء بها جبريل عليه السلام .

ومن تمثلات الملائكة حسب المناسبة ، ماذكره الله تعالى عنهم في قوله ﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرَمين . إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما . قال سلام ، قوم مُنكَرون . فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين ، فقرَّبه إليهم قال ألا تأكلون ؟ . فأوجس منهم خِيفةً . قالوا لاتخف ، وبشَّروه بغلام عليم ﴾ .

ورد أن جبريل وميكائيل وإسرافيل - ويروى معهم غيرهم -

جاءوا إلى خليل الرحمن إبراهيم على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ضيوفاً ، في صُور رجال حِسان شبَّان عليهم المهابة والوقار ، فقالوا : سلاماً ـ أي نسلم عليك سلاماً ـ فقال : سلام ـ أي عليكم سلام دائم ـ فحيَّاهم بأحسن من تحيتهم كما أمر الله تعالى بذلك ، لأن تحيته كانت بجملة اسمية دالة على الثبوت والدوام .

وقد اشتملت هذه الآية الكريمة على وجوه الثناء من الله تعالى على خليله إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، ووجوه آداب الضيافة الكريمة .

أولاً : قوله «سلام» بالرفع ، وهم سلَّموا عليه بقولهم «سلاماً» بالنصب . والمرفوع أكمل ، لدلالته على التجدد والثبوت .

ثانياً : قوله « قوم مُنكَرون » فإنهم لما دخلوا عليه ولم يعرفهم لأوَّل وهلة احتشم من مواجهتهم بلفظ ينفِّر الضيف ، فلم يقل أنتم قوم منكرون بل حذف المبتدأ ، وهذا ألطف في الكلام والمواجهة .

ثالثاً : لم يقل إني أنكركم بل قال « قوم منكَرون » ، فكأنه يعرِّض بأن أهل المجلس الذين هم عنده من قبل ، لا يعرفون هؤلاء الداخلين من الضيوف ، وفي هذا التعبير بُعْد عن المواجهة الخشنة ، وهذا مبني على أنه ﷺ لم يعرف في بادىء دخولهم أنهم ملائكة ،

وقال بعض علماء السلف بل قد عرفهم الخليل أنهم ملائكة الله تعالى وإنما عرَّض بمن عنده حيث لم يعرفوهم .

رابعاً : أنه راغ إلى أهله ليجيئهم بنُزُلهم ، والرَّوَغان هو الذهاب في خفاء ، بحيث يكاد أن لا يُدرى به ، وهذا من كرم المضيف وذلك بأن يذهب ليأتي بالضيافة بحيث لايشعر به الضيف فيشقّ عليه ويستحي .

خامساً : ذهب إلى أهله وجاء بالضيافة ، فدلَّ ذلك على أنه عليه السلام كان معدَّ الضيافة للضيفان ومهيئاً لهم ، ولم يحتجْ إلى أن يذهب فيشتري أو يستقرض ويهيىء لهم .

سادساً : قوله تعالى ﴿ فجاء بعجل سمين ﴾ يدل على خدمته عليه السلام للضيف بنفسه ، ولم يقل فأمر لهم ، بل ذهب بنفسه وجاء بالضيافة ، ولم يبعث خادماً ، وهذا أبلغ في الاكرام .

سابعاً : إنه عليه السلام جاء بعجل كامل ولم يأت ببعض منه ، وفي هذا تمام الكرم .

ثامناً : إنه عليه السلام قدم عجلاً سميناً ليس بالهزيل وهو من أنفس الأموال التي تُقتنى ، فآثر به الضيفان .

تاسعاً : إنه قرَّبه إليهم بنفسه ولم يقربهم إليه ، وهذا أبلغ في الاكرام للضيفان .

عاشراً . إنه عليه السلام قال : « ألا تأكلون » وهذا عرض وتلطُّف بالقول ، وهذا أحسن من قوله كلوا ونحو ذلك ، ونظيره قول المضيف : بسم الله . أو ألا تجبرنا ؟ ونحو ذلك من العبارات التي يوجهها المضيف لضيفه تلطفاً به وتكريماً له .

ومن تمثلات الملائكة عليهم السلام ماثبت في الصحاح أن جبريل عليه السلام كان يأتي النبي ﷺ بصورة رجل أعرابي حسن المنظر ، وكثيراً ما كان يتمثل له بصورة دِحْية بن خليفة ، حيث كان جميل الصورة حسن الهيئة .

فمن تمثله عليه السلام بصورة رجل : ماورد في الصحيحين ـ واللفظ للبخاري ـ عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس ـ وهو أشدُّه عليَّ ـ فيَفْصِم عني وقد وعيتُ عنه ماقال ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي مايقول » . قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيته ﷺ ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصَّد

عرقاً . والكلام على الوحي في مثل صلصلة الجرس وبقية أنواع الوحي يأتي في غير هذا الكتاب .

ومن تمثلاته بصورة أعرابي ماورد في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ... الحديث كما تقدم .

فاقتضت الحالة التي جاء فيها أن يتمثل بصورة أعرابي غير معروف، ليراه الصحابة ويسمعوا سؤاله للنبي ﷺ وليسمعوا جواب رسول الله ﷺ له عن أمور دينهم ، ويتعلموها عن طريق السؤال والجواب ، لتنزل في قلوبهم وترتسم في ذاكرتهم .

وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ بصور حسب المناسبة التي اقتضتها تلك الحالة . فجاء يوم بني قريظة بصورة محارب عليه السلاح كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما رجع رسول الله ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل - تنظفاً من آثار السفر - أتاه جبريل عليه السلام فقال : قد وضعتَ السلاح ؟ والله ما وضعناه - أي نحن الملائكة لم نضع السلاح - وعند ابن سعد : ولم تضع السلاح ملائكة الله تعالى ، اخرجْ إليهم . فقال ﷺ : « إلى أين ؟ » فقال وأشار إلى بني قريظة ، فخرج إليهم النبي ﷺ .

وعند الطبراني والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت : سلَّم علينا رجل ونحن في البيت فقام ﷺ فزِعاً ، فقمتُ في أثره ، فإذا بدحية الكلبي ، فقال ﷺ : « هذا جبريل يأمرني أن أذهب إلى بني قريظة » قالت عائشة : فكأني برسول الله ﷺ يمسح الغبار عن وجه جبريل عليه السلام .

وعند البخاري : وهو -أي جبريل- ينفض رأسه من الغبار .

وقال أنس رضي الله عنه - كما في البخاري - : وكأني أنظر إلى الغبار في زقاق بني غنم موكب جبريل حين سار إلى بني قريظة .

وعند ابن سعد : فذهب جبريل ومَن معه من الملائكة حتى سطع الغبار في زقاق بني غنم من الأنصار .

ومن هنا يُعلم أن تمثلات الملائكة عليهم السلام تكون على مقتضى الحالات التي يأتون بها كما أمرهم الله تعالى .

ومن ذلك تمثل الملك بصورة أبرص ثم بصورة أقرع ثم بصورة أعمى ، حيث أرسله الله تعالى يمتحن الذي كان أبرص والذي كان أقرع والذي كان أعمى ، ثم أكرمهم الله تعالى بحسن الحال والصحة والكمال فجاء الملك يختبرهم : أيشكرون نعمة الله تعالى عليهم ويعرفونها ويؤدونها حقها ، أم يكفرون ويجحدون نعمة الله عليهم ؟.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن ثلاثة من بني إسرائيل : أبرص وأقرع وأعمى أراد الله تعالى أن يبتليهم ـ أي يختبرهم ـ فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال له : أيُّ شيء أحب إليك ؟ فقال : لون حسن وجلد حسن قد قَذِرني الناس . قال : فمسحه الملك ، فذهب عنه فأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً . فقال له الملك : وأيُّ المال أحبُّ إليك ؟ فقال : الإبل ، فأعطاه ناقة عُشَراء ، وقال : بارك الله لك فيها .

وأتى ـ الملكُ ـ الأقرع ، فقال : أيُّ شي أحبُّ إليك ؟ فقال: شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قد قذرني النـاس . فمسحه ـ أي الملك ـ فذهب وأُعطي شعراً حسناً . فقال الملك : فأيُّ المال أحبُّ إليك ؟ فقال : البقر ، فأعطاه بقرةً حاملاً ، وقال : بارك الله لك فيها .

وأتى ـ أي الملك ـ الأعمى ، فقال له : أيُّ شيء أحبُّ إليك ؟ قال : يردُّ الله عليَّ بصري فأُبصر به الناس ، قال فمسحه الملك ، فردَّ الله إليه بصره ، قال : فأيُّ المال أحبُّ إليك ؟ قال : الغنم ، فأعطاه شاةً والداً ، فأنتج هذان وولَّد هذا ، فكان لهـذا وادٍ من إبل ، ولهذا وادٍ من بقر ، ولهذا وادٍ من غنم .

ثم إنه ـ أي الملك ـ أتى الأبرص في صورته ـ أي في صورة

الأبرص حين كان أبرص ـ وهيئته ، فقال ـ الملك ـ له : رجل مسكين انقطعت به الحبال ـ أي أسباب الرزق في سفره ـ فلا بلاغ له اليوم إلا بالله ثم بك . أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال أسألك بعيراً أتبلَّغ به ـ أي أتوصل به إلى مرادي ـ في سفري ، فقال له الأبرص : إن الحقوق كثيرة[1] . فقال له ـ الملك ـ كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيراً فأعطاك الله تعالى ؟ فقال الأبرص : إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر ـ أي كبيراً عن كبير في العز والشرف ـ فقال له الملك : إن كنت كاذباً فصيَّرك الله إلى ما كنت .

وأتى الأقرعَ في صورته وهيئته ، فقال له مثل ماقال للأبرص ، فرد عليه الأقرع مثل ماردَّ عليه الأبرص ، فقال له الملك : إن كنتَ كاذباً فصيَّرك الله إلى ما كنتَ .

وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال له : رجل مسكين وابن سبيل ، انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك ،

---

(١) يريد بذلك أن يعتذر عن الاعطاء والاعانة بمعاذير باطلة ، فيقول إن الحقوق عليَّ كثيرة من جانب العيال والأقارب ، ومن هنالك ، وهذا جواب الأشحَّاء إذا طلب منهم العطاء فيعتذرون بأن عليهم مطالبة وهم في ضائقة وشدة ، وكأن الملك يقول لهم اللهم آمين .

أسألك بالذي ردّ عليك بصرك شاةً أتبلَّغ بها في سفري . فقال له الأعمى : قد كنتُ أعمى فردَّ الله تعالى عليَّ بصري وفقيراً فقد أغناني ، فخذ ماشئت فوالله لا أجهدك بشيء أخذته لله - أي لا أشق عليك في ردّ شيء - فقال : أمسك مالك ، فإنما ابتليتم ، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك » .

وهذه التمثلات الملكية هي من باب التظاهر في مثال صوريّ مناسب للحال الذي جاء الملك فيها . وهذا المثال له أحكامه الخاصة ، فلا يلزم من تمثل الملك بصورة بشر أن تناله الأحكام البشرية من الطعام والشراب ونحوهما ، ولذلك لما تمثَّلت الملائكة بصورة الرجال وجاءت إلى الخليل عليه الصلاة والسلام ضيوفاً وقدَّم لهم الطعام لم يتناولوا منه شيئاً .

فهذا النوع من التمثل الملكي هو من أنواع عالم المثال ، كما أوضح ذلك الشيخ الأكبر محيي الدين رضي الله عنه في مواضع متعددة من « الفتوحات » ونحن نذكر هنا كلمات مختصرة عن عالم المثال وأدلة وجوده وبعض أحكامه فنقول :

عالم المثال

لقد ثبت في نصوص الكتاب والسنة أن هنالك عالَماً برزخياً ، تتظاهر فيه الأرواح والمعاني والأعمال والأقوال ، بأمثلة حسية تتناسب معها .

ويسمى هذا العالم عند العارفين والعلماء المحققين « عالم المثال » « وعالم الخيال المنفصل » لأنه غير ماديّ ولأنه جامع لمثال كل شيء .

فمن تمثلات الأرواح الملكية : ما ورد في قوله تعالى : ﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويّاً ﴾ كما تقدم ، وقال تعالى : ﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرَمين ﴾ الآيات ، كما تقدم بيانها قريباً وقوله ﷺ : « وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي مايقول » . فجميع ذلك من باب التمثلات الملكية في الأجسام المثالية .

وحكم هذا الجسم المثالي إذا تمثّلت به الأرواح الملكية أنه يعتريه مايعتري الأجسام العنصرية من العوارض الجسمية ، كالغبار وإصابة الجسم بآفة إذا أصيب بضربة ، غير أنه لا يأكل ولا يشرب .

يدلُّ على ذلك ماورد في الصحيحين واللفظ لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له : أجبْ ربَّك . قال فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها ، قال فرجع الملك إلى الله تعالى فقال : إنك أرسلتني إلى عبد لك لايريد الموت وقد فقأ عيني. قال فردَّ الله إليه عينه وقال: إرجع إلى عبدي ـ أي إلى موسى ـ فقل : الحياةَ تريد ؟ فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور ـ ظهر ثور ـ فما توارت يدك من

شعرةٍ ـ أي ماوارته وسترته يدك من شعرة تحتها ـ فانك تعيش بها سنة . فقال ـ موسى عليه السلام ـ : ثم مَهْ ؟ ـ أي ماذا يكون بعد ذلك ـ قال ـ ملك الموت ـ : ثم تموت . قال ـ موسى ـ : فالآن من قريب ؛ ربِّ أمتني من الأرض المقدسة رميةً بحجر » . أي بالنسبة لموضعه عليه السلام أو بالنسبة لبيت المقدس ، وذلك ليتقرب من بيت الله تعالى المقدس الذي بارك الله تعالى حوله .

ثم قال رسول الله ﷺ : « والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر » .

فهذا الحديث يدل على أن الصورة المثالية تتأثر بما تتأثر به الأجسام العنصرية من صدمة وضربة صائبة ونحو ذلك ، فقد أثَّرت لطمة موسى عليه السلام في الصورة المثالية التي جاءه بها ملك الموت .

وقد يشكل على بعض الناس مافعله موسى بملك الموت عليهما السلام . وقد أُجيب عن ذلك بعدة أجوبة :

منها : أن نبي الله تعالى موسى عليه السلام يعلم بمقتضى نبوته أنه لن يقبض نبيٌّ حتى يخيِّره الله تعالى بين الدنيا والآخرة ، كما ورد في الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح : « لن يقبض نبيٌّ حتى يرى مقعده من الجنة ،

ثم يُحيَّا أو يُخيَّر » فلما نزل به - أي مرض - ورأيتُه على نخذي غُشي عليه ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال : « اللهم في الرفيق الأعلى » قلتُ إذاً لايختارنا . قالت عائشة رضي الله عنها : وعرفتُ أنه الحديث الذي كان يحدثنا به وهو ﷺ صحيح - أي من أنه لن يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخيَّر - فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها : اللهم في الرفيق الأعلى .

فهذا نبي الله موسى عليه السلام لما جاءه ملك الموت ملزماً له بقوله « أجبْ ربك » احتدَّ منه موسى عليه السلام وغضب ، فكان ما كان ، ولكن لما جاء بعد ذلك مخيِّراً تلقاه بالترحيب والتلطيف دون غضبة ولا تعنيف .

ومن الأجوبة أيضاً : أن ملك الموت لما دخل على موسى عليه السلام بيته بصورة رجل ، لم يعلم موسى عليه السلام أنه ملك الموت فصكَّه - كما في رواية البخاري - أي ضربه ، على أنه بشر دخل عليه بيته بدون إذنه ، فضربه تأديباً ففقأ عينه ، لا عن قصد منه لذلك . وهذا من باب ما ورد في الصحيحين - واللفظ للبخاري - عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً اطَّلع من بعض حُجَر النبي ﷺ فقام إليه النبي ﷺ بِمشْقَص - وهو نصل السهم الطويل - قال أنس فكأني

أنظر إليه يختل الرجلَ ليطعنه . وفي رواية سهل بن سعد : قال اطلع رجل من جُحْر في حُجَر النبي ﷺ ومع النبي ﷺ مِدْرى يحكُّ به رأسه ﷺ . فقال ﷺ : « لو أعلم أنك تنظر لطعنتُ به في عينك . إنما جُعل الاستئذان من أجل البصر » .

وأما الحكمة في إرسال ملك الموت إلى موسى عليه السلام بذلك ثم يكون مايكون ففي ذلك وجوه من الحكم ، منها : ماذكره كثير من العلماء والعارفين أن ذلك من باب الاختبار والابتلاء لموسى عليه السلام ، كما اختبر الله تعالى وابتلى خليله إبراهيم عليه السلام بذبح ولده ، ولكن هذا الجواب مجمل يحتاج إلى تفصيل وبيان وجه ارتباط كل صورة من هذا الاختبار والابتلاء بمقام صاحبه المبتلى . ولولا مخافة الاطالة لبسطنا ذلك على الوجه الذي بسطه العارفون ، ولكن فيما ذكرنا كفاية .

ثم إن الجسم المثالي هو كما قلنا لا يأكل ولا يشرب ، لأنه ليس جسماً عنصرياً أو أرضياً . قال تعالى : ﴿ وما جعلناهم جسداً لايأكلون الطعام ، وما كانوا خالدين ﴾ أي : وما جعلنا أجساد الرسل أجساداً مثالية لاتأكل ولا تشرب ، وإنما هم أجساد ترابية تحتاج إلى الأكل والشرب ، ومن ثَمَّ لما جاءت الملائكة عليهم السلام إلى خليل

الرحمن على نبينا وعليه الصلاة والسلام رجالاً ضيوفاً وقدم لهم الطعام لم يتناولوا منه شيئاً .

وأما الدليل على أن الجسم المثالي تعتريه عوارض الغبار والعرق ونحو ذلك فهذا كما ورد في الحديث المتقدم عن عائشة رضي الله عنها أن جبريل عليه السلام لما جاء إلى النبي ﷺ مرجعه من غزوة الخندق وكان بصورة دحية الكلبي فقال ﷺ : « هذا جبريل يأمرني أن أذهب إلى بني قريظة » قالت عائشة رضي الله عنها : فكان رسول الله ﷺ يمسح الغبار عن وجه جبريل عليه السلام .

تمثلات المعاني بصور مثالية

أما تمثلات المعاني بصور مثالية، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه؛ اقرأوا سورة البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فِرْقانِ من طير صوافٍّ تحاجّان عن صاحبهما، اقرأوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البَطَلَة » .

وفي المسند عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ سأله

أيُّ آية في كتاب الله أعظم ؟ قال : الله ورسوله أعلم . فرددها مراراً ثم قال أُبيّ : آية الكرسي ، فقال ﷺ : « ليهنك العلم أبا المنذر . والذي نفسي بيده إن لها لساناً وشفتين تقدّس الملك عند ساق العرش » . وأصل الحديث في مسلم .

وروى الامام أحمد في مسنده عن بريدة قال : كنت جالساً عند النبي ﷺ فسمعته يقول : « تعلّموا سورة البقرة فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطَلة » قال ثم سكت ساعة ثم قال ﷺ : « تعلموا سورة البقرة وآل عمران فانهما الزهراوان يظلاّن صاحبهما يوم القيامة ، كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فِرْقانِ من طير صوافّ ، وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب -أي الضعيف- فيقول:هل تعرفني ؟ فيقول:ماأعرفك فيقول : أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر ، وأسهرتُ ليلك ، وإن كل تاجر من وراء تجارته ، وإنك اليوم من وراء كل تجارة . فيعطى الملك بيمينه ، والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلّتان لا يقوم لهما - أي بقيمتهما - أهل الدنيا ، فيقولان - أي والدا القارىء - : بمَ كُسينا هذا ؟ فيقال بأخذ ولدكما القرآن ، ثم يقال اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها ، فهو في صعود مادام يقرأ هذّاً » أي وما دام يقرأ ترتيلاً .

ومن تمثلات المعاني : تمثل القرابة الرَّحِمية وتعلّقها بعرش الرحمن جلَّ وعلا .

جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بكَ من القطيعة . قال : نعم ، أما ترضَين أن أصِلَ من وصلكِ وأقطع من قطعكِ ؟ قالت بلى ، قال : فذاكِ لكِ . ثم قال رسول الله ﷺ : اقرأوا إن شئتم ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطِّعوا أرحامكم أُولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾ .

ومن عالم المثال ظهور المغيبات التي هي في عالم الغيب في صور المحسوسات في عالم الشهادة . روى الترمذي وأحمد وغيرهما عن عبدالله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان فقال : « أتدرون ما هذان الكتابان ؟ » فقلنا : لا يارسول الله إلاَّ أن تخبرنا ، فقال رسول الله ﷺ للذي في يمينه ـ أي مشيراً للكتاب الذي في يمينه ـ : « هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرهم ، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً . ثم قال ﷺ للذي في شماله : هذا

كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً » فقال أصحاب النبي ﷺ : ففيمَ العمل يارسول الله إن كان الأمر قد فرغ منه ؟ فقال ﷺ : « سدّدوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة ، وإنْ عمل أيَّ عمل - أي وإن عمل أيَّ عملٍ قبل ذلك - وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإنْ عمل أيَّ عمل - أي قبل ذلك - ثم قال رسول الله ﷺ - أي فعل - هكذا ، فنبذهما - أي نبذ الكتابين - ثم قال : « فرغ ربكم من العباد ، فريق في الجنة وفريق في السعير » .

ففي هذا دليل واضح على أن هذين الكتابين ليسا من العالم الشهودي ، إذ لو كانا كذلك لتلقاهما الصحابة حين نبذهما رسول الله ﷺ ولتزاحموا عليهما ، ليتبيَّنوا أمورهم وأمور آبائهم أهم في الجنة أم في النار ، ولكن حين نبذهما رسول الله ﷺ غابا عن الشهود وبقيا في غيبهما . ومما يدل على ذلك أيضاً أن أعظم كتاب في هذا العالم لايتسع لأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وأسماء قبائلهم ، كما أن أعظم كتاب من هذا العالم لايتسع لأسماء أهل النار وأسماء آبائهم وأسماء قبائلهم . قال الشيخ الأكبر محيي الدين رضي الله عنه : ولو أخذ

المخلوق يكتب هذه الأسماء على ماهى عليه من هذين الكتابين ، لما قام بذلك ورق العالم ، فمن هنا تعرف كتابة الله تعالى من كتابة المخلوقين والفرق بينهما . ا هـ .

تمثلات الأعمال

قال الله تعالى : ﴿ يوم تجد كلّ نفس ماعملتْ من خير محضراً ، وما عملت من سوءٍ تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً . ويحذّركم الله نفسه والله رءوف بالعباد ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ووجدوا ماعملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك أحداً ﴾ .

فهو سبحانه يحضر للعباد أعمالهم التي صدرت منهم خيراً أو شراً فيجدونها حاضرة متمثّلةً بصورها : الحسنات بصورٍ حسنة نورانية ، والسيئات بصور سيئةٍ ظلمانية . ولا يسوغ حمل ذلك على أنهم وجدوها مكتوبة في صحفهم لأنه سبحانه قال : ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضراً ﴾ ولم يقل سبحانه : ووجدوا ماعملوا مكتوباً أو مسطوراً ، فان الكتابة عليهم لها حكم آخر وموقف آخر .

فالأعمال لها صور مثالية يراها العباد كلهم في عالم القبر وعالم الحشر والحساب وما وراء ذلك من عوالم الآخرة .

أما تمثل الأعمال في عالم القبر فيدل على ذلك ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الميت إذا وضع في قبره وإنه يسمع قرع نعالهم حين يولون مدبرين فان كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه ، وكان الصيام عن يمينه ، وكانت الزكاة عن شماله ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والمعروف والاحسان إلى الناس عند رجليه . فيؤتى من قبَل رأسه فتقول الصلاة : ماقِبَلي مدخل ، ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام : ما قِبَلي مدخل ، ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة : ما قِبَلي مدخل ، ثم يؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والأمر بالمعروف والاحسان إلى الناس: ماقِبَلي مدخل ... » الحديث . قال المنذري : رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه واللفظ له .

وأما تمثل الأعمال يوم القيامة : ففي المسند عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « تجيء الأعمال يوم القيامة فتجيء الصلاة فتقول يارب أنا الصلاة ، فيقول : إنكِ على خير ، فتجيء الصدقة فتقول يارب أنا الصدقة ، فيقول إنك على خير ، ثم يجيء الصيام فيقول يارب أنا الصيام ، فيقول إنكَ على خير ، ثم تجيء الأعمال ـ أي الحسنة ـ فيقول الله عز وجل إنك على خير ، ثم يجيء

الاسلام ... » الحديث . قال ابن كثير : تفرد به أحمد .

ففي هذا الحديث دليل ظاهر على تمثل الأعمال في عالم القبر وموقف الأعمال الصالحة مع صاحبها موقف المدافع عنه المحافظ عليه .

وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : « والصلاة نور ، والصدقة برهان » وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ ذكر الصلاة فقال : « من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاةً ، وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأُبيّ بن خلف » . رواه الامام أحمد وابن حبان في صحيحه وغيرهما .

وروى الطبراني عن عُبادة بن الصامت مرفوعاً : « إذا حافظ العبد على صلاته فأقام وضوءها وركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت له حفظك الله كما حفظتني ، وصعد بها إلى السماء ولها نور حتى تنتهي إلى الله عز وجل فتشفع لصاحبها » .

فالصلاة تمثل بصورة مثالية نورانية ، ويصعد بها إلى السماء وهناك تشفع بصاحبها عند رب العالمين .

تمثلات الأقوال

جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » . وقال ﷺ : « والحمد لله تملأ الميزان » .

وروى الترمذي وأحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن مما تذكرون من جلال الله التسبيحَ والتحميد والتهليل والتكبير يتعاطفن – أي يجتمعن – حول العرش ، لهنّ دويٌّ كدويّ النحل يذكّرن بصاحبهنّ ، أفلا يحب أحدكم أن يكون له من يذكِّر به عند ربه ! » .

فللتسبيح والتحميد وسائر الأقوال التي يُذكر الله تعالى بها ، لها صور مثالية نورانية تجتمع إلى بعضها حول العرش وتشفع بصاحبها .

ومن ذلك تمثل القرآن يوم القيامة شفيعاً بصاحبه ، كما تقدم في قول النبي ﷺ : « اقرأوا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ... » الحديث .

ومن ذلك وقوف القرآن من الانسان موقف الحجة له أو عليه ،

كما صح عنه ﷺ أنه قال : « والقرآن حجة لك أو عليك » يعني أن قرآن القارىء يأتي يوم القيامة حجة له إن عمل به ، وحجة عليه إن لم يعمل بموجبه .

ويوضح ذلك ماجاء عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « يؤتى برجل يوم القيامة ويمثّل له القرآن قد كان يضيّع فرائضه ، ويتعدّى حدوده ، ويخالف طاعته ويركب معاصيه ، فيقول : أي ربِّ حمّلتَ آياتي بئس حاملٍ : تعدّى حدودي ، وضيّع فرائضي ، وترك طاعتي ، وركب معصيتي فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال : فشأنك به ، فيأخذ بيده فما يفارقه حتى يكبّه على منخره - أي على وجهه - في النار .

« ويؤتى بالرجل قد كان يحفظ حدوده - أي حدود القرآن - ويعمل بفرائضه ويعمل بطاعته ، ويجتنب معصيته ، فيصير خصماً دونه ، فيقول : أي ربِّ حمّلت آياتي خير حامل : اتّقى حدودي ، وعمل بفرائضي واتّبع طاعتي واجتنب معصيتي ، فلا يزال يقذف له بالحجج حتى يقال له : فشأنك به ، فيأخذ بيده فما يزال به حتي يكسوه حلّة

الإستبرق ، ويضع عليه تاج الملك ويسقيه بكأس الملك[١] » .

ومن ذلك تمثل الموت يوم القيامة بصورة كبش ، روى الشيخان والترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي منادٍ : ياأهل الجنة فيَشرئبُّون ـ أي يرفعون رؤوسهم ـ وينظرون فيقول هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم ، هذا الموت وكلهم قد رأوه ، ثم ينادي منادٍ : يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت وكلهم قد رأوه ، فيذبح بين الجنة والنار ـ وفي رواية : فيوقف على السور بين الجنة والنار ، فيضجع ويذبح ـ ثم يقول : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ، ثم قرأ : ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر .. ﴾ الآية .

---

(١) قال في مجمع الزوائد : رواه البزار وفيه ابن إسحاق وهو ثقة ولكنه مدلّس ، وبقية رجاله ثقات . ا هـ . ورواه ابن أبي شيبة وابن الضُّرَيْس ، كما في منتخب الكنز . وذكره الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

تمثلات الأموال

روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: « والصدقة برهان... » الحديث. يعني أن الصدقة تأتي يوم القيامة برهاناً لصاحبها على إسلامه، وتشفع بصاحبها، كما تقدم.

ومن ذلك تمثل المال الذي لا يُزَكَّى. فعن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: « ما من أحدٍ لا يؤدِّي زكاة ماله إلا مُثِّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع - أي حيَّة كبيرة قد حلس شعرها من طول عمرها - حتى يطوَّق به عنقه، ثم قرأ - النبي ﷺ - مصداقه من قوله تعالى ﴿ ولا يَحسبنَّ الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم، بل هو شرٌّ لهم، سيطوَّقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ الآية. قال الحافظ المنذري: رواه ابن ماجه واللفظ له والنسائي باسناد صحيح وابن خزيمة في صحيحه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفِّحتْ له صفائح من نار فأُحميَ عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه، وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين

ألف سنة حتى يقضى بين العباد ، فيُرى سبيلَه إما الى الجنة وإما الى النار .

قيل : يارسول الله فالإبل ؟ فقال ﷺ : « ولا صاحبِ إبلٍ لايؤدّي منها حقها ـ ومن حقها حلبها يوم وردها ـ إلا إذا كان يوم القيامة بُطح لها ـ أي صاحبُها ـ بقاعٍ قَرْقَرٍ[1] أوفى ما كانت ، لايفقد منها فصيلاً واحداً ، تطؤه بأخفافها ، وتعضّه بأفواهها ، كلما مرّ عليه أولاها رُدّ عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين العباد فيُرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار .

قيل : يارسول الله فالبقر ؟ فقال ﷺ : « ولا صاحبْ بقر ولا غنم لايؤدّي منها حقها ، إلا إذا كان يوم القيامة بُطح بقاعٍ قرقر أوفى ما كانت ، لايفقد منها شيئاً ليس منها عقصاء ـ أي ملتوية القرن ـ ولا جلحاء ـ أي لاقرن لها ـ ولا عضباء ـ أي مكسورة القرن ـ فتنطحه بقرنها وتطؤه بأظلافها كلّما مرّ عليه أولاها رُدّ عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين العباد فيُرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار . . » الحديث ، رواه البخاري ومسلم واللفظ له .

---

(١) القاع : المكان المستوي من الأرض ، والقرقر : هو الأملس .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته مُثِّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان ، يُطوِّقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزِمتَيْه - يعني بشدقي مانع الزكاة - ثم يقول : أنا مالك ، أنا كنزك . ثم تلا هذه الآية : ﴿ ولا يحسبنَّ الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شرٌّ لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة ﴾ الآية . رواه البخاري ومسلم .

تمثلات أيام الدنيا يوم القيامة

عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « تحشر الأيام على هيئتها ، وتحشر الجمعة زهراء منيرة ، أهلها يحفّون بها كالعروس تُهدى إلى خِدْرها ، تضيء لهم يمشون في ضوئها ، ألوانهم كالثلج بياضاً ، وريحهم كالمسك يخوضون في جبال الكافور ، ينظر إليهم الثقلان - أي الجن والانس - لايطرفون تعجباً حتى يدخلوا الجنة ، لايخالطهم إلا المؤذنون المحتسِبون »[1] .

وبالجملة فان عالم المثال هو عالم واسع كل السعة تمثل فيه المحسوسات

---

(١) قال الحافظ المنذري في الترغيب : رواه الطبراني وابن خزيمة في صحيحه وقال : إنْ صح الخبر ، فان في النفس من هذا الاسناد شيئاً . قال المنذري : اسناده حسن وفي متنه غرابة ا هـ .

والمعنويات ، والأشباح والأرواح ، على اختلاف مراتبها . فتبارك الله ربُّ العالمين .

عبادة الملائكة عليهم السلام وخشيتهم من الله تعالى

قال الله تعالى : ﴿ وله من في السموات والأرض ، ومن عنده لايستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ـ أي لايتعبون ولا يملّون ـ يسبِّحون الليل والنهار لايفترون ﴾ .

فالملائكة عليهم السلام لايعتريهم تعب عن عبادة الله تعالى ، ولا فتور عن تسبيحه سبحانه ، بل حياتهم هي طاعتهم لله تعالى وعبادتهم له وتسبيحهم وتحميدهم .

قال تعالى : ﴿ فان استكبروا فالذين عند ربك يسبِّحون له في الليل والنهار وهم لايسأمون ﴾ . كما وأنهم يستغفرون لمن أذن الله تعالى أن يستغفروا له من أهل الأرض ، قال تعالى : ﴿ والملائكة يسبِّحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ، ألا إن الله هو الغفور الرحيم ﴾ يعني أنه يجيب استغفار الملائكة لمن في الأرض ، لأنه هو الغفور الرحيم ، وهو سبحانه قد أذن لهم بذلك ، فيجيبهم على ذلك .

روى الترمذي وأحمد وغيرهما عن أبي ذر رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « إني أرى مالا ترون ، وأسمع مالا تسمعون ، أطَّت السماء وحُقّ لها أن تئطّ[1] مافيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك واضع جبهته لله تعالى ساجداً ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، ولما تلذّذتم بالنساء على الفرش ، ولخرجتم إلى الصُعُدات تجأرون إلى الله تعالى »[2]

صلاة الملائكة لله تعالى

قال تعالى : ﴿ والصافّات صفاً ، فالزاجرات زجراً . فالتاليات ذكراً . إنّ إلهكم لواحد ﴾ . أقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة : الصافات للصلاة والعبادة بين يدي رب العالمين ، كما صح عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا تصفّون كما تصف الملائكة عند ربهم ؟ » قلنا : وكيف تصف الملائكة عند ربهم ؟ فقال ﷺ : « يُتمّون الصفوف المتقدمة ويتراصّون في الصف »[3]. وفي رواية: « يكمّلون الصفّ الأوّل ويتراصّون في الصفّ ».

(١) أي ظهر لها صوت من كثرة الملائكة فوقها .

(٢) والمعنى: لخرجتم إلى صُعَدات الأرض ومرتفعاتها تفزعون إلى الله تعالى وتستغيثونه .

(٣) رواه مسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم .

وأما الزاجرات زجراً فهي الملائكة التي تزجر السحاب وغيره لتسوقه حيث أمرها الله تعالى ، وقيل : المراد بالزاجرات الآيات الزاجرات عن المعاصي والمخالفات . نعم الآية تشمل ذلك كله .

وأما التاليات ذكراً فهي الملائكة تتلوا كلام الله تعالى ، كما قال سبحانه : ﴿ كلاَّ إنها تذكرة ، فمن شاءَ ذكره ، في صُحُفٍ مكرَّمةٍ مرفوعةٍ مطهَّرةٍ . بأيدي سَفَرَةٍ كرامٍ بَرَرَةٍ ﴾ . وقال تعالى مخبراً عن الملائكة : ﴿ وإنا لنحن الصافّون وإنا لنحن المسبِّحون ﴾ .

ويبيّن ذلك ما رواه مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « فُضِّلنا على الناس بثلاث : جُعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجُعلت لنا الأرض كلّها مسجداً ، وجُعل لنا ترابها طهوراً إذا لم نجد الماء » .

وروى ابن جرير وغيره أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا أُقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ثم قال : أقيموا صفوفكم ، استووا قياماً ، يريد الله تعالى بكم هديَ الملائكة ، ثم يقول : ﴿ وإنا لنحن الصافّون ﴾ ثم يقول عمر رضي الله عنه : تأخر يافلان ، تقدم يافلان ثم يتقدَّم ـ إماماً ـ فيكبِّر .

فقد فضَّل الله تعالى هذه الأمة المحمدية ، على رسولها أفضل

الصلاة والسلام بأنواع من الفضائل ، ومن ذلك أن تتشبَّه بالملائكة في صلاتهم لربهم ، وأن تقوم في صلاتها مثل قيام الملائكة صفوفاً .

هذا ، وإن الملائكة عليهم السلام مع ماهم فيه من كثرة عبادتهم واستغراقهم في التسبيح والتحميد والتكبير والتمجيد ، هائمين في ذلك مولَعين - مع هذا كله - فانهم إذا كان يوم القيامة قالوا : سبحانك ماعبدناك حقَّ عبادتك - أي أنت أكبر وأجلُّ - لانحصي ثناءً عليك ؛ أنتَ كما أثنيت على نفسك .

وروى الطبراني وغيره عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « مافي السموات السبع موضع قدم ولا شبرٍ ولا كفٍّ إلا وفيه ملك ساجد ، أو ملك راكع ، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً : ماعبدناك حقَّ عبادتك إلا أنا لانشرك بك شيئاً » .

خوف الملائكة عليهم السلام من الله تعالى وخشيتهم منه

قال الله تعالى : ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايُؤمرون﴾ .

فأخبر سبحانه عن الملائكة أنهم يخافون ربهم ، أي لأنه سبحانه ربهم مالك ذواتهم ، وبيده مقاليد أمورهم ، له القوة والغلبة ، والسلطة والهيمنة . روى محمد بن نصر المروزي باسناده عن رجلٍ من أصحاب

النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال «إن لله ملائكةً ترعُد فرائصُهم من خيفته تعالى، مامنهم ملك تقطر منه دمعة إلاّ وقعتْ على ملك يصلِّي ، وإن منهم ملائكةً سجوداً منذ خلق الله السماوات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، وإن منهم ركوعاً لم يرفعوا رؤوسهم منذ خلق الله السماوات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، فاذا رفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجه الله عزّ وجلّ قالوا : سبحانك ماعبدناك حقّ عبادتك »(١) .

وقال تعالى : ﴿ يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى ، وهم من خشيته مشفِقون ﴾ وذلك لأن الخشية من الله تعالى هي على حسب العلم به سبحانه ، قال تعالى : ﴿ إنّما يخشى اللهَ من عباده العلماء ﴾ وأعلم الناس بالله تعالى هو أخشاهم لله تعالى ـ ﷺ ـ كما قال « أَمَا والله إني لأعلمكم بالله وأشدُّكم له خشيةً » .

وبيان ذلك أن الخوف من الله تعالى له أسباب متعددة نذكر جملةً منها :

الأول ـ خوف الذنب ، أي خوف العبد من ذنبه مع الله تعالى . وهذا النوع من الخوف ينشأ من ثلاثة أمور :

أحدها ـ معرفة العبد بالجناية وقبحها . ثانيها ـ تصديق العبد

(١) من العلماء الذين ذكروا هذا الحديث في كتبهم الحافظ ابن كثير في « تفسيره » وقال : « إسناده لابأس به » اهـ .

بالوعيد على الذنب وأن الله تعالى رتّب على المعصية عقوبتها .

ثالثها - أن يعلم العبد أنه قد يمنعه من التوبة موانع ، ويحال بينه وبينها إذا ارتكب الذنب أو وقع في المعصية .

وهذا النوع من الخوف بهذا السبب لايتصوّر في حق الملائكة عليهم السلام لأنهم معصومون عن المخالفات ، كما سيأتي بحث ذلك إن شاء الله تعالى .

الثاني - من أسباب الخوف ، علم العبد بأنّ الله تعالى هو مقلب القلوب ، وأنه يحول بين المرء وقلبه وأنه سبحانه كل يوم هو في شأن يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء وهو العليم الحكيم ، فينشأ عند العبد خوف من ذلك .

وقد أثنى الله تعالى على عباده المؤمنين أولي الألباب الذين يقولون ﴿ ربّنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهبْ لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهّاب ﴾ .

وروى مسلم والترمذي واللفظ له عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول «يامقلب القلوب ثبّت قلبي على دينك» فقلت : يا رسول الله قد آمنّا بك وبما جئتَ به فهل تخاف علينا ؟ فقال ﷺ: « نعم ، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلّبها كيف يشاء» .

في هذا الحديث يرشد النبي ﷺ الصحابة إلى الإكثار من هذا الدعاء تخوّفاً عليهم، فان الله تعالى هو الفعال المطلق لامانع له، ولا معقب لحكمه ولا رادّ لأمره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد والكل له عبيد .

فهذه الحضرة الإطلاقية لها أحكامها من الخشية والمخافة ، وهي توجب على العارف بالله تعالى أن يرعاها حقها . كما فصله العارفون نفعنا الله تعالى بهم .

الثالث من أسباب الخوف ـ الإجلال والإعظام ، وهذا الخوف ـ أي خوف الاجلال والاعظام ـ يكون على حسب معرفة العارف بربه وعظمته وجلاله وكبريائه ، وعلى حسب مقام قربه ، كما قال العارف المحاسبي: خوف المقرّبين ـ من الانبياء والملائكة ـ خوف إجلال وإعظام ، وإن كانوا آمنين عذاب الله تعالى . ا هـ .

الرابع من أسباب الخوف والخشية من تعالى الله ـ أن يعلم العبد أن أحداً لا يقدُر الله تعالى حقّ قدره من الثناء عليه والحمد له وتسبيحه وتكبيره كما هو سبحانه الكبير المتعال ، فقد قال سيدنا رسول الله ﷺ أحمدُ الحامدين لرب العالمين وأكرم الأولين والآخرين : « اللهمّ إني أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصي ثناء عليك ، أنتَ كما أثنيت على نفسك » .

تكريم الله تعالى ملائكته عليهم السلام
وذكره لهم في مناصب العزِّ والشرف

قال الله تعالى : ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه ، بل عباد مكرَمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلاَّ لمن ارتضى وهم من خشيته مُشفِقون﴾ .

فقد وصفهم سبحانه بأنهم عباد مكرمون، لهم شأن كريم ومقام عظيم ، أكرمهم سبحانه بحبه وبقربه ، وأقامهم في المقامات العالية ، وأنزلهم المنازل السامية ﴿لايسبقونه بالقول﴾ وصفهم بكمال الطاعة والانقياد لأمره تعالى وأدبهم مع ربهم بحيث لايقولون شيئاً حتى يقوله سبحانه أويأمرهم به . ﴿وهم بأمره يعملون﴾ وصفهم بكمال طاعتهم في الأعمال وأنهم بأمره يعملون لا من تلقاء أنفسهم . ﴿يعلم مابين أيديهم وماخلفهم﴾ فهم على مراقبة دائمة في جميع تقلباتهم وحركاتهم وسكناتهم ،لأنهم يوقنون أن علمه سبحانه محيط بهم . ﴿ولا يشفعون إلاَّ لمن ارتضى﴾ أي لايشفعون إلا لمن ارتضى الله تعالى أن يشفعوا له .

وقال الله تعالى : ﴿شهد الله أنه لا إلهَ إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط ، لا إلهَ إلا هو العزيز الحكيم﴾ .

في هذه الآية الكريمة قرن الله تعالى شهادة الملائكة وأولي العلم بشهادته سبحانه التي سجَّلها في جميع كتبه، وسطَّرها على صفحات مكوَّناته، وفي ذلك وجوه من العزَّة والكرامة، والشرافة والمكانة، للملائكة الكرام والعلماء العظام الذين قرنهم الله تعالى بملائكته.

أولاً - إنه سبحانه استشهد بشهادة نفسه جلَّ وعلا وهو أجلُّ شاهدٍ، وكفى بالله شهيداً، ثم بخيار خلقه وهم الملائكة وأولوا العلم وكفاهم بذلك شرفاً وفضلاً على غيرهم من المخلوقات.

ثانياً - إنه سبحانه لايستشهد من خلقه إلا الشهود العدول البررة، ففي هذه الآية دليل على عدالتهم وثقتهم، وصدقهم وأمانتهم وتزكيتهم وتنقيتهم.

ثالثاً - إنه سبحانه استشهد بالملائكة وأولي العلم على أجلِّ مشهود، وأعظم معهود، وهو شهادة أن لا إلهَ إلا الله، ومن المعلوم بداهةً أن العظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أفاضلَ الخلق وسادتهم وكرامهم.

رابعاً - إنه سبحانه جعل شهادتهم حجةً على المنكرين، فهم - أي الملائكة وأولوا العلم - عنده سبحانه بمنزلة أدلته وبراهينه الدالة على توحيده سبحانه.

هذا وإن اقتران ذكر أولي العلم بالملائكة في مقام الشهادة والاستشهاد بشهادتهم ، دليل على قوة المناسبة وإحكام المشابهة بين أولي العلم وبين الملائكة عليهم السلام من وجوه متعددة ، وذلك أن الملائكة طَهَرَة أطهار ، بَرَرَة أخيار ، ذووا نفسياتٍ زكيةٍ وسرائر قدسيَّة ، وهم أنصح خلق الله تعالى وأنفعهم لبني آدم فهم يثنون على محسنهم ويستغفرون لمسيئهم ، ويعينونهم على أعدائهم ، من شياطين الانس والجنّ ويحرصون على مصالح العباد أضعاف ما يحرص العباد على مصالحهم ويلهمونهم خير الدنيا والآخرة ، ويحذرونهم من شر الدنيا والآخرة . وهكذا موقف العلماء العاملين مع خلق الله تعالى أجمعين .

فالمناسبة هي علَّة الضَّم والجمع بين جمعٍ وجمعٍ ، فما أشبه العلماء العاملين بملائكة رب العالمين نفعنا الله تعالى بهم أجمعين .

رؤساء الملائكة عليهم السلام

منهم السادة جبريل عليه السلام وإسرافيل وميكائيل وملك الموت ويسمى عَزرائيل[1]، ولكل منهم أعمال ووظائف يقوم بها بإذن الله تعالى

(١) أما معاني هذه الأسماء فقد روى البيهقي في الشُّعَب عن ابن عباس أنه قال : جبريل عبد الله ، وميكائيل عبيد الله وكل اسم فيه « إيل » فهو معبَّد لله تعالى . أي لأنّ اسم إيل بالعبراني معناه « الله » . وروى ابن جرير وغيره =

روى مسلم وأصحاب السنن عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه قال سألت عائشة رضى الله عنها : بأي شيء كان رسول الله ﷺ يفتتح الصلاة إذا قام الليل ؟ قالت : كان إذا قام من الليل افتتح صلاته : « اللهمَّ ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالمَ الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، إهدني لما اختُلِف فيه من الحقِّ باذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم » . وروى النسائي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « اللهمَّ ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل أعوذ بك من حرِّ النار وعذاب القبر » . وروى الحاكم عن أبي المليح عن أبيه أنه صلى مع النبي ﷺ ركعتي الفجر فصلَّى قريباً منه فسمعه يقول : « اللهم ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل ومحمدٍ أعوذ بك من النار » ثلاث مرات . وفي هذه الأحاديث مايدل على أفضلية هؤلاء الملائكة الثلاثة وكرامتهم عند الله تعالى .

ومن أسرار ذكر هؤلاء الثلاثة مع اسمه الشريف ﷺ أن الله تعالى جعلهم أسباب الحياة ، فسيّدنا محمد ﷺ جاء بروح العالم . قال

= عن علي بن الحسين رضي الله عنهما أنه قال : اسم جبريل عبد الله ، واسم ميكائيل عبيدالله ، واسم إسرافيل عبدالرحمن ، وأما عزرائيل فمعناه عبدالجبار. عليهم السلام .

تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا .. ﴾ الآية . وبهذه الروح تحيا الأرواح والقلوب حياةً سعيدة أبدية في الدنيا والآخرة . قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم .. ﴾ الآية .

وأما جبريل عليه السلام فهو صاحب الوحي الذي يوحيه الله تعالى إلى الأنبياء ، وهو سبب الحياة للعباد والبلاد . وأما ميكائيل عليه السلام فهو الموكّل بالمطر الذي به حياة الأرض والنبات بل والانسان والحيوان.

وأما إسرافيل عليه السلام فهو الذي ينفخ في الصور فيحيي الله تعالى الموتى بنفخته ، فاذا هم قيام لرب العالمين .

صفات جبريل ووظائفه القويمة

قد تظاهرت الأدلة القرآنية والنبوية على فضائل جبريل عليه السلام وكريم منزلته عند الله تعالى . قال الله تعالى في بيان صفات جبريل عليه السلام : ﴿ إنه لقول رسولٍ كريمٍ . ذي قوّة عند ذي العرش مكين . مطاعٍ ثَمّ أمين ﴾ .

فقد أثنى الله تعالى في هذه الآيات على جبريل عليه السلام ، وبيّن أنه واسطة وحيه بالقرآن الكريم إلى حبيب رب العالمين إمام الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد أفضل خلق الله تعالى أجمعين ﷺ ، وأن

الثناء على الواسطة هو في الحقيقة ثناء على الموسوط له ، المبلّغ إليه .
وفيه بيانُ عظيمِ مقامِ سيدنا محمد وشرافة قدره ﷺ عند ربه ، ولذلك أرسل إليه عظيم الملائكة وكبيرهم صاحب المقام الكريم والأمر المطاع فقال سبحانه ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ يعني بهذا الرسول الكريم جبريلَ قطعاً ، لأنه سبحانه ذكر بعد ذلك صفات جبريل عليه السلام المعيّنة له . وأما الرسول الكريم في سورة الحاقة : ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ فالمراد به سيدنا محمد ﷺ ، بدليل أنه سبحانه ذكر بعده ما يردّ على أعدائه ﷺ الزاعمين أنه شاعر أو كاهن ، فقال : ﴿ وما هو بقول شاعر ، قليلاً ما تؤمنون . ولا بقول كاهن ، قليلاً ما تذكّرون . تنزيل من رب العالمين ﴾ . يعني أن هذا القرآن الكريم كلام الله تعالى نزله سبحانه على رسوله محمد ﷺ بواسطة الرسول الملكي جبريل عليه السلام ، فاضافته إلى الرسول الملكي تارة بقوله تعالى : ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ وإضافته إلى الرسول البشري تارة بقوله ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ في الحاقة ، هي إضافة تبليغ لا إضافة إنشاء ، وإلا تناقضت الإضافتان . ثم إن لفظ الرسول يدل على ذلك ، فان الرسول هو من يبلّغ كلام من أرسله ، وهذ صريح في أن القرآن كلام الله حقاً ، وأن سيدنا محمداً ﷺ بلغه عن الله تعالى بواسطة جبريل الأمين عليه السلام .

وفي وصف الله تعالى لجبريل بأنه «كريم» فيه تزكية كاملة لسند القرآن وأن الذي نزل بالقرآن على سيدنا محمد ﷺ هو رسول كريم جميل المنظر ، بهيّ الصورة ، كثير الخير طيّب مطيَّب ، عظيم العلم والمعرفة عظيم الأسرار والأنوار ، اجتمع فيه الكرم الصوري والمعنوي فحقيق عن هذا وصفه أن يكون واسطة نزول القرآن إلى صفوة الأكوان حبيب الرحمن ، سيدنا محمد ﷺ ، وذلك لتمام المناسبة ؛ كما قيل : والجنس يألفه الجنس .

كما بين سبحانه في وصف جبريل عليه السلام أنه « ذو قوة » فهو بقوته يمنع الشياطين أن تدنو من القرآن العظيم ، أو تنال منه شيئاً ، أو يزيدوا فيه أو ينقصوا منه ، بل إذا رأته الشياطين هربت منه . وأيضاً فان جبريل بقوته هو معاضد لرسول الله ﷺ ومؤيِّد له وناصره ، ومن كان هذا المَلَك القويّ عضدَه وناصرَه فمَن الذي يستطيع أن يغلبه أو يخذله ؟ كما وأنه ذو قوّةٍ في عبادته لله تعالى وطاعته ، وفي تنفيذه أوامر الله تعالى ، فهو الذي رفع جبل الطور فوق بني إسرائيل ، وبريشة واحدة من أجنحته رفع خمس مدائن كبرى بقوم لوط ثم قلبها ثم أهوى بها كما سيتضح قريباً .

ثم وصفه تعالى بقوله : ﴿ ذي قوّةٍ عند ذي العرش مكين ﴾

فله شرف العندية العظمى والرتبة الزلفى ، وأنه مكين أي ذو مكانةٍ سامية ورتبة عالية .

كما وصف الله تعالى جبريل بأنه ﴿ مطاع ثَمَّ أمين ﴾ يعني أنه مطاع هناك في الملأ الأعلى فيما بين الملائكة المقربين عليهم السلام ، يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه ، وإذا نزل في أمرٍ حفّت به الحشود والجنود من الملائكة تحت راية إمارته وقيادته ، كما ورد ذلك حين كان ينزل بالقرآن الكريم على النبي ﷺ ، وأيضاً في نزوله يوم بدر حين التقى الجمعان وقد تراءى إبليس للمشركين بصورة رجل من بني مدلج ، وقال لهم ﴿ لاغالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ﴾ فلما نزل جبريل عليه السلام ونزلت معه الملائكة ورأى ذلك عدوُّ الله قال للمشركين ﴿ إني بريءٌ منكم إني أرى مالاترون ﴾ أي جبريلَ ومن معه من الملائكة ﴿ إني أخاف الله ، والله شديد العقاب ﴾ .

كما وصف الله تعالى جبريل عليه السلام بأنه ﴿ أمين ﴾ فهو أمين وحي الله تعالى وموصله بأمانة وصدقٍ إلى أنبيائه ورسله صلوات الله عليهم من غير تغيير وتحريف .

ومن صفات جبريل عليه السلام : أنه الروح الأمين . قال تعالى: ﴿ نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذِرين ﴾ وسمي جبريل

عليه السلام روحاً ، لأنه روح كله ، لا كالناس الذين في أبدانهم أرواح ولأنه روح عظيمة قوية التأثير في الأحياء ، ولذا كان من الحكمة أنه يرسَل إلى مريم فينفخ فيها ، فيخلق عيسى عليه السلام ويُعطى قوة على إحياء الموتى بإذن الله تعالى . ومما يدل على قوة روح جبريل عليه السلام ماذكره الله تعالى في قصة السامري قال : ﴿ فما خطبك ياسامريّ . قال : بَصُرت بما لم يبصروا به ، فقبضتُ قبضة من أثر الرسول فنبذتها ، وكذلك سوّلت لي نفسي ﴾ . قال علي كرم الله تعالى وجهه : إن السامري رأى جبريل عليه السلام راكباً على فرس حين جاء ليذهب بموسى عليه السلام إلى الميقات ، ولم يره أحد غيره من قوم موسى ، فأخذ السامريُّ من موطىء فرس جبريل قبضةً من التراب ـ أي لأن السامريَّ رأى كلما رفع الفرسُ يديه أو رجليه عن التراب اليابس يخرج النبات ، فعرف أن هذا التراب فيه آثار حيوية ـ فألقاها في جسد عجلٍ قد صاغه من ذهب فكان له خُوار .

قال الشيخ الأكبر : وكان ذلك من إلقاء الشيطان في نفس السامريّ ، لأن الشيطان يعلم منزلة الأرواح ، فوجد السامريّ في نفسه هذه القوة ، وما علم أنها إلقاء من الشيطان فقال : وكذلك سوّلت لي نفسي . اهـ

ومن صفات جبريل عليه السلام : أنه روح القدس . قال تعالى :

﴿ قل نزّله روح القدس من ربك بالحق ليثبّت الذين آمنوا .. ﴾ الآية .

وسمّي بذلك لقدسيَّة نفسه وطهارتها من الأدناس ، ولأنه ينزل بالتقديس من الله تعالى ، أي ينزل بما يطهّر النفوس ويقدّس العقول والقلوب ، وهو القرآن الكريم والحكمة والفيوضات الإلهية ، والقدس معناه الطهارة والبركة ، والتقديس معناه التطهير والمباركة ، فجبريل عليه السلام ذو قداسة وتقديس ، قال رسول الله ﷺ : « إن روح القدس نفث في رُوعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها[1] ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنَّ أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله ، فان الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته »[2] .

من وظائف سيدنا جبريل عليه السلام

إن لسيدنا جبريل عليه السلام أعمالاً هامةً عظيمةً يقوم بها بإذن الله تعالى وأمره ، فمن ذلك أنه هو الذي ينزل بالشرائع الربَّانية ،

(١) والمعنى أن روح القدس جبريل عليه السلام ألقى الوحي في خلَد النبي ﷺ أو في قلبه أو في عقله هذا المقال اهـ فيض القدير .

(٢) هذا الحديث رواه ابن ماجه عن جابر ، ورواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة ، ورواه ابن أبي الدنيا والحاكم وصححه عن ابن مسعود كما في شرح المواهب .

وينزل بالكتب الإلٓهية على الرسل صلوات الله تعالى عليهم ، ولذلك يسمى الناموس الأكبر كما سيأتي في حديث الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها . والناموس في أصل اللغة هو صاحب سر الخير ، وسمي جبريل عليه السلام بذلك لأنه أمين الله تعالى على أسراره الموحاة إلى أنبيائه صلوات الله تعالى عليهم . قال الله تعالى : ﴿ قل نزّله روح القدس من ربّك بالحقّ.. ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذِرين . بلسان عربي مبين ﴾ .

وفي الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت : أوّل مابُدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة ـ وفي رواية لمسلم : الصالحة ـ في النوم ، فكان لايرى رؤيا إلاجاءت مثل فلق الصبح ، ثمّ حُبّب إليه الخلاء ـ أي الخلوة ـ فكان يخلو بغار حراء ، فيتحنّث فيه ـ وهو أي التحنث : التعبُّد ـ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزِع إلى أهله ، ويتزوّد لذلك ، ثمّ يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها ، حتى جاءه الحق ـ أي الأمر الحقّ وهو الوحي ، سمي حقاً لمجيئه من عند الله تعالى . أو المراد جاءه رسول الحق وهوجبريل ـ وهو في غار حراء فجاءه الملك ـ أي جبريل عليه السلام ـ فقال : اقرأ فقال ﷺ : ما[1] أنا بقارىء

(١) قال بعضهم : « ما » نافية بدليل رواية : ماأنا بقارىءٍ ، ماأحسِن أن أقرأ . وقال بعضهم : هي استفهامية ، بدليل رواية أبي الأسود عن عروة : كيف أقرأ ، ورواية ابن إسحاق عن عبيد بن عمير : ماذا أقرأ؟ اهـ . من شرح الزرقاني على المواهب.

فأخذني فغطني - أي فضمَّني - وفي رواية الطبراني وابن اسحق : فغتني - وهو الضمُّ مع حبس النفَس - حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثانية ، حتى بلغ مني الجهد[1] ، ثم أرسلني فقال اقرأ ، فقلت ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطَّني الثالثة ثم أرسلني فقال : ﴿ اقرأ باسم ربِّك[2] الذي خلَق . خلَق الإنسان من علقٍ . اقرأ وربُّك الأكرم . الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم ﴾ . فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خُويلد رضي الله عنها فقال : « زمِّلوني زمِّلوني » فزمَّلوه حتى ذهب عنه الرَّوع فقال لخديجة وأخبرها الخبر : « لقد خشيتُ على

(١) هذه الضمَّات الجبريلية القويَّة فيها الافراغات والافاضات بالأسرار والأنوار الالهية ، والعلوم والمعارف الربانية التي تنزل بها جبريل عليه السلام ، من حضرة الحكيم العلام على مختلف وجوهها التي تعمُّ النفس والقلب والروح. وفي الصحيح عن ابن عباس قال : ضمني رسول الله ﷺ إلى صدره وقال : « اللهمَّ علِّمه الكتاب » وبذلك فتح على ابن عباس وأفيض عليه .

(٢) أي : اقرأ باسم ربك الذي هو سبحانه ربَّاك وتعهَّدك منذ صغرك ، فانه هو الذي يقرئك القرآن ويعلمك إياه ويبيِّن لك معانيه ، وإن لم تكن متعلماً القراءة والكتابة من قبل ، فانك تقرأ باسم ربك ولست تقرأ بموجب علم سابق اكتسبته من المخلوقات لأنك أميٌّ - أي لم تتعلم القراءة - قال تعالى : ﴿ إنَّ علينا جمعه وقرآنه - أي علينا أن نجمعه لك وأن تقرأه - فاذا قرأناه فاتَّبعْ قرآنه ، ثم إنَّ علينا بيانه ﴾ أي : نبيِّنه لك ثم أنت تبيِّنه للناس .

نفسي » أي لقد خشيت على نفسي أن لا يتحمل ذلك جسمي ولا تقوى قوَّتي لذلك . فقالت خديجة : كلاَّ والله مايخزيك الله أبداً ، إنك لتَصِل الرحم، وتحمل الكلَّ ، وتكسب المعدوم ، وتَقْري الضيف ، وتعين على نوائب الحق . فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن عم خديجة ـ وكان امرءاً تنصَّر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب بالعبرانيَّ فيكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عميَ ـ فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى . ياليتني فيها جَذَعاً ، ليتني أكون حيَّاً إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله ﷺ : « أوَمُخرجيَّ هم ؟! » قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئتَ به إلا عُودي . وإن يدركني يومك أنصرْك نصراً مؤزَّراً ، ثم لم ينشب ورقة أن توفِّي وفَترَ الوحي .

تأييد الله تعالى رسله صلوات الله تعالى عليهم بجبريل عليه السلام:

من وظائف سيدنا جبريل عليه السلام أنه يؤيِّد الله تعالى به أنبياءه ورسله صلوات الله تعالى عليهم .

قال الله تعالى في تأييده لسيدنا محمد ﷺ : ﴿ وإنْ تظاهرا عليه

فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾ فهو سبحانه يخاطب زوجتيْ رسول الله ﷺ عائشةَ وحفصة رضي الله عنهما بقوله ﴿ وإن تظاهرا ﴾ أي تتظاهرا وتتعاونا على رسول الله ﷺ بما يسوءه من إفراط الغَيْرة ﴿ فإن الله هو مولاه ﴾ أي هو سبحانه ناصره ومتولّي أمره كله ﷺ ﴿ وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾ أي كلهم أعوان مظاهرون ومؤيّدون لهذا الرسول الكريم ﷺ . وفي هذا دليل على عظيم انتصار الله تعالى لرسوله سيدنا محمد ﷺ وأن امرأتين إن يصدر منهما تظاهرٌ عليه فإن الله تعالى الكبير المتعال هو مولاه الناصر له ﷺ وإن جبريل بقوّته وسطوته وصالح المؤمنين بعزيعته وهمّته والملائكة بجمعيتهم وجمهرتهم ، كل أُولئك مؤيّدون لرسول الله ﷺ . يعني أنه سبحانه لايسلمه ﷺ ولايتركه في ذلك فكيف يسلمه ويتركه فيما هو أشد من ذلك ؟! فاعتبر ياعاقل بما هنالك لتعلم فضل رسول الله ﷺ وكرامته عند الله تعالى .

وقال تعالى في تأييده لعيسى عليه السلام بجبريل عليه السلام : ﴿ وآتينا عيسى بن مريم البيّنات وأيّدناه بروح القُدس ﴾ وقال : ﴿ إذ قال الله ياعيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك أذ أيّدتك بروح القدس ... ﴾ الآية فأيّده الله تعالى بروح القدس ـ أي

جبريل عليه السلام ـ منذ صباه إلى حال كبره . وبهذا التأييد حفظه الله تعالى من أعدائه اليهود ، فقد تمالأ اثنا عشر ألف يهودي اقتله فلم يتمكنوا منه ، قال تعالى : ﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين . إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا ... ﴾ الآية .

كفاية الله تعالى رسوله ﷺ شر المستهزئين ـ بواسطة جبريل عليه السلام

قال الله تعالى ﴿ فاصدعْ بما تؤمرُ وأَعرض عن المشركين . إنا كفيناك المستهزئين ﴾ . أنزل الله تعالى هذه الآيات على رسوله ﷺ حين كان في مكة وقد تصدّى له المشركون بالايذاء والهزء ، فقال له الله تعالى : ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ أي إجهر بما تؤمر وأظهره علناً بما فيه من الحجج القاطعة والأدلة الساطعة التي تفرق بين الحق والباطل ، والنور الذي جئتم به والظلمات التي يعمهون فيها . ثم تكفّل الله له بكفايته ﷺ أذى المشركين وهزء المستهزئين به وبما جاء به فقال : ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ . والمعنى : أَعلن الدعوة يارسول الله واجهر بها ، ولا يهمنّك أمر المشركين وإيذاؤهم لك واستهزاؤهم بك ، فإنا بسلطاننا وقدرتنا نكفيك شرهم ونقيك ضرّهم ونردُّ كيدهم في نحرهم .

فقد ثبت عن ابن عباس وأنس وغيرهما[١] أن هذه الآية نزلت في خمسة من المشركين ـ وقيل ثمانية ـ كانوا يستهزئون بالنبي ﷺ : الوليد بن المغيرة ، والأسود بن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب ، والحارث بن عيطلة ، والعاص بن وائل ، فأتى جبريلُ عليه السلام النبي ﷺ فشكاهم إلي جبريل ـ أي ذكر له تماديهم في هزئهم وأذيتهم ـ .

ثم إنهم مرّوا بالنبي ﷺ على عادتهم يستهزئون فأراه ﷺ الوليد فأومأ جبريل عليه السلام إلى أكحله فقال ﷺ لجبريل : « ما صنعت شيئاً » فقال له جبريل عليه السلام : كفيتُكه ، ثم أراه الأسود ابن المطلب فأومأ جبريل عليه السلام إلى عينيه ـ أي إلى عيني الأسود ـ فقال ﷺ لجبريل : « ما صنعت شيئاً » ـ أي لم تضربه وإنما أشرت إليه إشارة ـ فقال جبريل عليه السلام : كفيتُكه ـ أي بهذه الإشارة ـ ثم أراه الأسود بن عبد يغوث فأومأ إلى رأسه ، فقال ﷺ لجبريل عليه السلام « ما صنعت شيئاً » فقال جبريل : كفيتُكه . ثم أراه الحارث فأومأ إلى بطنه ، فقال له ﷺ « ما صنعت شيئاً » فقال : كفيتُكه ثم أراه العاص بن وائل ، فأومأ جبريل عليه السلام إلى أخمصه ، فقال

---

(١) رواه الطبراني والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل وابن مردويه بسند حسن كما في « الدر المنثور » و « شرح المواهب » للزرقاني . وانظر سيرة ابن هشام وتفسير ابن كثير وغيرهما .

له ﷺ : « ما صنعت شيئاً » فقال : كفيتُكه .

فانظر آثار تلك الايماءات الانتقامية الجبريلية من المستهزئين بسيد البريَّة.

فأما الوليد فمرَّ برجل من خزاعة وهو يريش نبله فأصاب أكحَله فقطعها . وأما الأسود بن المطلب فإنه نزل تحت سَمُرة ـ أي شجرة سمرة ـ فجعل يقول ألا تدفعون عني ؟! قد هَلكتُ ! أُطعَن بالشوك في عينيَّ ! فجعلوا يقولون مانرى شيئاً ، فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه . وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها ، وأما الحارث فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج رجيعه من فمه فمات منه ، وأما العاص فركب إلى الطائف فربض ـ أي وقع ـ على شِبْرِقة فدخل في أخمص ـ أسفل ـ قدمه شوكة فقتلته . وفي رواية للبيهقي والضياء باسناد صحيح أن جبريل عليه السلام أومأ إلى رأس الأسود بن عبد يغوث فضربته الأكلة فامتخض رأسه قيحاً فمات .

تأييد الله تعالى أنصار رسول الله ﷺ ومؤيّديه بجبريل عليه السلام :

وهذا من وظائفه عليه السلام . قال الله تعالى : ﴿ لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يُوادُّون مَن حادَّ الله ورسوله ـ إلى قوله ـ وأيَّدهم بروحٍ منه ﴾ الآية . قال بعضهم : أيَّدهم بالقرآن وحجته . وقال بعضهم : أيَّدهم بنور إيمانٍ وهدى وبرهانٍ . وقال بعضهم : أيَّدهم بجبريل عليه السلام .

وجاء في الصحيحين عن البراء أن النبي ﷺ قال لحسان بن ثابت : «أُهجهم - يعني المشركين - وجبريل معك» وفي الصحيحين من طريق سعيد ابن المسيب قال : مرَّ عمر بحسَّان في المسجد وهو ينشد - أي الشعر - فلحظ إليه فقال : كنت أنشد وفيه - أي في المسجد - من هو خير منك . ثم التفت حسان إلى أبي هريرة فقال : أنشدك اللهَ أسمعتَ النبي ﷺ يقول : « أجب عني . اللَّهم أيّده بروح القدس ؟ » فقال أبو هريرة : اللهم نعم .

وروى أبوداود عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال « إن روح القدس مع حسَّان مادام ينافح - أي يدافع - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم » .

تحبيب الله تعالى جبريل عليه السلام بأحبابه الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتبغيضه سبحانه لجبريل في أعدائه الذين يبغضهم رب العالمين، والنداء الجبريلي لذلك في السماوات والأرض . قال الله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدّاً ﴾ .

روى الشيخان والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أحبّ الله عبداً نادى جبريل : إني قد أحببتُ فلاناً فأحبَّه ، فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في أهل الارض . فذلك

قوله ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً ﴾ وإذا أبغض الله عبداً نادى جبريل إني قد أبغضت فلاناً فينادي في أهل السماء ، ثم تُنزل له البغضاء في الأرض » .

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « إن الله تعالى إذا أحبَّ عبداً نادى جبريل فقال ياجبريل إني أحبُّ فلاناً فأحبَّه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يحبُّ فلاناً فأحبّوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإن الله تعالى إذا أبغَض عبداً دعا جبريل فقال ياجبريل إني أبغض فلاناً فأبغضه ، فيبغضه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه فيبغضه أهل السماء ، ثم توضع له البغضاء في الأرض » .

تهديد الله تعالى المعاندين لرسله وتخويفه المعارضين بواسطة جبريل عليه السلام :

قال الله تعالى : ﴿ وإذ نَتَقْنا الجبل فوقهم كأنَّه ظُلَّة ، وظنوا أنه واقع بهم ؛ خذوا ما آتيناكم بقوةٍ واذكروا ما فيه لعلَّكم تتقون ﴾ فقد جاء أن بني إسرائيل لما توقَّفوا عن أخذ التوراة وأبَوْا أن يقبلوها حين جاءهم بها موسى عليه السلام ، فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن يرفع فوقهم جبل الطور وقيل لهم : إن قبلتم التوراة والعمل بها

وإلاَّ ليقعنَّ عليكم ، فوقع كلٌّ منهم ساجداً على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فَرَقاً من سقوطه ، وهناك قيل لهم ﴿ خذوا ما آتيناكم ﴾ من مضامين التوراة ومشتملاتها ﴿ بقوَّة ﴾ أي بجدٍّ وعزمٍ ﴿ واذكروا مافيه ﴾ أي احفظوه ولاتنسوه واعملوا به ولاتتركوه ترك المنسيِّ ﴿ لعلَّكم تتقون ﴾ أي : تنتظمون في سلك المتقين المتوقّين عن قبائح الأعمال ورذائل الأخلاق .

أخذه سبحانه بالعقوبات لتاركي الشرائع الإلٰهية بواسطة جبريل عليه السلام :

ومن وظائف جبريل عليه السلام أنه هو الذي ينزل بالشرائع الإلٰهية على الرسل صلوات الله تعالى عليهم ، كما وأنه هو الذي يتعهَّدها فيؤيّد مؤيِّديها وأنصارها ، ويحارب محاربيها وينتقم من جاحديها والمستهزئين بها ، وكلٌّ ذلك عن أمر الله تعالى وإذنه .

فهو الذي صاح بقوم ثمود ، قال تعالى : ﴿ فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا برحمةٍ منا ومن خزي يومئذٍ . إن ربَّك هو القويُّ العزيز . وأخذ الذين ظلموا الصيحةُ فأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾ ساقطين على وجوههم لاصقين بالتراب ، وكان جزاؤهم من جنس عملهم فإنهم آذوا رسول الله صالحاً بأراجيف الأقوال والتهديد له ، وتعالَوْا بأصواتهم

عليه يصيحون به مستهزئين وساخرين ، فجاءتهم الصيحة الجبريلية من فوقهم هزَّت قلوبهم وخلعتها ، وجاءتهم الرجفة الشديدة من أسفل منهم ففاضت الأرواح وزهقت النفوس ، وسكنت الحركات وخشعت الأصوات وحقَّت الحقائق ، وحلَّت بهم المثُلات ـ أي العقوبات المماثلة ـ .

وهو الذي رفع مدائن قوم لوط عليه السلام وقلبها عاليها سافلها ، وذلك أنهم لما انقلب مزاج نفوسهم ، وانعكست ميولاتهم الشهوانية عن سنن الطباع الإنسانية ، وقد تمكّن ذلك منهم بسبب شدة طغيانهم وإفراطهم في مصارف شهواتهم ، حتى اكتفى رجالهم برجالهم ، ونساؤهم بنسائهم ، كما ورد أنه قيل لمحمد بن علي رضي الله عنهما : عذَّب الله تعالى نساء قوم لوط بعمل رجالهم ؟ فقال : الله تعالى أعدل من ذلك ولكن استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وآخرون بإتيان المرأة من عجيزتها أي دبرها اهـ فكان جزاء انقلابهم النفساني الانقلاب المكاني وكم بين النفوس الإنسانية والآفاق الكونية من ارتباطات وتناسبات : صحةً وفساداً وعماراً وخراباً ، يعلمها ذوو البصائر والدرايات . قال الله تعالى : ﴿ إن الله لايغيِّر ما بقومٍ حتى يغيّروا مابأنفسهم .. ﴾ الآية . وقال الله تعالى : ﴿ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارةً من سجيل ﴾ أي طين متحجِّر ﴿ منضود ﴾ أي منضَّد ، حيث

إنه أُعدَّ وهُيّىء لعذابهم ، نجيء به منظماً في الإرسال ، يرسَل بعضه إثر بعض دون انقطاع ولا فتور، متوالية فوقهم كتوالي قطر الأمطارالشديدة ﴿ مسومة عند ربك ﴾ أي عليها سِيما أنها ليست من أحجار الأرض كما أنها معلمة باسم من يُرمى بها ، أي كل حجرة وفيها اسم مَنْ ترميه وتصيبه ، وكانت أحجاراً كبيرة الحجم ، عظيمة الجسم ، قويّة الحطم والهدم .

﴿ وما هي من الظالمين ببعيد ﴾ وفي هذا تهديد ووعيد لمن نحا نحو قوم لوط في ظلم نفوسهم وفساد مزاجهم . عياذاً بالله تعالى .

روي أن مدائن قوم لوط كانت خمسة ـ وقيل سبعة ـ كبرى فيها العدد الكثير والجم الغفير من السكان ، فلما حقّ عليهم العذاب جاء سيدنا جبريل عليه السلام ، فاقتلع تلك المدائن من تخومها ، بريشةٍ من جناحٍ من ستمائة جناحٍ له ، ورفعها وقلعها ، ثم أهوى بها كما قال تعالى : ﴿ والمؤتفكةَ ـ أي المنقلِبة ـ أهوى . فغشّاها ما غشّى ﴾ أي غطّاها بإمطار الحجارة الشديدة على شكلٍ فظيع عظيم جداً .

كما أن جبريل عليه السلام كان هو الحاشر لأتباع فرعون والملاحق

لهم ليجمع آخرهم على أوّلهم ، حين لحق فرعونُ وقومه رسولَ الله موسى عليه السلام وقد توجّه بأتباعه نحو البحر . قال تعالى ﴿ فأتْبعوهم

مشرقين ﴾ أي اتَّبع فرعون وقومه نبيَّ الله تعالى موسى وقومه ووصلوا إليهم عند شروق الشمس ، فلما تراءى الجمعان - أي تقاربا بحيث رأى كلٌّ من الفريقين صاحبه ﴿ قال أصحاب موسى إنا لمدركون ﴾ أي لملحقون ، وذلك باعتبار أنهم انتهوا إلى سِيف البحر ، فصار البحر أمامهم والعدوُّ من ورائهم ، وأرادوا بذلك التحزُّنَ وإظهارَ الشكوى لموسى عليه السلام ليُحسن التدبير والتفكير في طريق المخرج من هذا المضيق، فقال لهم موسى عليه السلام : ﴿ كلاَّ إن معيَ ربي سيهدين ﴾ إلى مافيه نجاتكم ونصركم على عدوّكم ﴿ وأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ﴾ أي فيطيعك فورَ ضربه وينفلق عن عدة مسالك ، يتَّسع لكل من هو معك سالك . أخرج ابن أبي حاتم وغيره أن موسى عليه السلام لما انتهى إلى البحر قال : اللهمَّ يامن كان قبل كل شيء ، والمكوِّن لكلِّ شيء ، والكائن بعد كلّ شيء ، اجعل لنا مخرجاً . فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بعصاك البحر . وقد أوحى الله تعالى إلى البحر أن يتهيَّأ لذلك ، كما أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى أوحى تلك الليلة إلى البحر أنِ اسمع لموسى وأطع إذا ضربك ، فبات البحر تلك الليلة وله أفكَل - أي رِعدة واضطراب - لايدري من أيِّ جوانبه يضربه موسى عليه السلام ، فحين ضربه موسى عليه السلام ﴿ فانفلق فكان

كلُّ فِرْقٍ كالطود العظيم ، وأزلفنا ثَمَّ الآخرين ﴾ أي قرَّبنا هناك الآخرين فرعون وقومَه قرَّبناهم من قوم موسى عليه السلام ، وألحقناهم بهم حتى يدخلوا البحر على إثرهم ، كما ألحقنا الآخرين من قوم فرعون بأولهم وجمعناهم إلى بعضهم لئلا ينجوَ منهم أحد ، وكان ذلك بواسطة جبريل عليه السلام ، كما أخرج عبد بن حميد وابن عبد الحكم عن مجاهد التابعي المفسر أنه قال : كان جبريل عليه السلام بين بني إسرائيل وبين آل فرعون فجعل جبريل عليه السلام يقول لبني إسرائيل: ليلحق آخركم بأوَّلكم ، ويستقبل آل فرعون فيقول رويدكم - أي مهلكم - ليلحق بكم آخركم ، فقالت بنو اسرائيل : مارأينا سائقاً أحسن سياقاً من هذا - يشيرون إلى جبريل ولكن لم يعرفوه - وقال آل فرعون : ما رأينا وازعاً - أي جامعاً - أحسن زِعة من هذا .

وروى ابن جرير وسعيد بن منصور وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن فرعون كان على فرس أدهم حصان فلما هجم على البحر هاب الحصان أن يقتحم في البحر فتمثل له جبريل عليه السلام على فرس أُنثى ، فلما رآها حصان فرعون اقتحم البحرَ خلف فرس جبريل عليه السلام ، وقيل لموسى عليه السلام : ﴿ واتركِ البحر رَهْواً ﴾ أي مفتوحاً ذا فجوةٍ واسعةٍ على حاله ولا تغلقه وراءك ليلجَه العدوّ ،

ودخل فرعون وقومه البحر حتى آخرهم ، وجاز قوم موسى عليه السلام البحر عن آخرهم ، ثم أطبق البحر على فرعون وقومه .

وروى ابن المنذر عن سعيد بن جبير قال : نزل جبريل عليه السلام يوم غرق فرعون وعليه عمامة سوداء .

كما وأن جبريل عليه السلام هو الذي أنزل حصون بني قريظة

وصفوفهم ، فقد روى ابن سعد من مرسل حميد بن هلال أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي ﷺ فقال : يانبي الله إنهض إلى بني قريظة فقال : « إن في أصحابي جُهداً ـ أي تعباً ـ من غزوة الخندق فلو أنظرتهم ـ أي أخرتهم ـ أياماً » فقال جبريل : إنهض إليهم فلأُضعفنَّهم ، وعند ابن إسحق : أن جبريل عليه السلام قال : إن الله يأمرك يامحمد بالسير إلى بني قريظة فإني عامد إليهم فمزلزل بهم حصونهم . فأمر ﷺ مؤذناً فأذّن : من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلينَّ العصر إلاَّ في بني قريظة .

وفي رواية ابن عائذ عن جابر رضي الله عنه قال : بينا رسول الله ﷺ يغسل رأسه مرجعَه من طلب الأحزاب إذ وقف عليه جبريل عليه السلام فقال ما أسرع ماحللتم ـ السلاح ! ـ والله مانزعنا ـ نحن الملائكة ـ من لأْمتنا ـ أي سلاحنا ـ شيئاً منذ نزل العدوّ . قم

فشُدَّ عليك سلاحك ، فوالله لأدقنَّهم دقَّ البَيض على الصفا . وأراد بذلك أنه يلقي الرعب في قلوبهم حتى يصيروا كالهالكين، ثم يزلزل بهم فينزلهم من حصونهم . وفي ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ وأنزل الذين ظاهروهم ﴾ أي عاونوا المشركين يوم الخندق ﴿ من صَياصيهم ﴾ أي حصونهم ﴿ وقذف في قلوبهم الرعب ، فريقاً تقتلون وتأسِرون فريقاً ﴾ .

القوى الملكية والعظمة الجبريلية

قال تعالى : ﴿ الحمد لله فاطرِ السموات والأرض ، جاعلِ الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، يزيد في الخلق مايشاء ، إن الله على كل شيء قدير ﴾ .

ذكر سبحانه في هذه الآية مظاهر قدرته وآثار قوته المشهودة في تكوين السماوات والأرض ، ثم أردف ذلك بذكر ملائكته سبحانه ، وأنه جعلهم رسلاً في تنفيذ أوامره التكوينية ، وفي تبليغ وحيه وأحكامه التشريعية ، وأنه سبحانه زاد في خلقهم جمالاً وبهاءً وقوة ، فجعلهم أولي أجنحة ، فمنهم ذو الجناحين ، ومنهم ذو ثلاثة أجنحة ، ومنهم ذو أربعة أجنحة ، ومنهم الاكثر من ذلك ، لأنه سبحانه يزيد في الخلق ما يشاء حسب ماتقتضيه الحكمة ، فانه لاتعجز قدرته عما خصصته إرادته ، واقتضته

حكمته ، لأنه على كل شيء قدير ، وفي ذلك إيماء إلى زيادة الحسن والجمال في خلق الملائكة عليهم السلام ، وزيادتهم في القوة ، وأنهم في ذلك على مراتب متعددة ، فقد وردت الأحاديث في بيان عظمة جبريل عليه السلام وكثرة أجنحته .

فمن ذلك ما جاء في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح ، وفي رواية لمسلم أن النبي ﷺ رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح . وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها : رأى جبريل في صورته التي خُلق عليها مرتين ، فرآه منهبطاً من السماء إلى الأرض سادّاً عِظَمُ خلقه ما بين السماء والارض .

فكان جبريل عليه السلام يأتي رسول الله ﷺ ويتراءى له في صور متعددة فتارة في صورة دحية بن خليفة الكلبي حيث كان جميل الصورة بهيّ المنظر وتارةً يأتيه في صورة أعرابي ، وتارةً في صورته الجبريلية الحقيقية التي خلق عليها ، له ستمائة جناح مابين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب وقد رآه ﷺ على هذه الصورة مرتين في القول الشائع ، فالمرّة الأولى كانت في بطحاء مكة رآه ﷺ منهبطاً من السماء إلى الأرض ، والثانية عند سدرة المنتهى ليلة المعراج .

وروى الامام أحمد بالسند الجيد القوي ، عن ابن مسعود رضي

الله عنه أنه قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناحٍ منها قد سدَّ الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل[١] والدرّ والياقوت ما الله به عليم. وروى أحمد أيضاً بالسند الجيد القوي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينتثر من ريشه التهاويل الدرُّ والياقوت».

روى أحمد والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: رآى رسول الله ﷺ جبريل في حُلَّةٍ من رفرفٍ قد ملأَ السماء والأرض[١].

---

(١) التهاويل جمع تَهويل، وهو ما يهول الناظر ويدهشه بجماله وبداعة محاسنه، ويقال للرياض ذات الزهور المختلفة الألوان: التهاويل، والمراد هنا من تهاويل جبريل عليه السلام: مبدعات جماله التي جمَّله الله تعالى بها، ودرُّ أنواره التي حلاَّه الله تعالى بها.

(٢) قال في فتح الباري: وبهذه الرواية يعرف المراد بالرفرف، وأنه حلَّة، ويؤيده قوله تعالى: ﴿متكئين على رفرف خضر﴾ الآية وأصل الرفرف ما كان من الديباج ـ أي الحرير ـ رقيقاً حسن الصنعة، ثم اشتهر استعماله في الستر، وكلُّ ما فصل من شيءٍ فعطف وثني فهو رفرف، ويقال: رَفرَفَ الطير بجناحيه إذا بسطها، وقال بعض الشراح: يحتمل أن يكون جبريل عليه السلام بسط أجنحته فصارت تشبه الرفرف، كذا قال ـ أي بعض الشراح ـ والرواية التي أوردتها توضح المراد. اهـ كلام صاحب الفتح.

ولا يلزم من رؤيته ﷺ جبريل ليلة المعراج عند سدرة المنتهى - لا يلزم من ذلك أنه ﷺ لم ير ربه ليلة المعراج كما توهمَّه بعض الناس ،وإنما الحق أنه ﷺ رآى جبريل عند السدرة ، كما وأنه ﷺ رأى ربه ليلة المعراج،ولا ينافي ذلك هذا،لما ثبت في الأدلة الصحيحة، وليس هنا موضع بسطها.

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « رآيت جبريل منهبطاً وقد ملأ ما بين الخافقين ، عليه ثياب سندس معلـَّق بها اللؤلؤ والياقوت » رواه أحمد وغيره .

وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه : « فبينا أنا أمشي إذ سمعتُ صوتاً من السماء فرفعتُ بصري قِبَل السماء فاذا المَلك الذي جاءني بحراء ، قاعد على كرسيّ بين السماء والأرض ، فخشيتُ منه حتى هويتُ إلى الأرض فجئت إلى أهلي فقلت : زمِّلوني زمِّلوني ،فدثّروني ، فأنزل الله تعالى ﴿ ياأيها المدَّثّر . قم فأنذر . وربَّك فكبّر ، وثيابك فطهّر والرُّجْزَ فاهجر ﴾ .

فهذا الملك هو جبريل عليه السلام الذي جاء إلى النبي ﷺ قبل هذه المرة بقوله تعالى : ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق . . ﴾ الآيات الخمسة فانها أول ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق ، ثم فتر الوحي فكان أول ما نزل بعد فترة الوحي خمس آيات من أول المدثّر .

خشية جبريل عليه السلام من الله تعالى

قال الله تعالى : ﴿ وهم من خشيته مشفقون ﴾.

روى الطبراني وابن أبي حاتم وغيرهما عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « مررتُ ليلة أُسري بي بالملأ الأعلى وجبريل كالحِلْس البالي من خشية الله »[١] .

وعن زرارة بن أوفى أن رسول الله ﷺ قال لجبريل : « هل رأيتَ ربك ؟ فانتفض جبريل ـ أي ارتعد ارتعاداً شديداً من الهيبة ـ وقال يامحمد : إن بيني وبينه سبعين حجاباً من نورٍ لو دنوت من بعضها لاحترقت » . قال صاحب المشكاة : هكذا في المصابيح ، ورواه أبو نعيم في الحلية عن أنس إلاَّ أنه لم يذكر فانتفض جبريل اهـ . قال الشارح : وفي الجامع برواية الطبراني في الأوسط عن أنس عن النبي ﷺ قال : « سألت جبريل هل ترى ربَّك ؟ فقال : إن بيني وبينه سبعين حجاباً من نورٍ لو رأيتُ أدناها لاحترقتُ » .

---

(١) قال في مجمع الزوائد : رجاله رجال الصحيح .

تلقي جبريل عليه السلام الوحي عن رب العالمين
واستغراق الملائكة من هيبة الوحي

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « إذا أراد الله تعالى أن يوحي بأمرٍ تكلم بالوحي ، فاذا تكلّم بالوحي أخذت السماءَ رجفة شديدة من خوف الله تعالى ،فاذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخرّوا سجّداً ، فيكون أوّل من يرفع رأسه جبريل عليه السلام فيكلمه الله تعالى من وحيه بما أراد ؛ فيمضي به جبريل عليه السلام على الملائكة فكلّما مرَّ بسماء سماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا ياجبريل ؟ فيقول: قال الحقَّ ، وهو العلي الكبير . فيقولون كلّهم مثلَ ما قال جبريل ، فينتهي جبريل عليه السلام بالوحي حيث أمره الله تعالى من السماء والأرض »[1] .

وهذه الرجفة الشديدة التي تأخذ السماوات من سطوات الهيبة هي المشار إليها بقوله تعالى ﴿ حم عسق . كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلكَ اللهُ العزيزُ الحكيم .له مافي السموات ومافي الأرض ، وهو العليُّ العظيم . تكاد السموات يتفطّرن من فوقهن ﴾ ـ أي من سطوة

(١) رواه الطبراني والبيهقي وابن جرير وابن خزيمة ، وأصله في الصحيحين كما سيأتي ، وانظر تفسير ابن كثير والدر المنثور وغيرهما .

الوحي الوارد عليهن من فوقهن ﴿ والملائكة يسبّحون بحمد ربهم ﴾ الآية

اكرام سيدنا رسول الله لجبريل الامين عليه السلام

لقد كان لجبريل عليه السلام عند رسول الله ﷺ ، منزلة كريمة ومحبة عظيمة ، ورتبة مكينة ، وأخوّة متينة ، فكان ﷺ كثيراً مايخاطب جبريل عليه السلام بصيغة الأخوة فيقول : « يا أخي ياجبريل » وكان ﷺ ينتظر زيارته ويترقّبها ويستزيده منها ، حباً فيه واشتياقاً إليه ، كما جاء في الصحيحين وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام : « مايمنعكَ أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ » فنزلت ﴿ وما نتنزّل إلا بأمر ربك ، له مابين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ، وما كان ربك نسيّاً ﴾ .

وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن عكرمة قال : أبطأ جبريل النزول على النبي ﷺ أربعين يوماً ـ وفي رواية اثنتي عشرة ليلةً ـ ثم نزل ، فقال له النبي ﷺ : « مانزلتَ حتى اشتقتُ إليك » فقال له جبريل : بل أنا كنتُ إليك أشوقَ ، ولكني مأمور ، فأوحى الله تعالى إلى جبريل : أن قلْ له : ﴿ وما نتنزّل إلاّ بأمر ربك ﴾ . الآية

كما وأن جبريل عليه السلام هو صاحب رسول الله ﷺ في إسرائه إلى المسجد الأقصى، يقوم بواجب تكريم النبي ﷺ وحفاوته، وإظهار فضل مقامه ورتبته، وتقديمه ﷺ إماماً بالأنبياء والمرسلين صلوات الله تعالى عليه وعليهم أجمعين.

كما وأن جبريل عليه السلام هو صاحب رسول الله ﷺ ليلة المعراج كما صح في أحاديث المعراج، فكان يمشي في ركاب عزيز الجناب، ويفتح له الأبواب، ويفتتح له الخطاب عند التقائه ﷺ بالأحباب ـ أي عند التقائه ﷺ باخوانه الأنبياء صلى الله عليه وعليهم وسلم ـ فكان جبريل عليه السلام يفعل ذلك قياماً بواجب التعظيم، والاحترام والتكريم، لمقام هذا الرسول الكريم إمام الأنبياء والمرسلين، وأكرم الأولين والآخرين على رب العالمين صلوات الله تعالى عليه وعلى جميع إخوانه النبيين.

اسرافيل عليه السلام وبعض وظائفه

خشيته من الله تعالى: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال ﷺ «إن الله تعالى خلق إسرافيل منذ يوم خلقه صافّاً قدميه لا يرفع بصره ـ أي من خشية الله تعالى ـ بينه وبين الربّ تبارك وتعالى سبعون

نوراً ، ما منها نور يدنو منه إلاّ احترق »[١] . قال في المشكاة : رواه الترمذي وصححه .

إسرافيل يخيّر النبي ﷺ بين مقامي الملكية والعبدية :

روى الطبراني باسنادٍ حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ ذات يوم وجبريل على الصفا فقال : « ياجبريل والذي بعثك بالحقّ ما أمسى لآل محمد سفَّة من دقيقٍ ، ولا كفّ من سويق » فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدَّةً من السماء أفزعته فقال ﷺ « أمر الله تعالى القيامة أن تقوم ؟ » فقال جبريل : لا ولكن أمر إسرافيل فنزل إليكَ حين سمع كلامك ، فأتاه إسرافيل فقال : إن الله قد سمع ماذكرتَ فبعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض ، وأمرني أن أعرض عليك ، أسيّر معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة فان شئت نبياً ملكاً وإن شئت نبياً عبداً ـ ثلاثاً ـ قال ﷺ : « فأشار جبريل إليَّ بيده ـ أنْ تواضعْ ـ فعرفتُ أنه ـ أي جبريل ـ لي ناصح ، فقلتُ : نبياً عبداً . ثم قال ﷺ : فلو أني قلت : نبياً ملكاً لسارتْ الجبال معي ذهباً »[٢] .

---

(١) ورواه البيهقي في الشعب وأبو الشيخ في العظمة ، كما في شرح المواهب والخصائص الكبرى وغيرهما .

إسرافيل عليه السلام يأتي رسول الله ﷺ بمقاليد الدنيا :

روى الإمام أحمد وابن حبان والضياء برجال الصحيح عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أُتيتُ بمقاليد الدنيا على فرسٍ أبلق ـ أي في لون سواد وبياض ـ جاءني به جبريل عليه قطيفة من سندس وفي رواية : جاءني به إسرافيل . قال الزرقاني : ولا تنافي بين ذلك لأنه من باب تعدّد المجيء وأن كلاّ من جبريل وإسرافيل عليهما السلام جاء بذلك أو أن الآتي بذلك جبريل وصَحِبه إسرافيل عليهما السلام . والظاهر هو الأول .

وقد اختار النبي ﷺ مقام العبدية ولم يختر الملكية تواضعاً لله تعالى وعبودية له وتقرّباً وتحبّباً ، لان مقام العبدية أحب إليه سبحانه وأقرب لديه ، ولكل مقامٍ أحكام ومطالب نفصلها في غير هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وينبغي أن يُعلم أن النبي ﷺ قد انطوى له مقام الملكية في مقام العبدية ، غير أنه أخفاه ولم يظهر العمل بمقتضاه ، دلَّ على ذلك حديث الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن عفريتاً من الجنّ تفلّتَ عليَّ البارحة ليقطع عليَّ الصلاة ، فأمكنني الله منه

فأردت أن أربطه إلى ساريةٍ من سواري المسجد حتى تصبحوا تنظرون إليه كلكم ، فذكرتُ قول أخي سليمان ﴿ ربِّ هبْ لي ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي ﴾ .

إسرافيل عليه السلام يدعو الخلائق عن أمر الله تعالى فيخرجون من قبورهم :

قال الله تعالى : ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ، ثم إذا دعاكم دعوةً من الأرض إذا أنتم تخرجون ﴾ .

والمعنى : ومن آياته تعالى الدالة على وجود ذاته وكمال صفاته ، قيام السماء والأرض على هيئتهما الوجودية وكيفيتهما الكونيَّة ، بأمره تعالى إلى أجل مسمّىً قدَّره لهما ، ثم إذا دعاكم بعد انقضاء ذلك الأجل المسمى ـ وأنتم في قبور الأرض ـ دعوة واحدة إذا أنتم تخرجون سِراعاً .

وإسرافيل عليه السلام هو الذي يدعو الخلائق بأمر الله تعالى قال تعالى : ﴿ فتولَّ عنهم يوم يدعُ الداعِ إلى شيءٍ نُكُر . خُشَّعاً أبصارهم ، يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر . مهطعين إلى الداعِ ، يقول الكافرون هذا يوم عَسِر ﴾ .

جاءت هذه الآيات بعد قوله تعالى : ﴿ وإنْ يرَوْا آيةً يعرضوا ويقولوا سحر مستمرّ ﴾ . والمعنى : فأعرض عن أُولئك المعرضين عن

الإيمان بآياتنا بعدما رأوها ، وأنذرهم يوم يدعُ الداعي إلى شيء نُكُر - أي فظيع تنكره النفوس - وهو هول الموقف يوم القيامة ، وما فيه من البلاء والكُرَب والشدائد عياذاً بالله تعالى ﴿ خشعاً أبصارهم ﴾ أي ذليلةً أبصارهم ﴿ يخرجون من الأجداث ﴾ - أي القبور - ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ في كثرتهم وتموّجهم وانتشارهم وسرعة سيرهم إلى المحشر ﴿ مهطعين إلى الداع ﴾ - أي مسرعين إليه متوجهين صَوْبه مادّي أعناقهم نحوه .

وإسرافيل عليه السلام هو المنادي في الخلائق يوم القيامة ، قال الله تعالى : ﴿ واستمع يوم يُنادِ المنادِ من مكانٍ قريبٍ ﴾ - أي قريب من الخلائق ، ليأخذ النداء منهم كلَّ مأخذ ، ويؤثر فيهم كل التأثير ﴿ يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ﴾ - أي من القبور - روي : أن إسرافيل عليه السلام ينادي : ياأيّتها العظام النَّخِرة ، والجلود المتمزّقة والأشعار المتقطعة ، إن الله تعالى يأمركِ أن تجتمعي لفصل الحساب[١] ، ويروى : إن الله تعالى يأمركنَّ أن تجتمعن لفصل القضاء .

---

(١) رواه ابن عساكر والواسطي وابن جرير ، كما في تفسير ابن كثير والدر المنثور وغيرهما .

إسرافيل عليه السلام هو صاحب القرْن ـ وهو الصور ـ الذي ينفخ فيه :

قال الله تعالى : ﴿ ونُفخ في الصُّور فصَعِق من في السموات ومن في الأرض إلاَّ من شاء الله ، ثم نفخ فيه أُخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ .

وقد بيَّن النبي ﷺ أن الذي ينفخ في الصور هو إسرافيل عليه السلام ، فروى الترمذي وغيره عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « كيف أنعم ـ أي كيف أتنعم بنعيم الدنيا ـ وقد التقم صاحب القَرْن القرنَ[1] وحنا جبهته ينتظر أن يؤمر فينفخ ؟ ! » ، فكأن ذلك ثقل على الصحابة فقالوا : يارسول الله كيف نفعل أو كيف نقول ؟فقال ﷺ : « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، توكَّلنا على الله . وربما قال : على الله توكَّلنا » .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إسرافيل صاحب الصور ، وجبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، وهو بينهما »[2].

---

(١) المراد بالقرن هنا الصور الذي هو مجمع الأرواح بعد مفارقة الأشباح ، وهو عالم كبير ليس كروياً ، بل هو على شكل القرن .

(٢) رواه الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث والشعب وأبو الشيخ في العظمة ، كما في الدر المنثور وغيره .

حول ميكائيل عليه السلام

إن لميكائيل عليه السلام مناصب عديدةً ، فمنها : أنه أحد وزيري سيدنا رسول الله ﷺ في السماء . كما روى الترمذي باسناد صحيح والحاكم وصححه عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إن لي وزيرين من أهل السماء ، ووزيرين من أهل الأرض ؛ فوزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل ، ووزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر » .

قال العلامة القرطبي : في الحديث دليل على أن المصطفى ﷺ هو أفضل من جبريل وميكائيل عليهما السلام اه قال عبد الله : وهذا استنباط حسن وكلام حقّ ، لأنه حيث كان جبريل وميكائيل في المنزلة عنده ﷺ منزلة الوزيرين ، فمنزلته ﷺ عندهما منزلة الرئيس النبيل والآمر الأصيل ﷺ ، وإن شأن الوزير أن يشدَّ الأزر عند احتدام الأمر . قال الله تعالى إخباراً عن موسى عليه السلام : ﴿ واجعل لي وزيراً من أهلي ، هارون أخي ، أشدد به أزري ﴾ وموسى أفضل من هارون عليهما السلام .

وقد روى الطبراني والبزار وأبو نعيم عن ابن عباس مرفوعاً: « إن الله تعالى أيّدني بأربعة وزراء ، اثنين من أهل السماء : جبريل وميكائيل ،

واثنين من أهل الأرض : أبي بكر وعمر » .

ومن أجل هذا المنصب الوزاري نزل جبريل وميكائيل عليهما السلام يوم أحد يقاتلان إلى جانبي رسول الله ﷺ ، كما ثبت في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : رأيتُ على يمين رسول الله ﷺ وعلى شماله يوم أحد رجلين ، عليهما ثياب بيض يقاتلان كأشدِّ القتال، مارأيتهما قبلُ ولا بعدُ . يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام.

وقول سعد رضي الله عنه مارأيتهما قبل - لاينافي ماورد في البخاري عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال يوم بدر : « هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب » - أي حامل السلاح - فيحتمل أن سعداً لم يرَ جبريل يوم بدر .

وجاء في حديث الطبراني والبيهقي وغيرهما عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال في جملةٍ من حديث طويل : « قلتُ : ياجبريل على أيِّ شيءٍ أنت ؟ - أي على أيِّ شيء ولاّكَ الله تعالى في جملة ماأمرك به - قال : على الرياح والجنود . قلتُ : على أيِّ شيءٍ ميكائيل ؟ فقال :على النبات والقطر[1] » .

(١) وقد أورد هذا الحديث صاحب الدر المنثور وقال : سنده حسن . أي لغيره لاعتضاده بشواهد متعددة .

حملة العرش المجيد

قال الله تعالى : ﴿ الذين يحملون العرش ومَن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به .. ﴾ الآية .

فأخبر سبحانه أن للعرش حملة يحملونه تعزُّزاً وتشرفاً ، وفي ذلك مظهر لسلطان الملك ، ومقام هيبة الربوبية .

كما بيَّن سبحانه عدَّة حملة العرش فقال : ﴿ والمَلَكُ على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذٍ ثمانية ﴾ فحملةُ العرش يوم القيامة هم ثمانية بنصِّ الآية، ولكن اختُلف في عددهم الآن.فقال بعضهم:هم الآن أربعة واستدلوا بما رواه ابن جرير بإسناده عن ابن زيد مرفوعاً : « إن العرش يحمله اليوم أربعة ، ويوم القيامة ثمانية ».

وقال بعضهم :هم الآن ثمانية أيضاً ، واستدلوا بما رواه ابن أبي حاتم باسناده عن ابن عمر قال : حملة العرش ثمانية ، مابين موق أحدهم إلى مؤخر عينه مسيرة مائة عام .

واختلف في المراد بالثمانية ؟ فقائلون بأنهم ثمانية من الملائكة ، وقائلون بأنهم ثمانية صفوف من الملائكة . فقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذٍ ثمانية ﴾ قال : ثمانية صفوف من الملائكة ، لايعلم عدتهم إلا الله تعالى .

روي أن أربعة منهم يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ، على حلمك بعد علمك ، وتُجيبهم الأربعة الثانية : سبحانك اللّهم وبحمدك على عفوك بعد قدرتك . والله تعالى أعلم .

عظمة حملة العرش : روى أبو داود عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أُذِن لي أن أُحدِّث عن ملكٍ من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أُذنه إلى عاتقه - أي كتفه - مسيرة سبعمائة عام » . وجاء في رواية الطبراني : «أن ما بين شحمة أُذنه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة سنة ، يقول : سبحانك حيث كنت » . وروى أبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أُذِن لي أن أحدث عن ملكٍ قد مرقتْ رجلاه في الأرض السابعة ، والعرش على منكبيه ، وهو يقول : سبحانك أين كنت وأين تكون[1] » .

هيبة حملة العرش ومن يلونه من سطوات الأوامر الإلٓهية :

قال الله تعالى : ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلاّ لمن أُذن له ، حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم[2] قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحقَّ ، وهو

(١) والمعنى : سبحانك في قِدمك الذي لا أول له ، وسبحانك في بقائك الذي لا آخر له ، قال في مجمع الزوائد : رجاله رجال الصحيح اهـ .

(٢) التفزيع : إزالة الفزع ، فصيغة التفعيل هنا للسلب ، والمعنى : حتى إذا أزيل الفزع عن قلوب الملائكة المتسبب عن سطوات الأوامر ، الصادرة عن مقام العلي الكبير ، ذي العظمة والكبرياء .

العليُّ الكبير ﴾ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ جالساً في نفر من أصحابه - وفي رواية عبد الرزاق : من الأنصار - فرمي بنجم فاستنار - أي أضاء الشهاب - فقال ﷺ : « ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية ؟ » قالوا : كنا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم . فقال ﷺ : « فإنها لا يرمى بها لموت أحدٍ ولا لحياته ، ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمراً سبَّح حملة العرش ، ثم سبَّح أهل السماء الذين يلونهم ، حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا ، ثم يستخبر أهل السماء الذين يلون حملة العرش ، فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش : ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ، ويخبر أهل كلِّ سماءٍ سماءً حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء ، وتخطَف الجنُّ السمعَ فيُرمَون - أي ترميهم الملائكة بالشهب - فما جاءوا به على وجهه فهو حقٌّ ، ولكنهم يَقْرِفون فيه ويزيدون »(١).

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال : « إذا قضى الله تعالى الأمر في السماء ضَربت الملائكة بأجنحتها

(١) يعني أن الجن المسترقين للسمع يسمعون .تلك الكلمة من ملائكة السماء الدنيا فيزيدون فوقها مائة كذبة ويصدقون بتلك الكلمة التي سمعوها ويكذبون بما وراءها . وهذا الحديث رواه مسلم واللفظ له والامام أحمد والترمذي والنسائي .

خُضعاناً لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال : الحقَّ وهو العليُّ الكبير ، فيسمعها مسترقُ السمع ، ومسترق السمع هكذا : بعضه فوق بعض فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا ، كذا كذا ، فيصدَّق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء » .

وظائف حملة العرش ومن حوله :

قال الله تعالى : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ، ويستغفرون للذين آمنوا : ربنا وسعت كل شيء رحمةً وعلماً ، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ، وقِهِمْ عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنات عدنٍ التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذريَّاتهم ، إنك أنت العزيز الحكيم . وقِهِمُ السيئاتِ ، ومن تَقِ السيئاتِ يومئذٍ فقد رحمته ، وذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

يخبر الله سبحانه عن حملة عرشه ومن حوله أنهم ملازمون لتسبيحه وتحميده سبحانه ، ودائبون على الإيمان به ، والاستغفار للمؤمنين . أما

التسبيح فهو تنزيه الله تعالى عمالا يليق ، وأما التحميد فهو إثبات المحامد له سبحانه لكماله ولنواله ، وذلك أن الله تعالى يستحق الحمد على كمالاته الذاتية وصفاته العلية ، وعلى إحسانه وإنعامه وبرِّه وإفضاله على سائر مخلوقاته .

وقوله تعالى ﴿ ويؤمنون به ﴾ - أي يؤمنون به إيماناً عملياً - وهو قيامهم بأنواع العبادات التي يعبدون الله تعالى بها ، من سجدات وصلوات ونحو ذلك من التعبدات العملية التي يأمرهم الله تعالى بها .

وذلك لأن الإيمانَ قد يطلق على الإيمان العمليّ المبني على الإيمان الاعتقادي كالصلاة ونحوها ، قال تعالى : ﴿ ما كنتَ تدري ماالكتابُ ولا الإيمان ﴾ الآية ، قال بعض السلف : المراد بالإيمان هنا الأعمال التعبدية كما قال تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ أي أعمالكم التعبدية المبنية على الإيمان الاعتقادي التصديقي ، وقد نزلت هذه الآية في الصلاة ، كما صحح الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما وُجِّه رسول الله ﷺ إلى الكعبة قالوا : يارسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس ؟ - أي ما حكم صلواتهم الماضية قبل التحول إلى الكعبة المشرفة - فأنزل الله تعالى ﴿ وما كان الله

ليضيع إيمانكم ﴾ الآية . أي صلاتكم ونحوها من بقية الأعمال الإيمانية[١].

وعلى هذا فقد وصف سبحانه حملة العرش ومن حوله بأنهم دائبون على التسبيحات والتحميدات القولية ، دائمون على العبادات العملية ، كما وصفهم سبحانه بقوله ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ لمناسبة الإيمان الجامعة بينهم . فإنها جعلت بينهم ولاءً ومحبةً وشفقةً ونصيحةً . فهم يقولون ﴿ ربَّنا وسعتَ كل شيءٍ رحمةً وعلماً فاغفر للذين تابوا ﴾ والمعنى أنهم سألوا الله تعالى متوسّلين إليه بسعة رحمته كل شيء وهي الرحمة المعنية باسم « الرحمن » الذي عمَّت رحمته كل شيء : العرشَ والفرش قال الله تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾. ومتوسّلين إليه بسعة علمه وإحاطته بكل شيء أن يغفر سبحانه للذين تابوا ـ أي رجعوا إلى الله عما لا يرضاه ـ .

﴿ واتبعوا سبيلك ﴾ أي صراط شرعك الذي أقمته لهم وأمرتهم أن يتبعوه ويمشوا على منهاجه دون أن يعدلوا عن سَنَن استقامته إلى المنحرفات والمعوجات . قال تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه

---

(١) وذلك لأن خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ ، ولكن سبب النزول هو قطعي الدخول في الآية ، فجميع الأعمال الشرعية العقيدية داخلة في قوله تعالى ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ كما قال تعالى ﴿ فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم ﴾ الآية .

ولا تتبعوا السُّبُل فتفرّقَ بكم عن سبيله ، ذلكم وصَّاكم به لعلكم تتقون ﴾ .

﴿ وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جناتِ عدن التي وعدّتهم ﴾ وفي هذا تمام الفضل والنعمة عليهم ، وذلك بأن يقيهم الله تعالى عذاب الجحيم ويتفضل عليهم فيدخلهم جنة النعيم ، إذ لو وقاهم العذاب وحده ولم يدخلهم الجنة لبقوا على السور بين الجنة والنار . فسبحان الكريم الغفار .

﴿ ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذريّاتهم ، إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ وفي هذا الدعاء قرّة أعين المؤمنين التائبين المتبعين سبيل ربهم بآبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، فيدخل من صلح منهم الجنة إلحاقاً بهم ، ليزداد نعيمهم ويتضاعف سرورهم من جميع الوجوه والاعتبارات . قال تعالى ﴿ والذين آمنوا ﴾ أي إيماناً عظيماً ﴿ واتبعتهم ذريتهم بإيمانٍ ﴾ أي دون إيمان آبائهم ﴿ ألحقنا بهم ذريتهم ﴾[1] الآية .

﴿ وقهم السيئات ، ومن تَقِ السيئاتِ يومئذٍ فقد رحمته ، وذلك هو الفوز العظيم ﴾ وهذا دعاء لهم أن يحفظهم الله تعالى من السيئات

---

(١) وهذا دليل على أن النسب الصالح ينفع ، فبه يلحق المتابع المقصّر في عمله بأصوله المجدّين في أعمالهم ، وأما المبطىء في عمله عن السير والمتابعة فقد قال ﷺ : « ومن بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه » . وفي قوله تعالى ﴿ وكان أبوهما صالحاً ﴾ دليل صريح على نفع النسب الصالح ، فانه سبحانه أمر الخضر عليه السلام أن يقيم الجدار – أي يرفعه مستقيماً بعد ميله للهبوط – حفظاً لكنز اليتيمين تحته ، إكراماً لأبيهما الصالح .

في الدنيا والآخرة ، فلا يسوء لهم حال ولا يساء لهم وجه ، ومن وقاه الله تعالى السيئات يوم القيامة فقد رحمه سبحانه برحمته الخاصة المعنيّة في قوله تعالى ﴿ وكان بالمؤمنين رحيماً ﴾ وقوله ﴿ يختصُّ برحمته من يشاء ، وذلك هو الفوز العظيم ﴾ اللهم اجعلنا منهم .

فما أكرم المؤمنين على ربهم ! إنهم لتستغفر لهم حملة العرش ومن حوله ويدعون لهم بكل خير ، ويسألون الله تعالى لهم كل سعادة وبرّ ، ولمن يلوذ بهم من الآباء والأزواج والذرية . وما كان ذلك إلا عن أمر الله تعالى لهم بذلك ، لأن الملائكة لا يسبقونه تعالى بالقول وهم بأمره يعملون .

اعلام رب العالمين حملة العرش بحبه ورضاه عمن ارتضاه، وغضبه على من أغضبه، ثم تنزل ذلك في العوالم السماوية والارضية

قال الله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدّاً [١] ﴾ .

روى الإمام أحمد عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « إن العبد ليلتمس مرضاة الله عزّ وجلّ فلا يزال كذلك ، فيقول الله عزّ وجلّ لجبريل : إن فلاناً عبدي يلتمس أن يرضيني ، ألا وإن رحمتي عليه ،فيقول جبريل: رحمة الله على فلان،ويقولها حملة العرش،ويقولها من حولهم حتى يقولها أهل السماوات السبع ،ثم يهبط إلى الأرض ـ زاد ابن مردويه في روايته عن ثوبان: فقال ﷺ : وهي الآية التي أنزل الله في كتابه ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّاً ﴾ ـ وإن العبد ليلتمس سخط الله فيقول الله : ياجبريل إن فلاناً يُسخطني ، ألا و إن غضبي عليه ، فيقول جبريل : غضبُ الله على فلان ، ويقوله حملة العرش ، ويقوله من دونهم حتى يقوله أهل السماوات السبع ، ثم يهبط ـ أي القول بذلك ـ إلى الأرض » .

---

(١) في هذه الآية إعلام الله تعالى عباده الذين آمنوا وعملوا اصالحات ـ وهي الأعمال الخالصة له المتابعة لشرعه ـ بأنه سيجعل لهم ودّاً ، أي حباً ثابتاً =

وروى مسلم - والبخاري والترمذي باختصار - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله إذا أحبَّ عبداً دعا جبريل فقال : إني أحبُّ فلاناً فأحبَّه ، قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء ، فيقول : إن الله يحبّ فلاناً فأحِبُّوه ، فيحبه أهل السماء ، قال ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلانا فأبغضه ، قال فيبغضه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء : إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه ، قال فيبغضونه ثم ، توضع له البغضاء في الأرض » .

= ممكناً في قلوب أهل الملأ الأعلى والسماوات والأرض ، وذلك أنه لما أحبُّوه وأطاعوه أحبَّهم ، فلما أحبهم حبَّبهم إلى عباده المؤمنين . وقد روى الترمذي أن النبي ﷺ قال : « وما أقبل عبد على الله بقلبه إلا جعل الله قلوب المؤمنين تنقاد إليه بالودِّ والرحمة ، وكان الله بكلّ خير إليه أسرع » ، وروى ابن أبي حاتم عن الحسن البصري رحمه الله ، أنه قال : قال رجل والله لأعبدن الله عبادةً أذكر بها ، فكان لا يُرى في حين صلاة إلا قائماً يصلي ، وكان أوّلَ داخلٍ إلى المسجد وآخر خارج منه ، فكان لا يعظم - أي عند الناس - فمكث بذلك سبعة أشهر ، فكان لا يمرُّ على قوم إلا قالوا : انظروا إلى هذا المرائي ، فأقبل على نفسه فقال : لا أراني أذكر إلا بشرّ ، لأجعلنّ عملي كلَّه لله عزَّ وجلَّ - أي مخلصاً - فلم يزد على أن قلب نيته ، ولم يزد على العمل الذي كان يعمله ، فكان يمرّ بعدُ بالقوم فيقولون : رحم الله فلاناً الآن وتلا الحسن البصري قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّاً ﴾ .

وروى أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إِن المِقَةَ ـ أي المحبة ـ من الله تعالى ، والصِّيت من السماء ، فإِذا أحبَّ الله عبداً قال لجبريل : إِني أحب فلاناً ..» الحديث .

الملأُ الأَعلى - النَّدِيُّ الأَعلى - الرفيق الأَعلى

هم أشراف الملائكة ومقرَّبوهم . قال الله تعالى : ﴿ قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون . ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون . إن يُوحى إليَّ إلا أنما أنا نذير مبين ﴾ .

والمقصد في هذه الآيات إقامة الحجة القاطعة على حقيّة نبوّة سيدنا محمد ﷺ لأنه ﷺ جاء يخبر بأمور لم يكن قبل ذلك يعلمها حتى أنزل الله تعالى الوحي فأعلمه بذلك .

فقال سبحانه : ﴿ قل ﴾ يا محمد محتجاً على المنكرين لنبوتك ﴿ هو ﴾ أي القرآن أو النبوة وكلاهما متلازمان ومستلزمان لبعضهما ﴿ نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ﴾ لتمادي غفلتكم وعدم تفكركم ، فإِن العاقل لا يعرض عن مثل هذا النبأ العظيم والأمر القويم ، بل شأن العاقل أن يفكر فيه ويعتبر ، فإِن ذلك يحمله على أن يؤمن بنبوةِ سيدنا محمد ﷺ والقرآنِ الذي جاء به ، وأنه حقاً رسول الله ، وأن هذا القرآن حقاً هو

كلام الله تعالى ، ولا يحتمل غير ذلك ، لأنه ﴿ ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون ﴾ .

يعني أنه ﷺ قبل أن ينبأه الله تعالى وينزل عليه القرآن ما كان عنده علم باختصام الملأ الأعلى ، وما يجري بينهم من التقاول في قضية آدم ، وقضية اعتبارات أعمال بني آدم : من الكفارات والدرجات وتنزيلها في منازلها وإعطائها استحقاقاتها ، فهو ﷺ لم يكن عنده علم بجميع ذلك قبل أن ينبأ وينزل القرآن عليه ، لأنه كان أمياً ﷺ ، فلم يقرأ الكتب الماضية ولم يسمعها من أهلها ، فمن أين جاء بهذه العلوم الوافرة الكثيرة التي من جملتها العلم باختصام الملأ الأعلى ؟ إذاً حقاً إنه رسول الله ﷺ أوحى الله تعالى إليه وعلّمه ذلك كله .

روى أحمد في مسنده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة من صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس ، فخرج ﷺ سريعاً فثوّب بالصلاة ، فصلّى وتجوّز ـ أي أسرع ـ في صلاته فلما سلم ﷺ قال : « كما أنتم على مصافكم » ـ أي لا تفارقوا مكانكم ـ ثم أقبل إلينا فقال : « إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة ، إني قمتُ من الليل فصلّيتُ ماقدِّر لي فنعَستُ في صلاتي

حتى استيقظت فإذا أنا بربي عزّ وجلّ في أحسن صورةٍ[١] ، فقال : يامحمد أتدري فيمَ يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدري ياربِّ فأعادها ثلاثاً . فرأيته وضع كفَّه بين كتفيّ حتى وجدتُ بَرْدها بين ثديَيّ[٢] ، فتجلَّى لي كلّ شيءٍ ، وعرفتُ ـ وفي رواية الترمذي : فعلمتُ ما في السموات وما في الأرض ـ فقال : يامحمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟[٣] قلتُ : في الكفَّارات والدرجات . قال : وما الكفَّارات ؟ قلتُ : نقل الأقدام إلى الجماعات ، والجلوس في المساجد بعد الصلوات ، وإسباغ الوضوء عند الكريهات . قال : وما الدرجات ؟ . قلتُ : إطعام الطعام ، ولين الكلام ، والصلاة والناس نيام[٤] . ثم قال : سَلْ . قلتُ :

---

(١) قال ابن الأثير في جامع الأصول : الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها ، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته ، وعلى معنى صفته . يقال : صورة الفعل كذا وكذا ، لهيئته ، وصورة الأمر كذا وكذا ، لصفته ، فيكون المراد بما جاء في الحديث :إنه أتاه في أحسن صفته ، ويجوز المعنى إلى النبي ﷺ أي أتاني ربي وأنا في أحسن صورة اهـ قال عبد الله : ومما يؤيِّد أن الصورة قد يراد بها الصفة قوله ﷺ : « إنَّ أوَّل زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر » أي على صفته في النور والاضاءة ، وليس المراد هيئته المستديرة .

(٢) في هذا رموز وإيماءات إلى إفاضات وتجليات فيها انكشافات ومشاهدات وعلوم وإطلاعات ، فسبحان مَن تنزَّه عن الكميات والكيفيات ! .

(٣) قال ابن الأثير : الملأ هم أشراف الناس وسادتهم وأرادهنا بالملأ الأعلى الملائكة المقربين اهـ .

(٤) فاختصام الملأ الأعلى هو التقاول الذي يجري بينهم في شأن الكفارات والدرجات=

اللهم إني أسالك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحبَّ المساكين وأن تغفرلي وترحمني ، وإذا أردت فتنةً في قومٍ فتوفَّني غير مفتون ، وأسالكَ حبَّك وحبَّ مَنْ يحبك ، وحبَّ عمل يقربني إلى حبّك . وقال ﷺ : إنها حقٌ فادرسوها وتعلّموها[٢] » .

الندي الأعلى[٣]

ويقال للملأ الأعلى: الندي الأعلى ، وذلك باعتبار اجتماعهم في مجتمعٍ عالي الرتبة ، رفيع المكانة ، للتباحث في تدابير الأمور بإذنه تعالى ، وللنظر في مُخَوَّلات أعمال المؤمنين واستحقاقاتها، وغير ذلك مما يتعلق بالأكوان عامَّةً .

من الأعمال والأقوال على اختلاف أنواعها فيتباحثون في الدرجات واستحقاقاتها ومقتضياتها وأيّها أحب إلى الله تعالى ، وأيّها أعظم درجة وأكثر ثواباً ، وفي الكفارات ومقدارما تكفر من الذنوب وتقي من العقوبات ، فيجري بينهم التقاول في ذلك ثم يرفع الأمر إلى ربّ العزّة أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين فيحكم حكمه في ذلك ولا معقّب لحكمه جلّ وعلا .

(٢) ورواه الترمذي عن ابن عباس وقال حسن صحيح ، وروي النسائي بعضه والحاكم وقال على شرطها .

(٣) ذكر في النهاية أن الندي بالتشديد النادي وهو : مجتمع القوم ، وأهل المجلس فيقع على المجلس وأهله ، والمراد بالنديّ الأعلى : الملأ الأعلى من الملائكة .

قال تعالى : ﴿ فالمدبِّرات أمراً ﴾ .

روى أبو داود عن أبي الأزهر الأنماري أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال : « بسم الله ، وضعتُ جنبي لله ، اللهمَّ اغفرلي ذنبي ، واخسأ شيطاني[١]، وفُكَّ رِهاني[٢]، واجعلني في النديِّ الأعلى » ورواه الحاكم بزيادة « وثقِّل ميزاني[٣] » .

الرفيق الأعلى

ويسمى الملأ الأعلى : الرفيق الأعلى لما روى الشيخان ـ واللفظ للبخاري في الدعاء ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح[٤]: «لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يُخيَّر» فلما نزل به، ورأيتُه على فخذي غشي عليه ﷺ ثم أفاق فأشخص بصره إلى السقف ثم قال : « اللهم

(١) أي اجعله خاسئاً مطروداً ، يقال خسأت الكلب : طردته .

(٢) أي خلّصني من عقال مااقترفت من الأعمال التي لاترتضيها ، وذلك بالعفو عنها والرهان هو الرهن ، وهو مايجعل وثيقةً في الدَّين ، والمراد هنا النفس لأنها مرهونة بعملها قال تعالى ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ وهذا تعليم لأتباعه ﷺ أن يدعوا عند النوم بهذا الدعاء الجامع لخير الدنيا والآخرة ولأنه سبب في عروج روح النائم إلى النديّ الأعلى ، كلٌ على حسب مقامه . وصلى الله على معلم الناس الخير وسلم .

(٣) أي بالأعمال الصالحة . (٤) أي قبل أن يمرض مرض الوفاة ﷺ .

الرفيق الأعلى » وفي رواية للبخاري عن عائشة سمعت النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه وأخذته بُحَّة يقول ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم . ﴾ الآية . وفي رواية أحمد : « اللهمَّ مع الرفيق الأعلى ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء، إلى قوله : رفيقاً » وعند النسائي وابن حبان في صحيحه فقال : « أسأل الله الرفيق الأعلى الأسعدَ ، مع جبريل وميكائيل وإسرافيل » . قالت عائشة رضي الله عنها : فقلت إذاً لايختارنا ، وعرفتُ أنه الحديث الذي كان يحدثنا به وهو صحيح ، فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها ﷺ « اللهم الرفيق الأعلى »[1] .

(١) نقل السهيلي عن الواقدي أن أولَ كلمة تكلم بها ﷺ وهو مسترضع عند حليمة : « الله أكبر » وآخر كلمة تكلم بها كما في حديث عائشة « في الرفيق الأعلى » وروى الحاكم من حديث أنس أن آخر ما تكلم به ﷺ : « جلال ربي الرفيع » . اهـ نعم ، هذا مع ربه ، وأما آخر ما تكلم به من وصاياه لأمته: « الصلاةَ الصلاةَ وماملكت أيمانكم » .

الكروبيّون

قال الله تعالى : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقرَّبون ﴾ .

الكَروبيّون بتخفيف الراء . قال في القاموس : هم سادة الملائكة ، منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام وهم المقرَّبون ، من: كَرَبَ إذا قَرُبَ اهـ وقال في النهاية : وفي حديث أبي العالية « الكروبيُّون سادة الملائكة » وهم المقرَّبون اهـ .

وفي شرح المواهب نقلاً عن تذكرة الشيخ تاج الدين بن مكتوم أنه سئل ابن دحية : هل يعرف الكروبيُّون لغةً أم لا ؟ فقال : الكروبيون بتخفيف الراء سادة الملائكة وهم المقرَّبون ، من: كرب إذا قرب ، أَنشد أبو علي البغدادي : كروبية منهم ركوع وسجَّد ، وقال العلامة الطيبي عن بعض العلماء : في هذه اللفظة : « الكروبيين » ثلاث مبالغات أحدها : أن كرب أبلغ من قرب ، وضع موضع كاد . والثانية : أنه على وزن فعول وهو للمبالغة . والثالثة : زيادة الياء وهي تزاد للمبالغة كأحمريّ اهـ .

فهذا يدل على أن الكروبيين هم المقرَّبون من الملائكة عليهم السلام بالقرب الخاص المشار إليهم في قوله تعالى ﴿ لن يستنكف المسيح أن

يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ﴾ وإنما ذكر عيسى عليه السلام في سياق الملائكة المقربين ، لأنه من المقربين بالقرب الخاص أيضاً قال تعالى : ﴿ إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشِّرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم ، وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ﴾ فما أشرف المقربين عند رب العالمين ! وإن أقرب المقربين هو الحبيب الأكرم والسيد الأفخم سيدنا محمد ﷺ صاحب مقام قرب الوسيلة وقلب الفضيلة.

المهيَّمون

هم الأرواح المهيَّمة في جلال الله تعالى ، لايشعر أحد منهم بغيره ، بل ولا بنفسه ، لأنهم هائمون بربهم لايعلمون غيره وليس لهم وجهة لسواه أصلاً ، وذلك لأنه تجلَّى عليهم فهيَّمهم به عن كل شيء ، وهؤلاء يسمَّون عند العارفين بـ « العالين » أي الذين لم يتناولهم الأمر بالسجود لآدم ، لأنهم لاعلم لهم بآدم عليه السلام ولابغيره . قال تعالى إنكاراً على إبليس لما تخلف عن السجود لآدم : ﴿ قال مامنعك أن تسجد لما خلقتُ بيديَّ ! أستكبرتَ أم كنت من العالين ؟! ﴾ .

ولما كانوا مهيَّمين بربهم عن أنفسهم كليًّا ، كانت عبادتهم لربهم بالذات لا بالأمر ، كما ذكره الشيخ الأكبر رضي الله عنه في مواضع من الفتوحات ، وذلك لأن الأمر التعبديَّ يتطلب مأموراً له شعور بنفسه ، وهؤلاء قد أُخذوا عن أنفسهم وهُيِّموا بربهم تبارك وتعالى .

مقام من عنده

قال الله تعالى : ﴿ وله مَن في السموات والأرض ، ومَن عنده لايستكبرون عن عبادته ولا يستحسِرون . يسبحّون الليل والنهار لايفترون ﴾ وقال تعالى : ﴿ إنالذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ﴾ .

وهذا مقام شريف ومنصب منيف ، مدح الله تعالى أهله وأثنى عليهم ، وهذا المقام يشمل الملأْ الأعلى وغيرهم .

وفي هذا المقام يذكر الله تعالى أهل القرآن والذاكرين الله تعالى كلاً حسبَ رتبته . قال تعالى : ﴿ فاذكروني أذكرْكم واشكروا لي ولاتكفرون ﴾ .

جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه بينهم إلاّ نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفّتهم الملائكة وذكرهم فيمن عنده . . » الحديث

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد كلاهما عن النبي ﷺ أنه قال : « إن لأهل ذكر الله تعالى أربعاً : تنزل عليهم السكينة ، وتغشاهم الرحمة ، وتحفُّ بهم الملائكة ، ويذكرهم الربُّ فيمن عنده » .

وقد بيّن النبي ﷺ أنواع ذكر العبد لربه ، وما يقابل ذلك من الله تعالى لعبده ، في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يقول الله عزّ وجلّ : أنا عند ظنّ عبدي بي[١]، وأنا معه حين يذكرني[٢] - وفي رواية : إذا ذكرني - فانْ ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرتهُ في ملأ خيرٍ منه ، وإن تقرّب إليّ شبراً تقرّبتُ إليه ذراعاً وإن تقرّب إليّ ذراعاً تقربتُ منه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيتهُ هرولة »[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « قال تعالى يابن آدم إذا ذكرتني خالياً ذكرتك خالياً ، وإذا ذكرتني في ملأ

(١) أي فليظن العبد بربه خيراً فان الله تعالى عند ظنه .

(٢) فليراقب الذاكر معية الله له حين يذكر ربه ، وليعطها حكمها من الهيبة والخشية ، فانها معية خاصة حين الذكر ، غير المعية العامة لجميع أكوان العبد وأحواله المنبَّة عليها بقوله تعالى ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ الآية ، فانها لها أحكامها أيضاً من المحاسبة والمراقبة ونحوهما .

(٣) وهذه كنايات عن مضاعفات تقرب الربّ من عبده أضعاف تقرب العبد من ربه، فضلاً منه ونعمة وكرماً منه سبحانه ومنّةً ، وفي هذا تنشيط للمتقرّبين أن يزيدوا في التقرب ليزيدهم في القرب . والتقرب إلى الله تعالى إنما هو بالأعمال الصالحة والأقوال الطيبة ، كما في الحديث القدسي . « وما تقرب اليّ عبدي بشيء أحبّ اليّ مما افترضته عليه ، ولايزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى أحبه » وفي معنى الحديث الثابت عنه ﷺ قال : « وما تقرب العباد الى الله تعالى بمثل كلامه » الحديث .

ذكرتك في ملأ خير من الذين تذكرني فيهم وأكثر »[١].

ذكر الله تعالى لعباده : ذلك هو مدحه تعالى لهم وثناؤه عليهم في مقام مَنْ عنده بين الملائكة الكرام والأرواح العظام ، وفي ذلك مباهاته تعالى للملائكة ، وتنويهه سبحانه بذكر أحبابه وذاكريه ، وتسجيل ذلك عنده وإعلان هذا الثناء فيمن عنده .

قال الله تعالى : ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أُولي الأيدي والأبصار[٢]. إنا أخلصناهم بخالصةٍ ذكرى الدار[٣] وإنهم عندنا لمن المصطفَيْن الأخيار . واذكر إسماعيل واليَسَع وذا الكفل ، وكلٌ من الأخيار . هذا ذِكْرٌ ، وإن للمتقين لحسنَ مآب ﴾ .

ومعنى « هذا ذِكرٌ » أي هذا ذكرنا بالمدح والثناء والتفضيل والعطاء لأصفيائنا ومقربينا ، فيه شرفهم وإعلان فضلهم ، وإعلام برفعة قدرهم وعلوِّ منزلتهم عند ربهم سبحانه .

زمرة الجنة

قال الله تعالى : ﴿ وسيقَ الذين اتَّقَوْا ربَّهم إلى الجنة زُمَراً ، حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها : سلامٌ عليكم طبتم

(١) رواه البيهقي وابن أبي الدنيا والبزار .

(٢) أي أولي القوة في عبادة الله تعالى وطاعة أوامره ، والأبصار أي البصائر في فهم دين الله تعالى وتلقي العلوم الالهية والمعارف الربانية .

(٣) والمعنى إنا بفضلنا أخلصناهم أي جعلناهم خالصين مخلصين لنا في جميع أمورهم

فادخلوها خالدين ﴾(١) .

الخزنة جمع خازن ، مثل حفطة جمع حافظ ، وهو المؤتمن على الشيء قد استحفظه؛ فعلى كل باب من أبواب الجنة الثمانية خزنة وكِّلوا بذلك، يستقبلون المؤمنين حين دخولهم ، ويرحّبون بقدومهم ويكرمونهم بالتحيّات والاحترامات .

روى الشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من أنفق زوجين في سبيل الله نُودِيَ من أبواب الجنة : ياعبد الله هذا خير . فمن كان من أهل الصلاة دُعيَ من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دُعيَ من باب الجهاد ، ومَن كان منَ أهل الصيام دُعيَ من باب الريّان ، ومن كان أهل الصدقة دُعيَ من

= وأحوالهم بسبب خصلة أصّلناها فيهم خالصة من كل الشوائب، وهي ذكراهم الدار التي فيها نعيم الرؤية وكريم الجوار ، وما هنالك من كل ماتشتهيه أنفس الصالحين وتختار ، فان تلك الدار هي في الحقيقة الدار ، وما قبلها تقلّبات وأسفار ولكن الألبّاء والعقلاء يبحثون عن الجار قبل الدار ، قال تعالى في مدح السيدة آسيه عليها السلام : ﴿ ربِّ ابنِ لي عندك بيتاً في الجنة ﴾ ، فطلبت الجوار وهو العندية قبل الدار وهو البيت . فافهم ذلك ، ألحقنا الله بأؤلئك .

(١) في هذا تنبيه الى وجه المناسبة بينهم وبين الجنة الطيبة ، ووجه استعدادهم اليها ، وذلك أنهم طابوا قلوباً بالايمان والمعرفة بالله تعالى ومحبته ، لما ثبتت الكلمة الطيبة في قلوبهم – وهي لااله الا الله – ثبوت الشجرة في الأرض ثم امتدت شعبها وأينعت ثمراتها قال تعالى ﴿ ألم تركيف ضرب الله مثلاً كلمةً طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾ الآية . وطابت أقوالهم

باب الصدقة ، فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه : بأبي أنت وأمّي يارسول الله ، ما على مَن دعي من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلّها ؟ فقال ﷺ : « نعم ، وأرجو أن تكون منهم » .

ورئيس أولئك الخزَنَة هو رضوان ، وقد أمره الله تعالى أن لايفتح أبواب الجنة لأحدٍ قبل سيدنا محمدٍ ﷺ الذي هو فاتحة الخيرات كلّها ، والذي هو إمام الأوّلين والآخرين وأكرمهم على رب العالمين فحقّ له أن يتقدّمهم إماماً وفاتحاً لمن وراءه أبواب الجنة .

روى مسلم وأحمد عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « آتي بابَ الجنَّة فأستفتِح ، فيقول الخازن : مَنْ ؟ فأقول : محمد . فيقول ـ الخازن ـ بكَ أُمرتُ ـ أي أمرني الله تعالى ـ أن لاأفتح لأحد قبلكَ » .

وسُمي رئيس الخزنة « رضواناً » ليكون لأهل الجنة عنواناً ، فهو مشتقّ من الرضا ، لأن أهل الجنة رضي الله عنهم ورضوا عنه قال تعالى : ﴿ جزاؤهم عند ربهم جنات عدنٍ تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها أبداً ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشي ربّه ﴾ .

= بالكلم الطيب قال تعالى : ﴿ اليه يصعد الكلم الطيب ﴾ وطابت أجسامهم بالأعمال الطيبة الصالحة ، وطابت نفوسهم من خبث الهوى ودنس الشهوات المحرمة . وفي هذا تنبيه لمن أراد أن يطيب من كل الاعتبارات والحيثيات ، فعليه أن يلتزم شريعة الله تعالى النازلة على رسول الله ﷺ .

وفي اسم رضوان عنوان البشائر لأهل الجنة ، بأنهم سيُعطون ويتحفون بالإكرام والإفضال والإنعام ، بحيث يرضون بذلك وتقرّ أعينهم . قال الله تعالى : ﴿ ليُدخلنَّهم مُدخَلاً يرضَوْنه ، وإن الله لعليم حليم ﴾ .

روى الشيخان عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إذا دَخل أهل الجنةِ الجنةَ يقول الله تعالى : يا أهل الجنة هل رضيتم ؟ فيقولون : ومالنا لانرضى ياربَّنا وقد أعطيتنا مالم تعطِ أحداً من خلقك ! فيقول : أُحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً » .

فلقد أعطاهم حتى أرضاهم ، ثم تجلـّى عليهم برضوانه الأكبر فأحله عليهم ، وهذا أحبُّ مايكون إليهم . اللهم اجعلنا منهم .

فإذا دخل أهل الجنة قصورهم ونزلوا منازلهم ، توافدت عليهم وفود الملائكة الكرام عليهم السلام يحيّونهم ويثنون عليهم . قال الله تعالى : ﴿ جناتُ عدنٍ يدخلونها ومَن صلح[1] من آبائهم وأزواجهم وذريّاتهم ، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم ، فنِعْم

---

(١) وقد فسر ابن عباس ومجاهد وغيرهما « مَن صلح » : بمن آمن ، وقد قال ابن جبير : يدخل الرجل الجنة ، فيقول : أين أمي ، أين ولدي ، أين زوجتي ؟ فيقال : لم يعملوا مثل عملك ، فيقول : كنتُ أعمل لي ولهم ، ثم قرأ هذه الآية . وهذا يدل على أن النسب الصالح ينفع كما تقدم .

عقبى الدار ﴾(١) .

ورد عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال : إن المؤمن ليكون متكئاً على أريكته إذا دخل الجنة ، وعنده سِماطان - أي صفّان - من خَدَمٍ ، وعند طرف السماطين باب مُبَوَّب ، فيقبل الملك - من الملائكة الوافدين - فيستأذن فيقول - أي الخادم للذي يليه - : ملك يستأذن ، ويقول الذي يليه للذي يليه : ملك يستأذن ، حتى يبلغ المؤمن فيقول : ائذنوا له ، فيقول أقربهم للمؤمن : ائذنوا له ، ويقول الذي يليه للذي يليه : ائذنوا له ،حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب ، فيفتح له فيسلِّم ثم ينصرف (٢) .

---

(١) حيّوهم بالسلام وأثنوا عليهم بصبرهم ، ويدخل فيه أنواع الصبر كلها : صبرهم على عبادة الله تعالى واخضاع نفوسهم واطمئنانها اليها ، قال تعالى ﴿ واصطبر لعبادته ﴾ وقال في الصلاة ﴿ واصطبر عليها ﴾ ، وصبرهم عن المعاصي والمخالفات ، وصبرهم على ما أصابهم قال تعالى ﴿ والصابرين على ماأصابهم ﴾ الآية ، ثم مدحوهم بحسن عاقبة الدار فقالوا لهم : ﴿ فنعم عقبى الدار ﴾ أي فنعم العقبى عقبى الدار وهي الجنة التي وعدهم الله تعالى في الآية قبلها فقال : ﴿ أولئك لهم عقبى الدار . جنات عدنٍ ﴾ الآية . ويدخل في هذا حسن عاقبة دنياهم أيضاً ، ولذا قال البيضاوي وغيره في تفسير ﴿ لهم عقبى الدار ﴾ : عاقبة الدنيا ومايتبغي أن يكون مآل أهلها وهي الجنة اه ومن دعائه ﷺ « اللهم حسّن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة » آمين .

(٢) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المبارك بأسانيد متعددة ، وله شواهد من المرفوعات رواها الامام أحمد والطبراني وابن حبان في صحيحه عن ابن عمرو . انظر المسند وتفسير ابن كثير والدر المنثور وغير ذلك .

خزنة النار

قال الله تعالى : ﴿ وسيقَ الذين كفروا إلى جهنم زُمَراً ، حتى إذا جاؤوها فُتحتْ أبوابها وقال لهم خزَنتها : ألَم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا : بلى ، ولكن حقَّتْ كلمة العذاب على الكافرين . قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ، فبئس مثوى المتكبرين ﴾ .

يخبر سبحانه عن حال الكفار يوم القيامة أنهم يساقون إلى جهنم زمراً أي أصنافاً حسب نوعية كفرهم ونسبة ضلالهم ، فمناسبة الضلال بينهم ومشابهة الطغيان هي التي جمعت بينهم ﴿ حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها ﴾ يعني أنهم حين وصولهم جهنم يُفاجؤون بفتح أبوابها ومنظرها الفظيع مباغتة لهم ، وذلك أشدُّ في العذاب وأعظم في الخزي لهم ثم يقول لهم خزنتها ـ الزبانية الغلاظ الشداد ـ على وجه التقريع والتأنيب بدل التكريم والترحيب :

﴿ ألم يأتكم رسل منكم ﴾ أي من جنسكم ونوعكم البشري بحيث يخاطبونكم وينصحونكم ويبيِّنون لكم أساليب الهدى وطرق الرشاد والسداد ، وأنتم تشاهدون أفعالهم وتسمعون أقوالهم ، ويمكنكم أن تأخذوا عنهم وتفهموا منهم ؟ ﴿ يتلون عليهم آيات ربكم ﴾ أي يتلون عليكم

آيات الله التدوينيَّة ، المشتملة على الحجج اليقينية ، ويستعرضون لكم آياته التكوينية ، وما فيها من البراهين القطعية ، وكلها تشهد بحقية مادعوكم إليه .

﴿ وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ أي يحذرونكم عذاب هذا اليوم وحسابه ﴿ قالوا بلى ﴾ أي قد جاؤونا وأنذرونا وأقاموا علينا الحجج وأوضحوا لنا الأدلة ، بحيث يلزم السامعَ أن يتقبَّله ، والعاقلَ أن يتعقَّله . أي ولكنهم أعرضوا عن ذلك جحوداً وكِبْراً ، وطغياناً وكفراً ، كما أخبر سبحانه عنهم بقوله ﴿ وقالوا : لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ، فاعترفوا بذنبهم فسُحقاً لأصحاب السعير ﴾ .

وهنا ﴿ قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴾ أي لأنهم كفروا وأعرضوا عن قبول الحق ، وكذَّبوا به ، واتبعوا أهواءهم الباطلة .

ويسمى رئيس خزنة النار « مالكاً » قال تعالى ﴿ ونادَوا يامالك ليقضِ علينا ربك . قال : إنكم ماكثون ﴾ .

روى مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال في حديثه عن الاسراء واجتماعه بالأنبياء قال : « فحانَتْ الصلاة ، فأممتُهم - أي صِرت لهم إماماً - فلما فرغتُ من الصلاة قال قائل : يامحمد هذا مالك صاحب النار فسلِّم عليه ، فالتفتُّ إليه فبدأني بالسلام » .

وروى البخاري عن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في حديثه عما رآه في منامه : « قال فانطلقنا ، فأتينا على رجلٍ كريه المَرآة كأكره ما أنتَ راءٍ ، فإذا عنده نار يَحشُّها ويسعى حولها » ثم قيل له ﷺ : « وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يحشُّها ويسعى حولها فإنه مالك خازن النار .. » الحديث .

صفات خزنة النار :

قال الله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم[1] ناراً وَقودها الناس والحجارة ، عليها ملائكة غِلاظ شِداد ، لايعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون مايؤمرون ﴾ .

والمعنى أن خَزَنة النار الموكلين بتعذيب من يدخلها هم غلاظ الأقوال شِداد الأفعال ، كما أنهم غلاظ الخُلُق شِداد الخَلْق . روى عبد الله بن أحمد في زوائد كتاب الزهد عن أبي عمران الجَوْني قال : بلغنا أن خزنة النار تسعة عشر ، مابين منكبي أحدهم مسيرة مائة خريف ـ أي سنة ـ ليس في قلوبهم رحمة ، إنما خلقوا للعذاب ، يضرب

(١) في هذه الآية يأمر الله تعالى المؤمنين بوقاية أنفسهم وأهليهم من النار ، وذلك بحمل النفس على امتثال أوامر الله تعالى ، واجتناب مانهى عنه ، وحمل الأهل ـ الزوجة والأولاد ـ على ذلك أيضاً بالتعليم والتأديب تارةً ، والتأنيب تارة ، فان الانسان مسئول عن نفسه وعن رعيته كما قال ﷺ « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » .

الملك منهم الرجلَ من أهل النار فيتركه طِحْناً من لدن قرنه إلى قدمه .

ويقال لخزنة النار « الزبانية » قال الله تعالى : ﴿ فليدعُ ناديَه سندع الزبانية[1] ﴾ . وسمي ملائكة العذاب بذلك لدفعهم الشديد وطرحهم الحديد ، لكلِّ جبّار عنيد وشيطان مريد . وقد أنزل الله تعالى هذه الآيات في أبي جهل حين توعّد رسول الله ﷺ وهمّ بإيذائه .

روى الترمذي وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يصلي عند المقام ، فمرّ به أبو جهل فقال : يامحمد ألَمْ أنهكَ عن هذا ؟ وتوعّده ، فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره ، فقال أبو جهل : يامحمد بأيِّ شيءٍ تهدِّدني ؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي نادياً ! فأنزل الله تعالى ﴿ فليدع ناديَه . سندع الزبانية ﴾ . قال ابن عباس : لو دعا ناديَه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال أبو جهل : هل يعفِّر محمد وجهه بين أظهركم ؟ - أي بأن يسجد على الأرض - قالوا : نعم ، فقال : واللاتِ والعزّى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنّ

---

(١) اختلف في هذا الجمع فقيل لاواحد له من لفظه ، وقال أبو عبيدة : واحده زِبنية بكسر فسكون على وزن عِفْرِية ، وقال الكسائي : واحده زِبنيّ بالكسر ، منسوب إلى الزَّبْن بالفتح ، وهو الدفع بشدة ، ثم غيّر النسب وكسر أوله كإنسي ، وأصل الجمع زبانيّ ، حذف إحدى ياءيه وعوض عنها التاء ، وقيل : واحده زابن ، أي شديد البطش .

على رقبته ، ولأعفرنَّ وجهه في التراب ، فأتى رسولَ الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته ، فما فجأهم منه إلاَّ وهو ينكص على عقبيه ويتّقي بيديه[١] ، فقيل له: مالكَ ؟ فقال أبوجهل : إن بيني وبينه ـ أي بين محمد ـ خندقاً من نار وهَوْلاً وأجنحةً ، فقال رسول الله ﷺ : « لو دنا مني لاختطفَتْه الملائكة عضواً عضواً » وأنزل الله تعالى : ﴿ كلاَّ إن الإنسان ليطغى . أنْ رآه استغنى .. ﴾ إلى آخر السورة .

وقال تعالى : ﴿ وما أدراك ماسقر؟. لاتبقي ولاتذر . لواحةٌ للبشر عليها تسعةَ عشر . وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا .. ﴾ الآية .

فهو يخبر سبحانه عن خزنة النار أنهم ملائكة أقوياء أشداء ، لايقاوَمون ولايغالَبون ، وأن عليها تسعة عشر ، فالجمهور من أولي العلم على أن هؤلاء التسعة عشر هم النقباء الموكلون عليها المتولـّون أمرها ، وإليهم مرجع زبانيتها وسائر خزنتها ، وليس هذا العدد حاصراً لجميع الملائكة الموكلين بجهنم وتعذيب داخليها من الكفار والعصاة ، فقد روى مسلم والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :

---

(١) صار يرجع القهقرى ويضع يديه على وجهه من الخوف الذي اعتراه ، والهول الذي أصابه مما رآه وعاينه .

« يؤتى بالنار يوم القيامة لها سبعون ألف زمامٍ ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرّونها » .

وذهب كثير من العلماء إلى أن تمييزَ العدد (تسعة عشر) المحذوفَ هو : صنفٌ ، أو صفٌ ، أو ألف ، وأن التقدير : عليها تسعة عشر صفاً من الملائكة ، أو صنفاً ، أو ألفاً .

أصناف الملائكة عليهم السلام

الملائكة عليهم السلام أصناف مصنفة ، وكل صنف منهم وكّله الله تعالى بوظائف يقوم بها باذن الله تعالى ، حسب ماهو سبحانه يأمر بذلك ويطلعهم على علم ذلك ، كما أخبر سبحانه عنهم بقوله ﴿ قالوا سبحانك لاعِلْم لنا إِلا ماعلمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم﴾ وقال تعالى ﴿ وهم بأمره يعملون ﴾ .

فمنهم الموكّلون بقضايا الإنسان التكوينية : تطوير النطفة في الأرحام ، ثم تصويرها ، ثم نفخ الروح في الجنين ، وكتابة أعماله التي سيعملها حتى موته ، ومنهم المعقبات الحفظة ، ومنهم الكرام الكاتبون ، ومنهم ملائكة الهمم ، ومنهم ملائكة الوحي إلى الأنبياء والرسل ، ومنهم الموكّلون بحضور مجالس العبادات والطاعات على اختلاف أنواعها ،

ومنهم الموكّلون برفع الأعمال الصالحة إلى رب العزّة، ومنهم الموكّلون بقبض الأرواح، ومنهم الموكلون بسؤال القبر، ومنهم الموكّلون ببشائر المؤمنين في كل عالم انتقلوا إليه .

ومنهم الموكّلون بالتدابير الكونية باذن الله تعالى وأمره ، تنفيذاً لمقتضى تدبيره ، وذلك أن جميع تدابير العوالم كلها العلويّة والسفلية والشهودية والغيبية ، كل ذلك بتدبير الله تعالى العليم الحكيم المدبر الذي له التدبير الذاتي المطلق ، قال تعالى ﴿ أمّن يدبِّر الأمر ؟ فسيقولون الله .. ﴾ الآية . وقد جعل سبحانه باذنه وإرادته وسائط من الملائكة ووَكَل إلى كل طائفة منهم أعمالاً : فمنهم الموكّل بالشمس أو بالقمر أو بالنجوم ؟ ومنهم الموكل بالجبال ، ومنهم الموكل بالسحب والأمطار ، ومنهم الموكل بالبحار ، ومنهم الموكل بالنبات والأشجار ، إلى غير ذلك مما يعجز الإنسان عن إحصائه .

وقد ذكر الله تعالى أصنافاً من الملائكة عليهم السلام في مواضع متعددة من القرآن الكريم حسب المناسبات ، كما أوضحت ذلك الاحاديث النبوية أيضاً وفصّلت وظائفهم ومواقفهم تفصيلا بيّناً .

قال الله تعالى ﴿ والنازعات غرقاً . والناشطات نشطاً . والسابحات سبحاً . فالسابقات سبقاً . فالمدبِّرات أمراً ﴾ .

فهو يقسم سبحانه بالملائكة القائمين بتنفيذ هذه الأفعال عن أمر الله تعالى وإذنه . فالنازعات هي الملائكة تنزع أرواح الكفار من أجسادهم بقوة وشدة ، والناشطات هي الملائكة تنشط أرواح المؤمنين ـ أي تخرجها من أجسادها ـ بسهولة وسرعة ، كنشط الدلو من من البئر ، والسابحات هي الملائكة تسبح في الفضاء تقطع المسافات الشاسعة ماضية إلى تنفيذ ما أمرهم الله تعالى به ، كما تسبح الطير في الهواء ، والسابقات هي الملائكة تسبق مسرعةً إلى ما أُمرت به دون بطء ولا تأخر ، فالمدبِّرات أمراً هي الملائكة تدبِّر أمور الخلائق ، كما أمرهم الله تعالى وكما أذن لهم بذلك .

وقال تعالى : ﴿ فالمقسِّمات أمراً ﴾ وهي الملائكة تقسم الأمور بين الخلق ، كما أمرهم به الملك الحقّ جلّ وعزّ .

وقال تعالى : ﴿ والمرسلات عرفاً (١) . فالعاصفات عصفاً . والناشرات نشراً . فالفارقات فرقاً . فالملقيات ذِكْراً . عُذْراً أو نُذْراً ﴾ .

---

(١) أي والمرسلات للعرف والاحسان ، فهو مفعول له ، أو المراد والمرسلات حال كونها عرفاً أي متتابعةً يقال جاءوا عرفاً واحداً : إذا جاءوا يتبع بعضهم بعضاً دون تراخٍ بينهم ، وفي هذا ضرب من التشبيه ، كما هو مفصل في موضعه .

ذهب كثير من الصحابة والتابعين إلى أن هذه أقسام إآلهية بطوائف من الملائكة عليهم السلام ، وذلك أنه سبحانه أقسم بالمرسلات أي طوائف من الملائكة المرسلات بأمر الله تعالى ، فعصفت في المضيّ كما تعصف الرياح مسرعة إلى تنفيذ أوامر الله تعالى ، والناشرات هي طوائف من الملائكة نشرت أجنحتها في الجو[1] فتنزل بأوامر الله تعالى على أنبيائه ورسله صلوات الله عليهم أجمعين ، فتفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال والحلال والحرام . فالملقيات ذكراً هي الملائكة تلقي الذكر على الأنبياء والرسل ورئيسهم هو جبريل عليه السلام وفي ذلك إعذار وإنذار .

---

(١) وقيل المراد بالناشرات الملائكة تنشر صحف أعمال العباد يوم القيامة .

مواقف الملائكة عليهم السلام مع الانسان بالنسبة لأموره التكوينية او الدينية

فمنهم الملائـكة الموكـَّلون بتطوير النطفة وتصوير ما في الأرحام ونفخ الروح في ذلك :

روى مسلم في صحيحه عن عامر بن واثلة قال سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : الشقيُّ من شقيَ في بطن أمه،والسعيد من وُعظ بغيره . فأتى عامر رجلاً من أصحاب النبي ﷺ يقـال له حذيفة بن أسيد الغفاري فحدثه بقول ابن مسعود رضي الله عنه فقال : وكيف يشقى رجل بغير عمل ؟ فقال الرجل : أتعجب من ذلك ؟ فاني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إذا مرّ بالنطفـة ثنتـان وأربعون ليلةً بَعثَ الله إليها ملـكاً فَصوَّرها ، وخلق [1] ـ أي قدَّر ـ سمعها

(١) وهذا الخلق التقديري يُظهر ماجاء في عيسى عليه السلام : ﴿ وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيهـا فتكون طيراً باذن الله ﴾ فـكان عيسى عليه السلام يخلق ـ أي يقدّر ـ كهيئة الطير ثم ينفـخ في تلك الصورة والهيئـة المقدرة فتصير طيراً باذن الله تعـالى . فهذا خلق بمعنى التقـدير والتصوير ، لا بمعنى الايجاد من العدم ، فانه لاخالق ـ أي لا موجِد ـ إلا الله تعالى . قال سبحانه ﴿ هل من خالق غير الله ؟! ﴾ وقال : ﴿ أروني ماذا خلق الذين من دونه ! ﴾ .

وبصرها وجلدهـا وعظامها ، ثم قال : ياربِّ أذكر أم أنثى ؟ فيقضي ربُّك ماشاء ، ويكتب الملك ، ثم يقول : ياربِّ ! أجلُه ؟ فيقضي ربك ماشاء ، ويكتب الملك ، ثم يقول : يارب ! ارزقه ؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فـلا يزيد على ذلك شيئاً ولا ينقص » .

الملك ينفخ الروح في الجنين ويكتب ما أمر به

روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليـه وسلم وهو الصادق المصدوق قال : « إن أحـدكم يُجمـع خلقـه في بطن أمـه أربعين يومـاً نطفـة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغةً مثـل ذلك ، ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربـع كلمات : بكتب رزقه وأجـله وعمله وشقي أو سعيد . فوالله الذي لاإله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب [1]

---

(١) أي الذي كتب عند مضيّ الأربعينات الثلاثة عليه في الرحم ، كما تقدم في الحديث ، وقد يشـكل هذا مع حديث حذيفة السابق ، فانه يدل على أن الكتابة تكون في أول الأربعين الثانية ، والتعارض مدفوع بوجوه : أولاً : إن الكتابة متعددة ، فالكتابة بعد تمام الأربعين الأولى هي من قبَل =

فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها إلاّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » .

وهذه الكتابة هي إحدى مراتب كتابة المقادير ، وذلك أن كتابة المقادير المشتملة على جميع الأعمال والأقوال وجميع الشؤونات والأحوال والحركات والسكنات وما هنالك من كليّاتٍ وجزئياتٍ - كتابة ذلك على أنواعٍ مرتبةٍ :

الأولى : كتابة القلم جميع ماهو كائن إلى يوم القيامة . قال الله

= الملك الموكّل بالنطفة : تطويرها وتصويرها وما هنالك ، وأما الكتابة بعد الأربعين الثالثة فهي من قبل الملك الذي يرسله الله تعالى حينئذٍ لينفخ الروح في الجنين ، ويأمره بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أوسعيد. ولكلٍ من الكتابتين حِكم وأحكام صادرة عن أمر الحكيم العلاّم .

ثانياً : إن أولى الكتابتين في السماء ، والأخرى في الأرحام .

ثالثاً : قال بعض العلماء : إن الكتابة تكون بعد تمام الأربعين الأولى ، كما دلّ عليه حديث حذيفة ، وإنما أُخِّر ذكرها في حديث ابن مسعود إلى مابعد ذكر المضغة - أي بعد الأربعين الثالثة - لئلا ينقطع ذكر الأطوار الثلاثة المتتابعة التي يتقلّب فيها الجنين ، وهي : كونه نطفة ثم علقة ثم مضغة ، فان ذكر هذه الثلاثة على نسقٍ واحد أعجب وأبدع . والوجه الأول هو الأظهر ، والله تعالى أعلم .

تعالى :﴿ ماأصاب من مصيبةٍ في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتابٍ من قبل أن نبرأها إِن ذلك على الله يسير ﴾فدلَّت الآية على أن هناك كتابةً جامعة ، وهي سابقة على وجود البريَّة وخلق الخليقة .

وروى الترمذي وأبو داود وأحمد وغيرهم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه : يابني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أوَّل ماخلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، فقال : يارب وما أكتب ؟ قال : اكتب مقاديرَ كل شيءٍ حتى تقوم الساعة ـ وفي رواية الترمذي : اكتب ماهو كائن إلى يوم القيامة ـ ثم قال عبادة بن الصامت : يابنيَّ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من مات على غير هذا فليس مني » .

الثانية : كتابة مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض .
روى مسلم في صحيحه عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وعرشه على الماء » . أي والحال أن العرش موجود على الماء . وربما أدرج بعضهم هذه المرتبة في التي قبلها ، ولكن عند التدبُّر يظهر الفرق لأهل التبصُّر ، وذلك

باعتبار أن أوَّل ما خلق الله تعالى هو القلم ، فأمره أن يجري بكتابة ماسيكون إلى يوم القيامة .

الثالثة : كتابة المقادير بعد خلق السموات والأرض . روى البخاري والترمذي عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : دخلتُ على رسول الله ﷺ في المسجد إذ دخل عليه ناس من بني تميم فقال: « اقبلوا البشرى يابني تميم »[1] قالوا : يارسول الله قد بشَّرتنا فأعطنا ، فتغيَّر وجه النبي ﷺ ـ أي غضب ـ ثم دخل ناس من أهل اليمن : فقال : « اقبلوا البشرى ياأهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم » فقالوا : قبلنا يا رسول الله ، جئنا لنتفقَّه في الدين ، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان ؟ ـ أي هذا العالم هل هو قديم لا أوَّل له أم هو مخلوق بعد العدم ـ فقال رسول الله ﷺ : « كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء » .

---

(١) قال العلامة الطيبي : إنه ﷺ أراد بقوله « اقبلوا البشرى » أي اقبلوا البشرى مني مايقتضي أن تبشَّروا بالجنة من التفقه في الدين والعمل به،ولما لم يكن جلُّ اهتمامهم إلا شأن الدنيا والاستعطاء دون دينهم ـ أي دون أن يهتموا بأمر دينهم ـ قالوا : بشَّرتنا للتفقه وإنما جئنا للاستعطاء فأعطنا، ومن ثَمَّ قال ﷺ « إذ لم يقبلها بنو تميم » اهـ كما في المرقاة .

قال عمران : ثم أتاني رجل فقال : يا عمران أدركْ ناقتك فقد ذهبتْ ، فانطلقت أطلبها ، وايم الله لوددت أنها قد ذهبت ولم أقم . أي ليسمع بقية حديث رسول الله مع أهل اليمن .

والكينونة في قوله ﷺ « كان الله ولم يكن شيء قبله » هي كينونة قديمة أزلية بخلاف كينونة العرش على الماء ، فإنها حادثة ، فإن قوله ﷺ « كان الله ولم يكن شيء قبله » . وفي رواية للبخاري أيضاً « كان الله ولم يكن شيء غيره » . وفي رواية لغير البخاري « كان الله ولم يكن شيء معه » : نصٌّ قاطع على أنه لم يكن شيء غيره تعالى في القدم الأزلي أصلاً ، لا ماء ولا عرش ولا غيرهما .

الرابعة : كتابة قبل أن يُخلق آدم بأربعين سنة ، كما ورد في الصحيحين والسنن - واللفظ للبخاري - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « حاجّ موسى آدم ، فقال له : أنت الذي أخرجتَ الناس من الجنة بذنبك فأشقيتهم ، قال : قال آدم : ياموسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ، أتلومني على أمر كتبه الله عليَّ قبل أن يخلقني ؟ - أو قدَّره عليّ قبل أن يخلقني ؟ - وفي رواية مسلم : أتلومني على أمر قدَّره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ .

قال رسول الله ﷺ : فحجَّ آدم موسى »[١].

---

(١) وقد تنوعت مسالك أولي العلم في بيان وجه غلبة آدم لموسى عليهما السلام في الحجة ، وبسطت تلك الأجوبة في شروح الحديث والتفاسير ، وليس هذا موضع تفصيلها لطولها . فمن ذلك مانقله الحافظ في « الفتح » عن القرطبي حيث قال : إنما غلبه بالحجة لأنه علم من التوراة أن الله تعالى تاب عليه ، فكان لومه على ذلك ـ أي بعد توبته ـ نوع جفاء ، كما يقال : ذكر الجفاء بعد حصول الصفاء جفاء ، ولأن أثر المخالفة بعد الصفح ينمحي ، حتى كأنه لم يكن ، فلا يصادف اللوم من اللائم حينئذٍ محلاً اهـ كلام القرطبي ، ثم قال الحافظ : وهو محصَّل ما أجاب به المازري وغيره من المحققين وهو المعتمد اهـ

ومن تلك المسالك أيضاً أن التائب لا يُلام على ماتيب عليه منه ، ولا سيما إذا انتقل عن دار التكليف . وقد نُقل هذا الجواب عن كثير من أئمة العلم كما في « الفتح » .

وعلى كلٍ فليس في الحديث مايدل على جواز الاحتجاج بالقدر على فعل المخالفات والاستمرار على المعاصي ، فان ذلك لايجوز أصلاً ، وقد أخبر الله تعالى عن المشركين أنهم كانوا إذا دعتهم رسلهم إلى عبادة الله تعالى وحده وترك ماهم عليه من الشرك : احتجوا بمشيئة الله تعالى لذلك ليستمروا على ذلك ، فقال سبحانه :﴿وقال الذين أشركوا : لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيءٍ نحن ولا آباؤنا ، ولا حرَّمنا من دونه من شيءٍ ، كذلك فعل الذين من قبلهم ، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾ كما أخبر سبحانه عن الكفار أنهم كانوا إذا دُعُوا إلى الانفاق وأداء ماأوجب الله عليهم نحو المحتاجين والفقراء سدًّا لحاجتهم : احتجوا بأن الله تعالى لو شاء لأطعم أولئك الجياع الفقراء . قال تعالى : ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله ، قال الذين كفروا للذين آمنوا : أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ؟ إن أنتم =

الكتابة الخامسة : هي التي تكتب عندما يكون الجنين في الرحم فيكتب الملك رزقه وأجله وعمله وكونه شقياً أو سعيداً ، كما تقدم في الحديث .

ولكل مرتبة من هذه الكتابات حِكم وأحكام ، وشأن ونظام ، لا يحيط بذلك إلا الحكيم العلاَّم . فمن ذلك ماذكره بعض العارفين أن الكتابة اللاحقة تختصُّ ببعض المقادير من الكتابة السابقة، إذ أن الكتابة السابقة هي أعمُّ من اللاحقة وأشمل للمقادير وأجمع .

ومثال ذلك أن الكتابة حين يكون الجنين في الرحم فالملك يكتب مايتعلق بشؤون الجنين الخاصة به من أعماله ورزقه وأجله وشقوته أو سعادته ، فتلك أمور خاصة بالولد من ذاك الحين إلى أن يموت ، ولا علاقة لهذه الكتابة بغيره من العالم ، بخلاف الكتابة التي هي قبل خلق آدم عليه السلام بأربعين سنة ، فإنها تعمُّ آدم وذرِّيته وشؤوناتهم وأحوالهم وأعمالهم كلها ، والكتابة التي قبلها تعمُّ مقادير الإنس والجن

= إلا في ضلالٍ مبين ! ﴾ ومقصودهم بذلك إبطال دعوة الرسل وإبطال أحكام شريعة الله تعالى والتماس المعاذير الباطلة لأنفسهم ، بدعوى أنهم في كفرهم وشركهم ، ومنعهم ماأوجب الله عليهم ـ هم في ذلك ينفذون حكم مشيئة الله تعالى لكفرهم وضلالهم !

وسائر الأكوان ، والتي قبلها هي أعمّ وأجمع والله تعالى أعلم (١) .

---

(١) وينبغي أن يُعلم أن كتابة المقادير السابقة لاتنفي اختيار الانسان لأفعاله الاختيارية ، فان القدر السابق وكتابة المقادير يشملان اختيار الانسان ، بمعنى أنه سبحانه قدّر على الانسان وأمر أن يُكتب عليه أنْ سوف يفعل كذا وكذا باختياره وإرادته ، فاختيار العبد للأعمال الاختيارية هو من جملة المقدّرات والمكتوبات ، وهو ثابت شرعاً وعقلاً وذوقاً وجدانياً .

أما ثبوت الاختيار شرعاً : فان الشارع أثبت للانسان حالة اختيارٍ ، ورتّب المؤاخذة والمعاقبة على أفعاله ، وهو مختار لها ، كما أثبت للانسان حالة اضطرارٍ ، ورفع عنه المؤاخذة والمعاقبة حال كونه فيها . فقال تعالى : ﴿ حُرِّمتْ عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ، وما أُهلّ لغير الله به ، والمنخنقة والموقوذة والمتردّية والنطيحة وما أكل السَّبُعُ إلا ماذكّيتم، وما ذُبح على النُّصُب ﴾ ثم قال سبحانه بعد ذلك ﴿ فمن اضطرّ في مخمصةٍ ﴾ أي مجاعة شديدة ﴿ غير متجانف لإثم ﴾ أي غير مائل لاثم ﴿ فان الله غفور رحيم ﴾ .

فبيّن سبحانه أنه حرم تلك المحرمات في غير حالة الاضطرار اليها،أما إذا اضطرّ اليها بأن اشتد الجوع على إنسان وخاف الموت على نفسه من شدة الجوع ، وليس هناك شيء يتناوله سوى تلك المحرّمات فلا إثم عليه في تناولها ، لأنه مضطر إلى ذلك .

وقال تعالى : ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ، ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴾ وقد نزلت هذه الآية ـ كما روى البيهقي وابن جرير ـ في عمار بن ياسر رضي الله عنهما حين أخذه المشركون فعذّبوه حتى قاربهم في بعض ماأرادوا باللسان ،ولكن قلبه مطمئن بالايمان .

وقد فصل الفقهاء أقسام الا كراه وأحكامه المرخّصة والموجبة .

وأما ثبوت الاختيار عقلاً : فان كل عاقلٍ يفرّق بين الآثار الناشئةعن حركةالبشر،والآثار الناشئة عن حركة الشجر،فان وخزةً تناله من قبل البشر تغضبه وتدفعه للانتقام ممن وخزه،لأنه يعلم يقيناً أنها صدرت عن إنسان له اختيار وإرادة لذلك .أما إذا مرّ تحت شجرة يحرك الهواء أغصانها،فوخزته أوجذبت طرف ثوبه أو خدشته فانها لاتغضبه ولا يندفع للانتقام من الشجرة ، لأنه يعلم يقيناً أن الشجرة لا اختيار لها فى ذلك .

فلو قلنا إن الانسان لااختيار له في أعماله الاختيارية للزم أن نعامل البشر في ذلك كالشجر .

أما ثبوت الاختيار ذوقاً وجدانياً : فان الانسان يعلم من نفسه أن له أعمالاً تصدر عنه باختياره وإرادته ، كذهابه ومجيئه وقيامه وقعوده، ويعلم أيضاً أن له أعمالاً تصدر عنه لاباختياره ، يكون مضطراً اليها ولايستطيع دفعها ، كالعطاس والرعشة والتثاؤب ونحو ذلك . وليس أحد من الناس يتساوى عنده صدور أعمال القيام والقعود وتناول الطعام والشراب مع العطاس والتثاؤب !! بل يفرق بينهما بذوق نفسه ووجدانه .

فاختيار الانسان وإرادته للأمور ومشيئته لها ثابتة شرعاً وعقلاً وذوقاً ، وكلٌ ذلك بخلق الله تعالى وإرادته ومشيئته ، فهو سبحانه خلق للانسان اختياراً وإرادة ومشيئة . فمن صفات الانسان أنه مختار ومريد وذومشيئة، وقد وردت النصوص القرآنية والنبوية في نسبة الاختيار والمشيئة والارادة للعبد .

فان قيل : يلزم من كون اختيار الانسان وإرادته ومشيئته مخلوقاً لله تعالى وأن جميع ذلك بارادة الله تعالى ومشيئته ـ يلزم من ذلك أن صفة

اختيار العبد ومشيئته وإرادته مالها حقيقة وجوديّة ، ولا أثر لهـــا من الاعتبارات وإنما هو ضرب من التخيّل والتوهم ؟.

فالجواب عن ذلك : أن هذا اللازم باطل ، لأنه إذا كان يلزم من خلق الله تعـالى لاختيار الانسان ومشيئته وإرادته وأن ذلك بمشيئة الله وإرادته ـ إذا كان يلزم من هذا أنْ لااختيار للانسان ولا مشيئة ولا إرادة له وإنما هي أوهام فيجب أولاً أن يجري هذا اللزوم في بقية صفات الانسان التي آتاه الله تعالى إياها ، بل يجري هذا اللزوم في أصل وجود الانسان الذي أنعم الله تعالى بايجاده ، فان من صفات الانسان أنه سميـع بصير ولكن بجَعْل الله تعالى وخَلْقه ذلك وباسماعه سبحانه للعبد وتبصيره، قال تعالى في الانسان : ﴿ فجعلنـاه سميعاً بصيرا ﴾ فسمعُ العبد وبصره مجعولان مخلوقان بخلق الله تعالى ومشيئته ، ومع ذلك فالعبد سميـع بصير حقاً ، وإلاّ فما الفرق بين السميـع البصير وبين الأصمِّ الأعمى !

كما وأن الانسان هو حيٌّ ناطق حقاً باحياء الله تعالى وإنطاقه لهوبمشيئته سبحانه وإرادته ، ولا يصح أن يقال إن حياته ونطقه لا وجود لهما ولا اعتبار بهما لأنهما بخلق الله تعالى وإرادته ومشيئته ، لايقال ذلك لأننا نقول إذاً ماالفرق بين الحي والميت ، وبين الناطق وغير الناطق ؟؟

بل إن الانسان موجود بايجاد الله تعالى وإرادته ، ولا يلزم من ذلك أن لاوجود للانسان ، بل هو موجود حقاً وجوداً إمـكانياً بايجـاد الله تعالى له وبمشيئته وإرادته ، وإلاّ فما الفرق بين الانسان بعد أن أُوجِد وبينه قبل أن يوجد حين كان معدوماً ؟

فالحقُّ أن الانسان موجود حيٌّ ناطق سميـع بصير مريد مختـار إلى ماهنالك من بقية الصفات ، وكلُّ ذلك بخلق الله تعالى وإرادته ومشيئته سبحانه . وقد جاءت التـكاليف الشرعية على نسبة ماآتي الله تعـــالى

الملائكة الموكلون بكتابة جميع أقوال بني آدم وأفعالهم

قال الله تعالى : ﴿ أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم ؟ بلى ورسلُنا لديهم يكتبون ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ، ونحن أقرب اليه من حبل الوريد . إذ يتلقَّى المتلقِّيان عن اليمين وعن

الانسان من القوى الادراكية والعمليَّة، فلم يكلفه الله تعالى فوق طاقته وفوق ما آتاه ، قال تعالى : ﴿ لايكلف الله نفساً إلا ما آتاها ﴾ وقال ﴿ ولا نكلف نفساً إلا وسعها ﴾ وقال تعالى ﴿ لايكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ أي إلاّ ماتسعه قدرتها ،لأن التكليف لايرد إلا بفعلٍ يقدر عليه المكلف. أوالمراد بوسعها: مادون مدى طاقتها بحيث يتيسَّر عليها لقوله تعالى : ﴿ يريدالله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ﴾ وقال تعالى ﴿ إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج ﴾ أي مختلطة من ماء الرجل وماء المرأة ، كما بيَّنه علماء التفسير ﴿ نبتليه ﴾ أي خلقناه لنختبره بالتكاليف الشرعيّة: الأمر والنهي ﴿ فجعلناه سميعاً بصيراً ﴾ أي ليتمكن من القيام بموجب التكاليف الشرعية .

فلم يخلق الله تعالى الانسان عبثا أي لعبا لا لحكمةٍ ، كما قال سبحانه: ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا تُرجعون !! ﴾ ولم يخلق الانسان ويتركه سُدىً ، قال تعالى : ﴿ أيحسب الانسان أن يُترَكَ سدىً ؟! ﴾ أي مهملاً ، بل خلقه وتعهَّده بالتكاليف التي فيها سعادته ومصلحته في الدنيا والآخرة .

(١) والمعنى : أن الله تعالى يسمع سرهم ويسمع نجواهم وأن رسل الله ـ أي ملائكته ـ الذين هم معهم وعلى قرب منهم يكتبون عليهم سرهم ونجواهم .

الشمال قعيد . مايلفظ من قولٍ إلاّ لديه رقيب عتيد ﴾ .

فأخبر سبحانه أن كل إنسان عليه ملكان محيطان به يتلقّيان مايصدر عنه من القول ، فما يلفظ الانسان من قول إلا لديه رقيب يرقبه في أقواله ليكتبها عليه ، عتيد أي معَدّ ومتهيء كلّ التهيؤ لكتابة ماأمر به من الخير والشرّ .

وقال تعالى : ﴿ كلاّ بل تكذبون بالدين . وإنّ عليكم لحافظين . كراماً كاتبين . يعلمون ماتفعلون ﴾ .

والمعنى : مالكم أيها المكذبون بدين الله تعالى القويم وشرعه الحكيم الذي جاء بما فيه سعادة الدنيا والآخرة ؟! فاذا أنتم تكذّبون بهذا الدين ، وتحلّون ما حرمه وتحرمون ما أحله ، والحال أنتم لستم مهملين ولا متروكين، بل وكّلنا عليكم ملائكة كراماً ، ليسوا لئاماً ، أمناءليسوا خونةً،فأكرمْ بهم من كتبةٍ يحفظون جميع مايصدر عنكم ، ويسجّلون ذلك عليكم بصدقٍ وأمانةٍ ، وقد أطلعهم الله تعالى على أفعالكم سواء أخفيتم ذلك أم أعلنتم ، فانهم يعلمون ذلك بما علّمهم الله تعالى ، فاذا كان يوم القيامة أخرجوا تلك الكتب المسجّلة ، ونشروها لصاحبها،ويقال له هذا الكتاب كُنّا في الدنيا نكتبه عليك

ونستنسخ فيه ما كنت تعمل فاقرأ كتابك . قال الله تعالى : ﴿ وكلَّ إنسانٍ ألزمناه طائره في عنقه [١] ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً . اقرأ كتابك ، كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وإذا الصحفُ نُشرت ﴾ . وقال تعالى ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذٍ يخسر المبطلون . وترى كلَّ أمة جاثيةً [٢] ، كلُّ أمةٍ تُدعى إلى كتابها ، اليوم تُجزون ما كنتم تعملون . هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ، إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ [٣] .

قال الحافظ ابن كثير : وقد اختلف العلماء : هل يكتب الملك كلَّ شيء من الكلام ـ أي حتى المباح ـ وهو قول الحسن وقتادة ، أو إنما يكتب الملك ما فيه ثواب أو عقاب كما هو قول ابن عباس

---

(١) والمعنى أن كل إنسان ألزمناه عمله الصادر منه باختياره على حسب ماقدّر له خيراً كان أو شراً،كأنه طار اليه من وَكْر القدر وعالم الغيب، وأن عمله ملازم لعنقه ومرتبط به ، ماينفك عنه . وفي ذلك إيماء إلى أن أعمال الانسان الصادرة عنه منها الزائن له كالقلائد والأطواق ، ومنها الشائن له كالأغلال والأوهاق . انظر تفسير البيضاوي والنسفي وغيرهما .

(٢) أي مجتمعةً إلى بعضها أو جالسةً على الركب مستوفزة ، وهذه حاله تمرُّ بهم ينتظرون فيها فصل القضاء.

(٣) أي : كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم .

رضي الله عنهما ؟ هم في ذلك على قولين . وظاهر الآية القول الأول لعموم قوله تعالى ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ اهـ يعني أن ظاهر قوله تعالى ﴿ما يلفظ من قولٍ﴾ يدلُّ على عموم كلِّ قولٍ، لأنه جاء نكرةً في سياق النفي ، وأُدخلت عليه ﴿ مِن ﴾ استقصاءً لكل قولٍ : الفساد والصلاح والمباح .

وأما مَن قال : إن المباح من الكلام لا يكتب ، فيحتج بأن المباح لا ثواب فيه ولا عقاب عليه ، والكتابة هي للجزاء ، فيكون المباح مخصوصاً من عموم الآية . وظاهر النصوص القولُ بالعموم حتى المباح لأنه لا يخلو عن ملاحظةٍ قلبية صدر عنها .

وقد ذهب الامام مالك وجماعة من السلف أن الملكين يكتبان على الانسان كل شيء حتى الأنين في المرض. رواه الخطيب وابن عساكر عن مالك أنه بلغه : إن كلَّ شيء يكتب حتى الأنين في المرض.

قال ابن كثير : وذكر عن الإمام أحمد أنه كان يئنُّ في مرضه فبلغه عن طاووس أنه قال : يكتب الملك على الانسان كل شيء حتى الأنين في المرض ، فلم يئنّ أحمد بعدُ حتى مات رضي الله عنه .

وإنما أخبر سبحانه عباده بأن عليهم حافظين كراماً كاتبين

ليتجنبوا المنهيات والمخالفات ، ويعلموا أنهم إذا فعلوا الفواحش والمنكرات فانها مسطرة عليهم ومسجلة في كتبهم ، وأن من اقترف ذنباً فليبادر إلى الاستغفار والتوبة فوراً .

روى الحاكم باسناد صححه عن أم عصمة العوصية رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يعمل ذنباً إلا وقف الملك ثلاث ساعات ، فإن استغفر من ذنبه لم يكتبه عليه ولم يعذبه الله يوم القيامة » .

وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول : « طوبى لمن وُجد في صحيفته استغفار كثير » [١] .

اطلاع الملائكة الكاتبين على ما في قلوب بني آدم

اختلف العلماء في اطلاع الكرام الكاتبين على ما في قلوب بني آدم .

فذهب الجمهور إلى أن لهم اطلاعاً على ذلك ، بدليل ما في الصحيحين ـ واللفظ للبخاري ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «يقول الله تعالى للملائكة : إذا أراد عبدي أن يعمل سيئةً فلا تكتبوها

---

(١) قال الحافظ المنذري : رواه ابن ماجه باسناد صحيح والبيهقي .

عليه حتى يعملها ، فان عملها فاكتبوها بمثلها ، وإن تركها من أجلي ـ أي مخافة مني ـ فاكتبوها له حسنةً[1]،وإن أراد أن يعمل حسنةً فلم يعملها فاكتبوها له حسنةً ، فان عملها فاكتبوها له عشر حسناتٍ إلى سبعمائة ضعفٍ » .

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « قال الله عزَّ وجلَّ : إذا همَّ عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتُها ـ أي أمرتُ الملائكة أن تكتبها ـ له حسنةً ، فان عملها كتبتهاعشر حسنات إلى سبعمائة ضعفٍ ـ وفي رواية لهما : إلى أضعافٍ كثيرة ـ وإذا همَّ بسيئةٍ ولم يعملها لم أكتبها عليه ، فان عملها كتبتها سيئةً واحدةً » .

وروى مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:« قالت الملائكة: ربِّ ذاكَ عبدك يريد أن يعمل سيئةً ـ وهو أبصر به ـ فقال :ارقبوه،

---

(١) وأما إذا أراد السيئة ثم لم يعملها عجزاً منه لا خوفاً من الله تعالى فهو عند الله آثم ، كما يدل عليه حديث الصحيحين : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » قيل : يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ فقال ﷺ : « إنه أراد قتل صاحبه » أي ولكنه عجز عن ذلك .

فان عملها فاكتبوها له بمثلها ، وإن تركها فاكتبوها له حسنة . إنما تركها من جرّايَ » أي من أجلي .

فهذه الأحاديث تدل على أن الملائكة تطّلع على ما في القلوب من الهمم والإرادات وما هنالك من أعمال القلوب . وهـذا الإطلاع كما ذكره العلماء إما باعلام الله تعالى الملك بذلك وإخباره عما وقع في قلب ابن آدم ، وإما أن يخلق الله تعالى للملك علماً يدرك به ذلك . قال في الفتح : ويؤيِّد الأول ماأخرجه ابن ابي الدنيا عن أبي عمران الجَوْني قال : يُنادَى الملك : اكتب لفلان كذا وكذا . فيقول : ياربّ إنه لم يعمله ، فيقول : إنه نواه .

وقيل : بل يجد الملك للهمّ بالسيئة رائحةً خبيثةً ، وبالحسنة رائحةً طيبة ، وأخرج ذلك الطبراني عن أبي معشر المدني ، وجاء مثله عن سفيان بن عيينة ، ورأيت في شرح مُغْلَطاي أنه ورد مرفوعاً اه

وذهب بعض العلماء إلى أن الكرام الكاتبين لااطلاع لهم على أعمال القلوب . واستدلوا على ذلك بما ورد عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « يؤتى يوم القيامة بصحفٍ مختّمةٍ فتنصب بين يدي الله تعالى ، فيقول تبارك وتعالى : ألقوا هذه ـ أي الصحيفة ـ واقبلوا

هذه ـ أي الصحيفة ـ فتقول الملائكة : وعزّتكَ وجلالكَ ما رأينا إلا خيراً . فيقول الله عزّ وجلّ : إن هذا كان لغير وجهي ، وإني لا أقبل إلا ماابتُغي به وجهي » [١] .

وجاء في رواية مرسلة لابن المبارك : « إن الملائكة يرفعون أعمال العبد من عباد الله تعالى فيستكثرونه ويزكّونه حتى يبلغوا به حيث شاء الله تعالى من سلطانه ، فيوحي الله تعالى إليهم : إنكم حفظة عمل عبدي ، وأنا رقيب على ما في نفسه . إن عبدي هذا لم يخلص في عمله فاجعلوه في سجّين .. » الحديث [٢]

وأجاب هؤلاء عن كتابة الحسنة لمن همّ بالحسنة بأن المراد بكتابتها تثبيتها عنده سبحانه .

والحقْ ما عليه الجمهور ، وهو أن الملائكة يكتبون الأفعال والأقوال وأعمال القلوب ، وأنه سبحانه يطلعهم على ذلك ، ولكنه قد يخفي عن الملائكة نيّة المرائين بأعمالهم ، فيكتبون ما ظهر لهم من العمل دون ما أُخفي عنهم من الرياء ، ليبطل به سبحانه عمل المرائين

---

(١) قال الحافظ المنذري : رواه البزار والطبراني باسنادين رواة أحدهما رواة الصحيح والبيهقي .

(٢) انظر الدر المنثور وروح المعاني .

بعد كتابته ، يفعل ذلك بهم فضيحةً لهم وتشهيراً بهم ، وتنكيلاً وخذلاناً لهم ، اللهم إنا نعوذ بك من ذلك ، كما أنهم يوم القيامة يُردُّون إلى النار بعد تقريبهم من الجنة استهزاءً بهم .

رُوي عن عديّ بن حاتم رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «يؤمر يوم القيامة بناسٍ إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ، ونظروا إلى قصورها وما أعد الله لأهلها فيها ، نودوا أن اصرفوهم عنها لانصيب لهم فيها ، فيرجعون بحسرةٍ مارجع الأولون - وفي رواية والآخرون - بمثلها ، فيقولون : ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ماأريتنا من ثوابك ، وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا ! قال: ذاكَ أردتُ بكم يا أشقياء ! كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم ، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين ، تراؤون الناس بخلاف ماتعطونني من قلوبكم ، هِبْتم الناس ولم تهابوني ، وأجللتم الناس ولم تجلّوني ، وتركتم للناس ولم تتركوا لي . اليوم أُذيقكم أليم العذاب مع ماحُرِمتم من الثواب»[1]

(١) قال المنذري في الترغيب : رواه الطبراني في الكبير والبيهقي اهـ وعزاه في روح المعاني إلى أبي نعيم والبيهقي وابن عساكر وابن النجار وابن مردويه.

من عمل بطاعة الله تعالى ثم لم يتمكّن منها ونيته الدوام عليها فان الملائكة تكتب له أجر ذلك :

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « ما من أحدٍ من المسلمين يُبتلى ببلاءٍ في جسده ـ أي بسبب مرض أو كبرسنٍّ ـ إلا أمر الله تعالى الحفظة فقال : اكتبوا لعبدي ما كان يعمل وهو صحيح مادام مشدوداً في وثاقي »[1] .

وقد روي ذلك أيضاً في حق المسافر . فروى الطبراني عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى يكتب للمريض أفضل ما كان يعمل في صحته مادام في وثاقه ـ أي مرضه ـ وللمسافر أفضل ما كان يعمل في حاضره »

ونقل في فيض القدير عن ابن حجر رحمه الله تعالى أنه قال : هذا الحديث وارد في حق من كان يعمل طاعةً فمنع منها ، وكانت نيته ـ لولا المانع ـ أن يدوم عليها اهـ .

ومما ورد في ذلك مارواه النسائي وابن ماجه باسناد جيّد عن

(١) أي البلاء الذي ابتلاه الله تعالى به . وهذا الحديث رواه الطبراني والبيهقي والدارقطني .

أبي الدرداء يبلغ به النبي ﷺ قال : « من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى أصبح : كتب له ما نوى ، وكان نومه صدقةً عليه من ربّه » .

موقف الكرام الكاتبين لأعمال الإنسان بعد موته : اختلف العلماء في مقرّ الكرام الكاتبين بعد موت الانسان ؟ فقيل : يرجعون إلى معابدهم في السماء ، وقيل : يبقون حذاء قبر المؤمن يستغفرون له ويسبّحون ويحمدون ويكبرون ويكتبون ذلك في صحيفته . واستدلوا على ذلك بما روي عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى وكّل بعبده المؤمن ملكين يكتبان عمله ، فاذا مات قال الملكان اللذان وكّلا به : قد مات فأذنْ لنا أن نصعد إلى السماء ، فيقول الله تعالى : سمائي مملوءة من ملائكتي يسبّحونني ، فيقولان : نقيم في الأرض ؟ فيقول سبحانه : أرضي مملوءة من خلقي يسبحونني،فيقولان: فأين نقيم ؟ فيقول : قوما على قبر عبدي، فسبّحاني واحمداني وكبّراني ، واكتبا ذلك لعبدي إلى يوم القيامة » (١).

---

(١) قال في الدر المنثور : رواه البيهقي في الشُّعَب وأبوالشيخ ، وروي من طرقٍ أخرى أيضا .

أمر النبي ﷺ بالاستحياء من الكرام الكاتبين: روى البزار بالسند المتصل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: « إن الله ينهاكم عن التعرّي ، فاستحيوا من ملائكة الله تعالى الذين معكم الكرامِ الكاتبين الذين لايفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات: الغائط ، والجنابة ، والغسل ، فاذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه ، أو بجرم حائط ، أو ببعيره »[1]. وقد رواه ابن أبي حاتم مرسلاً عن مجاهد أن النبي ﷺ قال: « أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين: الجنابة والغائط ، فاذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم حائط أو ببعيره ، أو ليستره أخوه » .

الحكمة في كتابة أعمال بني آدم

إن الله تعالى أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً ، لايعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا يخفى عليه ما سكن في الظلماء أو تحرَّك بالضياء ، وهو الذي ينبيء عباده يوم القيامة بأعمالهم ، ويطلعهم على جميع شؤوناتهم وأحوالهم ، وإنما أمر

---

(١) قال ابن كثير بعدما أورد هذا الحديث بسنده : ثم قال الحافظ البزار : حفص بن سليمان أحد رواته لين الحديث ، وقد روي عنه واحتمل حديثه اهـ

الملائكة بكتابة أعمال العباد - وهو أعلم بذلك - لوجوه من الحِكم :

أولاً : أن يعلم العباد أن عليهم رقباء يرقبونهم في جميع تقلباتهم، ويسجلون عليهم كافة أفعالهم وأقوالهم . قال تعالى : ﴿ مايلفظ من قولٍ إلا لديه رقيب عتيد ﴾ وذلك مما يكفُّ الانسان عن فعل المخالفات وارتكاب المنكرات ، ويحمله على منهج الاستقامة والكرامة ، فان الانسان حين يعلم أن عليه رقيباً يرقبه من جانب من يلي عليه ، تراه يلتزم حدَّه ويقف عنده ، لعلمه بمراقب يرقبه ، مع أن هذا الرقيب هو إنسان مثله ، قد يغفل ويسهو وينسى ويلهو ، فما ظنك برقابة رقباء يلازمون رقبة ابن آدم ، لايتركونه في الليل ولا في النهار، ولايسهون ولا يغفلون ، بل هم كما وصفهم سبحانه ﴿ يعلمون ماتفعلون ﴾ ؟!

ولذا قال تعالى منبهاً ومتوعداً للطغاة البغاة: ﴿ أم يحسبون أنالانسمع سرهم ونجواهم ؟بلى ورسلنا لديهم يكتبون ﴾ . كما بين سبحانه أن مكر الماكرين في آياته هو مسجَّل عليهم . قال تعالى ﴿ وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا . قل الله أسرع مكراً إن رسلنا يكتبون ما تمكرون ﴾ وهذا شأن المنكرين الجاحدين ، إنهم إذا أذاقهم الله رحمة: رخاء وسعة ونعمة، بعد ضراء أي شدةٍ وضيق وبلاء ، إذا هم في تكذيب واستهزاء بآيات الله تعالى وطعن فيها وعدم اعتراف

بنعم الله عليهم .

ثانياً : إن هذا الكتاب الذي يسطِّر على بني آدم أعماله وأقواله ، سوف يكون يوم القيامة حجةً عليه إذا هو خالف أوامر الله تعالى أو ارتكب ماحرم الله تعالى ، ولا يستطيع حينئذ أن ينكر شيئاً مما سطره عليه الكتاب من صغيرة أو كبيرة . قال تعالى ﴿ وكلُّ شيء فعلوه في الزُّبُر . وكلُّ صغير وكبير مستَطَر ﴾ . أي مسطَّر عليهم في صحائفهم التي كتبها الكرام الكاتبون . وفي المسند وغيره عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول : « ياعائشة إياكِ ومحقَّرات الذنوب ، فان لها من الله طالباً » . فالصغيرات والمحقَّرات من الذنوب في نظر فاعلها لها طالب ، وعليها حاسب .

ثالثاً : أن يعلم العبد أن أعماله تكتب عليه وتحفظ في كتابه حتى إذا جاء يوم القيامة عرضت على رؤوس الأشهاد . فان كانت أعمالاً صالحة وأقوالاً طيبة فرح بذلك ، وسُرَّ سروراً عظيماً ، ويعطى كتابه بيمينه وهنا يقول معلناً سروره وغبطته هاؤم اقرؤوا كتابيه . قال الله تعالى ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم [1] اقرؤا كتابيه .

---

(١) أي خذوا اقرؤوا كتابي وانظروا ما فيه من الحسنات والخيرات .

إِني ظننت أني ملاقٍ حسابيهْ . فهو في عيشةٍ راضيةٍ ﴾ الآيات.

وقال تعالى : ﴿ يوم ندعو كل أناس بإمامهم (١) ، فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم ﴾ أي فرحين مستبشرين ومعلنين ذلك على مرأى الأشهاد ﴿ ولا يظلمون فتيلا ﴾ .

وإِن كانت أعمالاً سيئة سيء وجهه وكرب لذلك ، وأخذ يتلوّم ويتحسَّر ، قال الله تعالى ﴿ وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أُوتَ كتابيهْ . ولم أدرِ ما حسابيهْ . ياليتها كانت القاضية . ما أغنى عني ماليهْ . هلك عني سلطانيهْ ﴾ .

رابعاً : أن توضع كتب الفجار وما اشتملت عليه من قبائح وفضائح ، وسيئات وهنات ، في ديوان سجّين أسفل سافلين ، وتتوارد عليهم الويلات واللعنات .

وترفع كتب الأبرار وما احتوت عليه من أعمال الطاعات والحسنات والخيرات إِلى ديوان علّيين ، ليشهدها المقرَّبون من الملائكة

---

(١) أي برسولهم ، أو دينهم أو كتابهم الذي جاء به نبيهم ، فيقال : يا أتباع النبي فلان ، ويا أهل دين كذا ، ويا أهل كتاب كذا . وعن ابن عباس أن المراد بالامام هنا متبوعهم في الدنيا الذين اتبعوه في الخير أو في الشر ، في الهدى أو في الضلال .

والأرواح العالية ومقرّبو كل سماء ، وهناك يثنى على أصحابها ، وينشر فضلهم ويعلو ذكرهم وتشهد كرامتهم ويذكر فعلهم .

قال الله تعالى ﴿ كلاَّ إن كتاب الفجار لفي سجّين. وما أدراك ما سجين !. كتاب مرقوم . ويل يومئذٍ للمكذبين ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ كلاَّ إن كتاب الأبرار لفي علـّيين . وما أدراك ماعلـّيون!. كتاب مرقوم . يشهده المقرّبون ﴾ .

خامساً : أن يوضع الكتاب يوم القيامة للحساب . قال تعالى : ﴿ ووُضِع الكتاب ، فترى المجرمين مشفقين مما فيه ، ويقولون : ياويلتنا مالِ هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ؟! ووجدوا ماعملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك أحداً ﴾ .

وقال تعالى ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ، ووضع الكتاب ، وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهو أعلم بما يفعلون ﴾ . والمعنى أن أرض الموقف أشرقت بنور ربها لما تجلى سبحانه لفصل القضاء بين الخلائق ، وهناك حقّت الحقائق ، وبرزت الدقائق ، وبليت السرائر وظهرت الضمائر ، فعلمت كل نفس ما أحضرت . وقوله تعالى ﴿ ووضع الكتاب ﴾ قال كثير من المفسرين : المراد بهذا الكتاب كتب أعمال العباد ، و « أل » فيه للاستغراق ، والمراد بوضعه جعل كل كتاب

في يد صاحبه : اليمين أو الشمال ، أو جعل كل كتاب في ميزان صاحبه .

وذهب بعض المحققين إلى أن المراد بهذا الكتاب هنا : كتاب واحد جامع لجميع أعمال العباد يوضع للحساب .

قال العلامة اللقاني في بعض شروحه على الجوهرة : جزم الغزالي رضي الله عنه بما قيل إن صحف العباد ينسخ ـ أي يكتب ـ مافي جميعها في صحيفة واحدة اه . قال في روح المعاني : والظاهر أن جزم الغزالي وأضرابه لايكون إلا عن أثر ، لأن مثله لا يقال من قِبَل الرأي كما هو الظاهر . اه

أقول : قد بين ذلك الشيخ الأكبر رضي الله عنه فذكر أن هناك كتابين عظيمين جامعين : أحدهما يسمى « أماً » كتب فيه ماهو كائن إلى يوم القيامة ، فهو كتاب ذو قدر معلوم ، فيه بعض أعيان الممكنات ، وما يتكوّن عنها ويسمى « كتاب القضاء » وهو ـ أي القضاء ـ الحكم الإلٰهيّ على الأشياء الممكنة بكذا وكذا .

وثانيهما يسمى « كتاب الإحصاء » قال تعالى ﴿ وكلَّ شيءٍ أحصيناه كتاباً ﴾ وقد كتب فيه مايتكوّن عن المكلفين خاصةً ،

فلا تزال الكتابة فيه مستمرةً مادام التكليف باقياً ، وبه تقوم الحجة لله تعالى على عباده المكلفين ، وبه يطالبهم ويحاكمهم يوم القيامة ، لابالكتاب الأول ، وهذا هو المراد بقوله تعالى ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مالِ هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾ الآية . وكلا الكتابين محصور لأنه موجود بإيجاده تعالى ، وأما علم الله تعالى في الأشياء فلا يحصره كتاب مرقوم ولا يسعه رقّ منشور ولا لوح محفوظ ولا يسطره قلم أعلى . اهـ [١] .

ومن جملة الشهداء الذين يشهدون يوم القيامة على العباد : الكرام الكاتبون ، يشهدون على النفس الموكلين عليها . قال تعالى ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾ . وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : ضحك رسول الله ﷺ فقال : « هل تدرون ممَّ أضحك ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم . قال « من مخاطبة العبد ربَّه . فيقول يا ربِّ ألم تجرني من الظلم ؟ فيقول بلى . فيقول ـ العبد ـ إني لا أجيز اليوم على نفسي شاهداً إلاّ مني ، فيقول ـ تعالى ـ : كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ، وبالكرامِ الكاتبين عليك شهوداً . قال : فيختم على فيه ـ أي

(١) انظر الجزء الثالث من الفتوحات .

فه ـ ويقال لأركانه ـ أعضائه ـ : انطقي ، فتنطق بعمله ، ثم يخلَّى بينه وبين الكلام ، فيقول : بُعْداً لكُنَّ وسُحقاً ، فعنكُنَّ كنتُ أناضل » أي أجادل وأدافع .

موقف العبد يوم القيامة من كتابه وكتَّابه : إذا نشرت صحف الاعمال وشهد على ذلك الكرام الكاتبون : أقرَّ العبد بذلك ، وأيقن بصدق الملائكة الكتبة وثقتهم ، ولم يجد سبيلا إلى الانكار ولا الاعتذار ، ولا للطعن في الشهداء لأنهم عدول أخيار ، كما ورد في حديث البطاقة : « إن الله تعالى يقول للعبد : أتنكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لايارب . فيقول : أفلَك عذر ؟ فيقول : لا يارب .. » الحديث .

وكيف يستطيع العبد يوم القيامة أن ينكر أعماله التي صدرت منه في الدنيا والحال قد نطق بها كتابه ؟ قال تعالى ﴿ ولدينا كتاب ينطق بالحق ، وهم لايظلمون ﴾ . أم كيف ينكر العبد أعماله وقد وجدها حاضرةً أمامه ؟ قال تعالى ﴿ ووجدوا ماعملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك أحداً ﴾ وقال تعالى ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء .. ﴾ الآية . بل كيف ينكر العبد أعماله وقد

ارتسمت آثارها في لوح نفسه ، فهو يشهدها بحسه ؟ قال تعالى ﴿ كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ .

الملائكة الموكلون بحفظ بني آدم من المضار من أجل أن الله تعالى أمرهم بذلك

قال الله تعالى ﴿ سواء منكم مَن أسرَّ القول ومن جهر به ، ومَن هو مستخفٍ بالليلِ وساربٌ بالنهار ، له معقّبات[١] من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ، إن الله لا يغيِّر مابقومٍ حتى يغيِّروا مابأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردَّ له ، ومالهم من دونه من وال ﴾ .

يخبر سبحانه عن سعة سمعه للأصوات والأقوال كلها ، سرِّها وجهرها ، كما يخبر سبحانه عن إحاطة بصره لسائر المخلوقات ، في سائر الحالات : ظلماتها وضيائها وليلها ونهارها ، ثم يبين سبحانه إحاطة قدرته بجميع الأشياء وأنه لايستطيع أحد أن يحفظ غيره إلا بأمره تعالى وتقويته على ذلك . فهو سبحانه وكّل بابن آدم ملائكة معقِّبات ،

(١) المعقبات : جمع معقبة ، وإنما وصفت الملائكة الموكلون بحفظ ابن آدم بذلك ، لأنهم يعقب بعضهم بعضاً في حفظ ابن آدم وكلاءته في الليل والنهار ، دون أن يقع بينهم فترة انقطاع .

يحفظونه من المضارّ والمهلكات ، من أجل أن الله تعالى أمرهم بذلك، وقوّاهم على ذلك ، كما جاء في قراءة أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة رضي الله تعالى عنهم أجمعين قرؤوا «يحفظونه بأمر الله » (١)

وهذا أمر معاين مشهود ، فكثيراً ما يقع شخصان في خطر عظيم وكرب جسيم ، وإذ بأحدهما ينجو ويسلم ، والآخر يصيبه مايصيبه ، مع أن الخطر أحاط بهما ، فهذا حفظته الملائكة من أجل أن الله تعالى أمرهم بذلك ، فعُصِم ، وذاك تخلَّوا عنه فقُصم .

روى ابن أبي الدنيا والطبراني عن أبي أمامة مرفوعاً قال : « وكِّل بالمؤمن ثلثمائة وستون ملكاً ، يدفعون عنه مالم يقدر عليه من ذلك . للبصر سبعة أملاك يذبُّون عنه كما يُذبّ عن قصعة العسل من الذباب في اليوم الصائف ، وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل ، وكلهم باسط يديه فاغرٌ فاه ، وما لو وُكِل العبد فيه إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين » . وأخرج ابن المنذر وغيره عن علي رضي الله عنه قال : لكل عبد حفظة يحفظونه ، لايخرّ عليه حائطأو

---

(١) و « من » في قوله تعالى ﴿ يحفظونه من أمر الله ﴾ للسببية ، ويقال لها : أجْلية ، أي من أجل أمر الله تعالى بذلك .

يتردّى في بئر أو تصيبه دابة ، حتى إذا جاء القدر الذي قدر له خلّت عنه الحفظة فأصابه ماشاء الله تعالى أن يصيبه .

القرين من الملائكة يدل ابن آدم على الخير

روى مسلم وأحمد وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « مامنكم من أحد إلاّ وقد وكّل به قرينه من الجنّ وقرينه من الملائكة » قالوا : وإيّاك يارسول الله؟ قال : « وإيّاي، إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلمَ فلا يأتيني إلا بخير » .

إن الله تعالى خلق الانسان واستعمره في دار الدنيا ، وهي دار التكليف والاختبار ، وقد أعطاه العقل والاختيار المناسب لخلقه ووجوده الممكن والمتسع لتكاليفه الشرعية ، ثم أرسل الله تعالى الرسل صلوات الله عليهم فجاءوا بالشرائع السماوية والنظم الإلٰهية المشتملة على مصالح العباد والبلاد وسعادة الدنيا والآخرة ، وبينت الرسل صلوات الله تعالى عليهم ذلك بأكمل بيان ، وأوضح برهان ، حتى ظهر الحق وانجلى نور شرع الله تعالى ،فهنا تحرّك القرين الشيطاني ليصرف هذا الانسان عن متابعة الحق بعد ما تبيّن ، ويحمله على اتباع الهوى الفاسد ، وراح يزين له فعل الشر ليصرفه عن جانب الخير ، وأخذ القرين الملكي يحسن له الخير ويحمله على متابعة الحق الذي فيه الصلاح

والفلاح ، ووقف العبد موقف المختار ، فاما أن يختار ويستحب الهدى على الردى ، ويجنح إلى جانب الحق مبتعداً عن الباطل ، ويرجح جانب القرين الملكي ، وإما أن يختار ويستحب العمى على الهدى والغيّ على الرشاد ، ويجنح إلى جانب القرين الشيطاني ، وينتظم في سلك الشياطين ، كما قال تعالى ﴿ شياطينَ الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾.

وقد حفظ الله تعالى النبي ﷺ وأعانه على القرين الجني فأسلم وآمن ، فأصبح لايأتي النبي ﷺ إلا بخير ، والراجح لدى النظر رواية « فأسلمَ » بفتح الميم ، بمعنى صار مسلماً مؤمناً ـ على رواية « فأسلمُ » بضم الميم ، بمعنى أسلمُ من شره . وذلك لأنه أصبح لايأتي إلا بخير ، وهذا شأن المسلم المؤمن ، وأما الكافر فلا يألو شراً.

ملائكة اللمة [1] بابن آدم

قال الله تعالى: ﴿ الشيطان يَعِدُكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرةً منه وفضلاً والله واسع عليم ﴾ وقد بين النبي ﷺ الذي علم البيان عن معاني القرآن ، فقال كما ورد في الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « إن للشيطان لَمّة بابن

(١) اللّمة هي الخطرة الواحدة، من الالمام ، وهو القرب من الشيء والدنوّ منه .

آدم ، وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمـَّة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق،فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى ، ومن وجد الأخرى فليتعوّذ بالله من الشيطان ثم قرأ ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا .. ﴾ (١) الآية .

فالشيطان يُلمْ بابن آدم ـ أي يدنو منه ـ ليعده بالشرّ ، فيخيفه من الفقر حتى يمسك عن الانفاق والتصدق في سبيل الله تعالى،ويقول لابن آدم : أمسك عليك مالك ، ولا تتصدق وأبْقه لعيالك ، وأصلح به حالك ، فربما كبرت سنّك ، وقد ذهب مالك فتمسي فقيراً.. الخ. كما وأن الشيطـان يحمل ابن آدم على التـكذيب بالحق الذي جاء عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ .

وأما الملك فانه يلمّ بابن آدم ليعده بالخير في الدنيـا والآخرة ، ويفتح له أبواب البشائر والسعادات ، ويحمله على التصديق بالحق الذي جاء عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ ، فما أرأف وأرحم رب العالمين بعباده ! نعم هو سبحانه أرأف وأرحم بعباده من أنفسهم .

---

(١) رواه الترمذي وقال : حسن غريب ، ورواه النسائي وأخرجه ابن حبان في صحيحه .

كما وأن لله تعالى واعظاً في قلب عبده المسلم يذكـِّره بالخير ويحذّره من الشرّ . ففي المسند عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « ضرب الله مثلاً : صراطاً مستقيماً ، وعلى جنبتي الصراط سُوران فيهما أبواب مفتّحة ، وعلى الأبواب ستـور مُرخاة ، وعلى باب الصراط داعٍ يقول ياأيّها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا ـ أي لاتنحرفوا ـ وداعٍ يدعو من فوق الصراط فاذا أراد الانسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال : ويحك لاتفتحه ، فانك إن تفتحه تلِجْه ـ أي تدخله ـ . فالصراط الاسلام، والسُّوران حدود الله تعالى ، والأبواب المفتّحة محارم الله تعالى ، وذلك الداعي على رأس الصراط كتـاب الله تعالى ، والداعى من فـوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم »[١] .

فعلى المسلم أن يُصغي إلى واعظ الله تعـالى في قلبه ، وليعمل بمقتضى وعظه . ويسمى أيضاً : الزاجر ، كما بيّنـه العـارفون وهو النور المقذوف في القلب الداعي إلى ما يقرّب إلى الله تعالى، الزاجرُ

(١) قال الحافظ ابن كثير : رواه الترمذي والنسائي جميعاً عن علي بن حُجر ، عن بقية ، عن بجير بن سعد عن خالد بن معدان ، عن جبيربن نفير ، عن النواس بن سمعان ، وهو إسناد حسن صحيـح ، والله أعلم . اه

عما يُبعد عنه سبحانه .

وبناءً على هذه الأحاديث النبوية الآنفة ـ قسم العلماء العارفون الواردات التي ترد على القلوب إلى أربعة أقسام : الوارد الرحماني، وهو أوّل الخواطر ويسمى السبب الأول ، ويعرف بقوّته وتسلّطه على القلب السليم الصافي ، وعدم اندفاعه بالدفع . والوارد الملكي ، وهو مايبعث على فعل الخير والصلاح ، ويسمى إلهاماً ، والوارد النفسانيُّ ، وهو مافيه حظ النفس ويسمى هاجساً ، والوارد الشيطاني، وهو مايدعو إلى فعل الشر ومخالفة الحق ويسمى وسواساً .

والأصل العام الحاكم في التفرقة بين تلك الواردات كما أجمع عليه العلماء والعارفون : هو الميزان الشرعي ، فما وافق ماجاء به الشرع فهو من الأولَيْن ، وما خالفه فهو من الاخيرَيْن .

وهناك علامات تدل على نوعية تلك الواردات، ذكرها العارفون، يدركها من هو صافي القلب طاهر السريرة .

فمن ذلك : أن كل مايكون سبباً في الخير مأمون الغائلة في العاقبة ، ولا يكون سريع الانتقال إلى غيره ، ويحصل بعده توجّه تامّ إلى الله تعالى وإقبال عليه : فهو رحماني أو ملكي ، وما يكون بعكس ذلك فهو شيطاني .

ومن ذلك أن ماأورث أنساً وانشراحاً للصدر ونوراً في القلب فهو رحماني ،وما كان فيه دلالة على الخير وتنشيط الهمة نحو الخيرفهو ملكي ، وما كان ضد ذلك فهو شيطاني .

ومنها : أن ما أورث سكينةً وطمأنينةً للقلب فهو ملكي، وما أورث قلقاً واضطراباً فهو شيطاني . والإلهام الملكي يكثر وروده على القلوب الطاهرة النقية المستنيرة بنور الله تعالى ، فللملك اتصال بها قويٌّ ، لمناسبة الطيب والطهر والصفاء والنقاء ، وأما القلب المغبّر أو المظلم الذي اسودَّ بدخان الشبهات أوالشهوات المحرمة فتكثر وارداته الشيطانية ، لكثرة ورود الشياطين له ، للمناسبة بينهما [١] .

---

(١) قال العلامة الشيخ زروق في قواعده : تمييز الخواطر من مهات أهل المراقبة ، لنفي الصوارف عن القلوب ، فلزم الاهتمام بها لمن له في ذلك أدنى قدم ، والخواطر أربعة : رباني بلا واسطة ، ونفساني ، وملكي ، وشيطاني . وكلٌّ إنما يجري بقدرة الله تعالى وإرادته وعلمه .

فالربّاني لامتزحزح ولا متزلزل ، كالنفساني،ويجريان - أي الرباني والنفساني- لمحبوب وغيره ، فما كان في التوحيد الخاصّ فرباني (وما كان) في مجاري الشهوات فنفساني ، وما وافق أصلاً شرعياً لايدخله رخصة ولا هوىً فربّاني ، وغيره فنفساني ، ويعقب الرباني برودة وانشراح ، والنفسانيّ يبس وانقباض ، والرباني كالفجر الساطع لم يزدد إلا وضوحاً ، والنفساني كعمود قائم إن لم ينقص بقي على حاله . فأما الملكي والشيطاني فمتردّدان =

حضور الملائكة عليهم السلام مجالس العبادات

حضور الملائكة صلاة الجمعة واستماعهم للذكر والوعظ : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأوّل فالاوّل ، ومَثَل المهجِّر - أي المبكر - كمثل الذي يُهدي بدنةً ، ثم كالذي يهدي بقرةً ، ثم كبشاً ، ثم دجاجةً ، ثم بيضةً ، فاذا خرج الإمام طوَوْا صحفهم يستمعون الذكر » . رواه الشيخان .

شهود الملائكة يوم الجمعة : روى ابن ماجه عن أبي الدرداء رضي الله

= - أي يكثر ترددها على القلب مابين تارةٍ وأخرى - (ولكن) لا يأتي الملكي إلا بخير ، والشيطاني قد يأتي به - أي بالخير لكنه ممزوج بشر أو عاقبته شر - فيشكل ، ويفرق (بينهما) بأن الملكي تعضده الأدلة ، ويصحبه الانشراح ، ويقوى بذكر الله تعالى ، فأثره كغبش الصبح ، وله نفاذمّا ، بخلاف الشيطاني ، فانه يضعف بذكر الله تعالى ويعمي عن الدليل، وتعقبه حرارة ، ويصحبه اشتعال وغبار وضيق وكزازة في الوقت ، وربما تبعه كسل الخ اه . ومن أراد تفصيل ذلك فليرجع إلى كتب القوم، سيما التعريفات والاصطلاحات ، ومقدمة الشيخ داود القيصري ، وشروح الرسالة القشيرية ونحوها .

عنه أن النبي ﷺ قال : « أكثروا من الصلاة عليّ يوم الجمعة ،[١] فانه يوم مشهود تشهده الملائكة [٢] ، وإن أحداً لن يصلي علي إلاّ عُرضت عليّ صلاته حين يفرغ منها » قلت : وبعد الموت ؟ فقال ﷺ « وبعد الموت ، إن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » [٣] .

تأمين الملائكة لفاتحة الصلاة : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قال الإمام : غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا : آمين ، فانه مَنْ وافق قوله قول الملائكة : غُفر له ماتقدَّم من ذنبه » . متفق عليه . وفي رواية للبخاري : « إذا قال أحدكم : آمين ، وقالت الملائكة في السماء : آمين ، فوافقت إحداهما الأخرى : غُفر له ماتقدَّم من ذنبه » .

قال الحافظ ابن حجر : والذي يظهر أن المراد بالملائكة مَنْ يشهد تلك الصلاة من الملائكة ممن في الأرض والسماء اه.

---

(١) ذكر أبو طالب المكي أن أقلّ الأكثرية ثلاثمائة مرة .

(٢) أي تشهد مايجري فيه من أعمال صالحة وقربات وطاعات لتشهد بها عند الله تعالى .

(٣) قال المناوي : رجاله ثقات اه .

تحميد الملائكة في الصلاة : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قال الإمام : سمع الله لمن حمده ، فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد ، فانه من وافق قوله قول الملائكة : غُفر له ماتقدَّم من ذنبه » . متفق عليه .

حضور الملائكة الحفظة عند صلاتي الفجر والعصر: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :«تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر وصلاة العصر ، فيجتمعون في صلاة الفجر فتصعد ملائكة الليل ، وتثبت ملائكة النهار ، ويجتمعون في صلاة العصر فتصعد ملائكة النهار ، وتثبت ملائكة الليل ، فيسألهم ربهم : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون فاغفر لهم يوم الدين » . رواه الشيخان وابن خُزيمة ـ واللفظ له ـ كما في الترغيب .

الملائكة تحفُّ بالمصلي إلى عنان السماء : روى محمد بن نصر عن الحسن البصري مرسلاً : أن النبي ﷺ قال : « للمصلي ثلاث خصال : يتناثر البرُّ من عنان السماء إلى مفرق رأسه ، وتحفُّ به الملائكة من لدن قدميه إلى عنان السماء ، ويناديه منادٍ : لو يعلم المصلي مَن

يناجي ما انفتل » . أي ما انفتل من صلاته بل يبقى متوجهاً لمن يناجيه سبحانه .

الملائكة يتفقّدون أهل المسجد : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن للمساجد أوتاداً الملائكة جلساؤهم، إن غابوا يفتقدوهم ، وإن مرضوا عادوهم ، وإن كانوا في حاجة أعانوهم ثم قال : جليس المسجد على ثلاث خصال : أخٌ مستفاد، أو كلمة حكمة ، أو رحمة منتظرة » . [١]

الملائكة يبلِّغون رسول الله ﷺ السلام عن أمته : عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن لله ملائكة سيّاحين في الأرض يبلِّغوني عن أمتي السلام » [٢] وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « حيثما كنتم فصلّوا عليّ فان صلاتكم تبلغني » . رواه الطبراني باسنادٍ حسن كما في الترغيب .

صلوات الملائكة على عباد الله المؤمنين وأسباب ذلك : قال الله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ، وسبّحوه

(١) رواه أحمد من رواية ابن لهيعة ، ورواه الحاكم وقال صحيح على شرطها كما في الترغيب للمنذري .

(٢) رواه أحمد والنسائي وابن حبان في صحيحه .

بُكرةً وأصيلاً . هو الذي يصلِّي عليكم وملائكته ليخرجكم من من الظلمات إلى النور ، وكان بالمؤمنين رحيماً ﴾ .

أمر الله تعالى المؤمنين أن يذكروه ذكراً كثيراً ، وهو مايعمّ الأوقات والأحوال كلها سوى الأحوال التي كره الشارع فيها ذلك ، فقد صح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان رسول الله ﷺ يذكر الله على أحيانه كلها . أي فيعطي كل حين حقه من ذكر الله تعالى بالثناء أو الدعاء أو نحو ذلك. وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما : الذكر الكثير أن لايُنسى جلّ وعلا .

ثم قال سبحانه ﴿ وسبِّحوه بكرةً وأصيلاً ﴾ أي أول النهار وآخره ، وخصهما بالذكر لأن لهما فضلاً على غيرهما بسبب حضور ملائكة الليل والنهار ، والتقائهما فيهما . وقال بعضهم : المراد بالتسبيح بكرة وأصيلا صلاةُ الفجر وصلاةُ العصر .

﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ﴾[1] والصلاة من الله تعالى

(١) وورود هذه الآية منفصلة ــ أي بدون عطف على ماقبلها ــ إمّا من باب ترتّب الجزاء على العمل ، فهي بيان للمؤمنين أنهم إذا ذكروا الله ذكراً كثيراً وسبّحوه بكرةً وأصيلاً : فان الله تعالى يكرمهم فيصلي عليهم هو وملائكته . أو من باب بيان السبب الموجب على المؤمنين أن يذكروا الله =

تشتمل على الرحمة الخاصة والتعطف والحنان ، والصلاة من الملائكة هي الدعاء والاستغفار . ثم بيَّن سبحانه آثار صلاته على عباده المؤمنين وصلاة ملائكته وماذا يترتب على ذلك ، فقال ﴿ ليخرجكم من الظلمات إلى النور ﴾ أي ليخرجكم من ظلمات لذنوب والشبهات والشهوات الصادرة عن النفس وأهوائها وانحرافها - إلى نور الطاعة والهداية واليقين، كما أنه سبحانه يخرجكم من ظلمات النفس وغواشي المحسوسات إلى نور اليقين وأسرار الملكوتيات .

حضور الملائكة مجالس ذكر الله تعالى : روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن لله ملائكةً يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر - وفي رواية لمسلم : يتتبعون مجالس الذكر - فاذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا : هلمُّوا إلى حاجتكم ، فيحفُّونهم بأجنحتهم[1] إلى السماء الدنيا - وفي رواية مسلم : قعدوا معهم وحفَّ بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين

= ذكراً كثيراً ويسبحوه بكرة وأصيلاً . والمعنى حينئذ : اذكروا الله ذكراً كثيراً .. الآيات لأنه سبحانه يصلي عليكم هو وملائكته ، فأدُّوا واجب هذا بذلك . والله أعلم .

(١) أي يدنون بأجنحتهم حول الذاكرين .

السماء الدنيا ـ فيسألهم ربهم ، وهو أعلم منهم ـ زاد مسلم فاذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم : من أين جئتم ؟ فيقولون جئنا من عند عبادٍ لك في الأرض،فيقول سبحانه: مايقول عبادي ؟ قال فيقولون : يسبِّحونك ، ويكبرونك ، ويحمدونك ، ـ وفي رواية : ويمجِّدونك ـ قال فيقول : هل رأوني ؟ قال فيقولون : لا والله مارأوك . قال فيقول : كيف لو رأوني ؟ قال يقولون : لو رأوك كانوا أشدَّ لك عبادةً ، وأشد لك تمجيداً ، وأكثر لك تسبيحاً .

قال يقول:فما يسألوني ؟ قال يقولون: يسألونك الجنة . قال يقول : وهل رأوها؟ قال يقولون:لا والله يارب مارأوها.قال فيقول : فكيف لو أنهم رأوها . قال فيقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشدَّ عليهاحرصاً وأشدَّ لها طلباً وأعظم فيها رغبة . قال : فممَّ يتعوَّذون ؟ قال يقولون : من النار ، قال يقول : وهل رأوها ؟ قال يقولون : لا والله يا ربِّ مارأوها ، قال يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال يقولون : كانوا أشدَّ منها فراراً وأشدَّ لها مخافة ، قال فيقول : فأشهدكم أني قد غفرتُ لهم . قال يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجةٍ ، ـ وفي رواية : فيقولون : إن فيهم فلاناً الخطاء لم يُردهم ، إنما جاء لحاجة ـ أي لايقصد الذكر معهم ـ فيقول سبحانه : وله قد

غفرتُ ، هم القوم لايشقى بهم جليسهم ـ وفي رواية للبخاري : هم الجلساء لايشقى جليسهم ـ » . والمعنى هم جلساء الحق لايشقى بهم جليسهم من الخلق ، وذلك لما ورد : « أنا جليس من ذكرني » . وحديث الصحيحين : « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ـ وفي رواية : وأنا معه حين يذكرني » . هذا وإن مجالس الذكر تشمل مجالس القرآن الكريم ، ومجالس تفسيره ، ومجالس الحديث النبوي ، ومجالس العلم الشرعي ، ومجالس التسبيح والتحميد والتهليل ، ومجالس الصلاة على النبي ﷺ ، ومجالس الاستغفار والدعاء ، فان جميع ذلك فيه ذكر الله تعالى ، قال في فتح الباري : وفي هذا الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين ، وفضل الاجتماع على ذلك ، وأن جليسهم يندرج معهم في جميع مايتفضل الله تعالى به عليهم إكراماً لهم ـ أي للذاكرين ـ وإن لم يشاركهم في أصل الذكر ، وفيه محبة الملائكة لبني آدم واعتناؤهم بهم ، وفيه أن السؤال قد يصدر من السائل وهو أعلم بالمسئول عنه لإظهار العناية بالمسؤول عنه ، والتنويه بقدره والإعلان بشرف منزلته ـ يعني أن سبحانه إنما سأل الملائكة وهو أعلم بعباده من الملائكة ليباهي الملائكة بالذاكرين ، وليِنوِّه بهم ويعلن بشرف منزلتهم ـ ثم قال : وفي الحديث بيان كذب من ادَّعى أنه يرى الله

تعالى جهراً في الدنيا ، وقد ثبت في صحيح مسلم ومن حديث أبي امامة رفعه: « واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا » اهـ.

حضور الملائكة عليهم السلام مجالس القرآن ، ومجالس الصلاة على من أنزل عليه الفرقان : عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن لله سيَّارةً من الملائكة يطلبون حلَق الذكر ، فإذا أتوا عليهم حفُّوا بهم ، ثم يقفون وأيديهم إلى السماء إلى ربّ العزة تبارك وتعالى فيقولون : ربنا أتينا على عباد من عبادك : يعظّمون آلاءك ، ويتلون كتابك ، ويصلُّون على نبيك محمد ﷺ ، ويسألونك لآخرتهم ودنياهم ، فيقول الله تبارك وتعالى : غشُّوهم رحمتي ، فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم » [١].

مجالس الثناء على الله تعالى وذكر نعمه يباهي الله تعالى بها ملائكته :[٢] عن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال : « ما أجلسكم ؟ » قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ماهدانا للاسلام ومَنَّ به علينا . فقال : « آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟»

(١) رواه البزار كما في الترغيب .

(٢) ومعنى المباهاة : هي إعلان الثناء عليهم ، والاعلام بكريم منزلتهم عنده سبحانه .

قالوا آللهِ ماأجلسنا إلا ذلك . فقال ﷺ : « أما إني لم أستحلفكم تهمةً لكم ، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عزَّ وجلَّ يباهي بكم الملائكة » . رواه مسلم .

تباهي الملائكة بمجالس ذكر نِعم الله تعالى وحمده : عن أنس رضي الله عنه قال : كان عبدالله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال له : تعال نؤمن بربنا ساعةً - أي لنزداد إيماناً - فقال ذات يوم لرجل ، فغضب الرجل فجاء إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة؟ فقال النبي ﷺ : « يرحم الله ابن رواحة إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة » [١] .

وروى الطبراني عن ابن عباس قال : مرَّ النبي ﷺ بابن رواحة وهو يذكّر أصحابه فقال ﷺ : « أما إنكم الملأ الذين أمرني الله أن أصبر نفسي معكم ، ثم تلا هذه الآية ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم ﴾ الآية .

الملائكة تحفُّ بالذين يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه بينهم : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من نفَّس

(١) رواه أحمد باسناد حسن كما في الترغيب ومجمع الزوائد .

عن مؤمنٍ كربة من كُرَب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة [١]، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن يَسَّر على مُعسرٍ يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له طريقاً إلى الجنة [٢]، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا حفَّتهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطّأ به عمله لم يسرع به نسبُه». رواه مسلم وأصحاب السنن. فما أشرفَ الاجتماع على تلاوة كتاب الله تعالى ومدارسته نصاً أو معنى وتفهّمه

---

(١) وإن كرب يوم القيامة هي أدهى وأمرّ من كرب الدنيا، وما أحوج الانسان إلى مايفرج عنه الكرب يوم القيامة!.

(٢) قال في الفتح المبين: والمراد بتسهيل الطريق إلى الجنة: تسهيل الانتفاع به والعمل بمقتضاه، وهو العمل الصالح، فيكون العلم سبباً لهدايته ودخوله الجنة وسبباً لتسهيل طريق الجنة يوم القيامة وهو الصراط وما قبله، فيأمن من تلك الأهوال والمخاوف، فان العلم يدل على الله تعالى من أقرب الطرق إليه، فمن سلك طريق العلم وحقّقه بالعمل ولم يعرج عنه: وصل إلى الله تعالى وإلى الجنة من أقرب الطرق وأسهلها، إذ لاطريق إلى معرفته تعالى ورضاه إلا بالعلم النافع وهو العلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله المقتضي لخشيته وإجلاله ومحبته ورجائه، وهذا أول علم يرفع، كما ورد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه اهـ.

وتدبّره ؟ إن هذا الاجتماع لتحفّ به الملائكة حفاوةً وتكريماً وحباً فيه وقرباً منه .

الملائكة تنزل بالسكينة على قارىء القرآن : روى البخاري عن أُسيد بن حضير قال : بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس ـ أي هاجت واضطربت ـ فسكت عن القراءة ـ فسكنت الفرس ، ثم قرأ فجالت الفرس ، فانصرف ـ أُسَيد ـ وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق ـ أسيد على ابنه ـ أن تصيبه ،فلما اجترّه[1] رفع رأسه إلى السماء حتى مايراها،وفي رواية : رفع رأسه إلى السماء ، فاذا هو بمثل الظُّلَّة فيها أمثال المصابيح عرجت إلى السماء حتى مايراها ، وفي رواية لمسلم : فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السُرُج عرجت في الجوّ حتى مأراها ـ فلما أصبح حدَّث النبي ﷺ ، فقال له ﷺ : « اقرأ يا ابن حُضير،اقرأ ياابن حُضير »[2] .

(١) أي اجترّ أُسيد ابنه يحيى من المكان الذي هو فيه حتى لاتطأه الفرس.

(٢) أي كان ينبغي لك ياابن حضير أن تستمرّ على قراءتك ، لتستمر لك البركة والسكينة بنزول الملائكة واستماعها لقراءتك ، وفهم أسيد ذلك فأجاب بعذره فى قطع القراءة ، وهو خوفه على ابنه يحيى أن تطأه الفرس . اه فتح الباري .

قال أسيد : فأشفقت يارسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريباً ، فانصرفتُ إليه فرفعت رأسي إلى السماء ، فاذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح ، فخرجت حتى ماأراها ، فقال ﷺ : « وتدري ماذاك ؟ » قال لا ، فقال ﷺ : « تلك الملائكة دنتْ لصوتك - وفي رواية مسلم : تلك الملائكة تستمع لك ، ولو قرأتَ لأصبحَتْ ينظر الناس إليها لا تتوارى - أي لاتختفي - منهم . وفي رواية الحاكم: تلك الملائكة نزلت لقراءة القرآن ، أما إنك لو مَضَيْتَ - أي بقيت على قراءتك - لرأيت العجائب » . والمعنى أنه لو استمر على قراءته لبقيت الملائكة بارزةً للناس غير مستترة عنهم لاستغراقها في لذة السماع للقرآن الكريم، وانجذابها إلى الروح القرآني .

وفي البخاري عن البراء رضي الله عنه قال : كان رجل[1] يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشَطَنين - أي حبلين - فتغشَّتْه سحابة فجعلت تدنو وتدنو - أي تقرب من مكان القارىء - وجعل فرسه ينفر ، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له ، فقال ﷺ:

---

(١) قيل هو أسيد بن حضير ، وقد تعددت قصته في تنزل الملائكة لقراءته حين قرأ سورة البقرة وحين قرأ سورة الكهف ، وقيل : هذا صحابي آخر غير أسيد .

« تلك السكينة للقرآن » وفي رواية الترمذي : « نزلت مع القرآن أو على القرآن » .

وروى أبو داود من طريق مرسلة : قيل للنبي ﷺ : ألم ترَ لثابت بن قيس بن شماس ؟ لم تزل داره البارحةَ تزهر بمصابيح ! فقال ﷺ : « فلعلَّه قرأ سورة البقرة ؟ » فسئل ثابت فقال : قرأت سورة البقرة [1] .

الملائكة تحفُّ طالب العلم بأجنحتها : عن صفوان بن عسَّالٍ المرادي رضي الله عنه قال : أتيتُ النبي ﷺ وهو في المسجد متكِّىء على بُرْدٍ له أحمر ، فقلت له : يارسول الله ، إني جئتُ أطلب العلم ، فقال : « مرحباً بطالب العلم ، إن طالب العلم تحفُّه الملائكة بأجنحتها ، ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب » [2] .

وفي الحديث بيان فضل طلب العلم من وجوه متعددة ، منها : حفاوة سيدنا رسول الله ﷺ بطالب العلم وترحيبه به . ومنها: تنشيط

---

(١) انظر فتح الباري في فضل سورة الكهف .

(٢) قال الحافظ المنذري : رواه أحمد والطبراني باسناد جيد واللفظ له ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وصحح إسناده وابن ماجه نحوه باختصار . اه

همته وبشارته له بأن الملائكة تحفُّه حباً فيه وإكراماً له ، متزاحمين على ذلك ، فماذا تتصوَّر من فضل طالب العلم الذي أكرمه رسول الله ﷺ ورحَّب به ، وأكرمته ملائكة الله تعالى وحَفَتْ به حِفاظاً عليه وصيانةً له ؟!

الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع : عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً ، إنما ورّثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر »[1].

ففي هذا الحديث : بيان فضل العالم ، وأن الملائكة تضع أجنحتها له توقيراً وتواضعاً وتبجيلاً . وهذا الوضع يحتمل بل يشتمل عدة وجوه ذكرها المحققون :

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي كما في الترغيب .

الأول ـ أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم تواضعاً له ، وتوقيراً لما يحمله من ميراث النبوة ، ويكون هذا من باب : ﴿ واخفض جناحك للمؤمنين ﴾ .

الثاني ـ أن الملائكة تضع أجنحتها ـ أي تبسطها وتمدها لطالب العلم ، تكريماً وتعظيماً وتحبُّباً وتقرّباً .

قال الطبراني : سمعت أبا يحيى زكريا بن يحيى الساجي قال : كنا نمشي في بعض أزقَّة البصرة إلى باب بعض المحدّثين ، فأسرعنا المشي وكان معنا رجل ماجن متَّهم في دينه ،فقال : ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها ـ قالها كالمستهزىء ـ فما زال من موضعه حتى جفَّت رجلاه وسقط .

وقد نقل بالسند عن أحمد بن شعيب قال: كنا عندبعض المحدِّثين بالبصرة فحدَّثنا بحديث النبي ﷺ : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم » . وفي المجلس معنا رجل من المبتدعة فجعل يستهزىء بالحديث فقال : والله لأطرِّقنَّ غداً نعلي بمسامير فأطأ بها أجنحة الملائكة ، ففعل ومشى في النعلين ، فجفَّتْ رجلاه جميعاً ، ووقعت فيهما الأكِلة .

الثالث ـ أن الملائكة تُظِل طالب العلم بأجنحتها تكريماً له .

الرابع ـ أن وضع الجناح معناه الكفّ عن الطيران ونزولهم عند مجالس العلم ، حباً في العلم وقرباً من العلماء .

الخامس ـ أن الملائكة تضع أجنحتها ـ أي تبسطها ـ داعيةً لطالب العلم كما تبسط الناس أيديها للدعاء ، وقد نقل ذلك عن الإمام مالك رضي الله عنه في كلامه على هذا الحديث . وهناك وجوه أخرى.

وأما قوله ﷺ :« وإن العالم ليستغفر له مَن في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء » : فانه لما كان العالم سبباً في نشر العلم الذي به نجاة النفوس من المهلكات ، وكانت نجاة العباد والبلاد على يديه، جُوزي من جنس عمله ، فجعل من في السماوات والأرض ساعياً في الدعاء له ، والاستغفار له ، بل إن جميع الحيوانات والطيور وغيرها كلها تستغفر للعالم ، كما جاء في رواية « حتى النملة في جحرها ». وذلك لأن العالم يعلـِّم العباد رعاية حقوق هذه الحيوانات ، ويعرفهم ما يحل الانتفاع بها ومنها ، وما يحرم ، ويعرّفهم كيفية استخدامها ووجوه الانتفاع بها على الوجه المشروع ، وكيفية ذبح ما حلّ منها على أحسن الوجوه وأرفقها بالحيوان ، فاستحق العالم أن تستغفر له البهائم والحيتان [1] .

---

(١) فأكرِمْ بأولى العلم الذين استشهد الله تعالى بشهادتهم على وحدانيته ،فقال=

= تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكة وأولوا العلم .. ﴾ الآية ، واستشهد بشهادتهم لتصديق رسول الله ﷺ ، فقال تعالى : ﴿ قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب ﴾ . ورفع درجتهم على من سواهم من أهل الايمان ، فقال تعالى : ﴿ يرفعِ الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ ، ورفع مستواهم على غيرهم ، فقال تعالى : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟! ﴾

وأكرم بأولي العلم الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بأنهم ورثة الأنبياء ، فقال : « إن العلماء ورثة الأنبياء » وشهد لهم بالعدالة فقال : « يحمل هذا العلم من كل خَلَفٍ عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين ، وتأويل الجاهلين ، وانتحال المبطلين » . وأخبر أنهم الذين أراد الله تعالى بهم خيراً فقال : « من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين » . وأنهم منار العلم فاذا ذُهِب بهم ذَهب نور العلم معهم ، فقال ﷺ : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء .. » الحديث ، وأنهم النجوم التي يهتدى بها في الظلمات . فقد روى أحمد عن أنس أن النبي ﷺ قال : « إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، فاذا انطمست النجوم أوشك أن تضلّ الهداة » .

وما أعظم فضل العلم وشرفه عند الله تعالى ! فان من قصد العلم وسعى إليه يفتح الله له باباً إلى الجنة ، وتضع له الملائكة أجنحتها ، وتفرش له أكنافها وتحفّ به وتصلّي عليه وتستغفر له . كما ورد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من غدا يريد العلم يتعلمه: فتح الله له باباً إلى الجنة ، وفرشتْ له الملائكة أكنافها ، وصلّتْ عليه ملائكة السماوات ، وحيتان البحر ، وللعالم من الفضل على العابد كالقمر ليلة البدر على أصغر كوكب في السماء ، والعلماء ورثة الأنبياء ، إن =

= الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً ، ولكنهم ورّثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظه ، وموت العالم مصيبة لاتجبر ، وثُلْمة - أي فجوة - لاتسدّ ، وهو نجم طمس ، وموت قبيلة أيسر من موت عالم » . قال في الترغيب : رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه، وليس عندهم : « وموت عالم .. » إلى آخره ، ورواه البيهقي واللفظ له . اه .

وأكرِمْ بأولي العلم الذين اختارهم سبحانه لحمل جوهر العلم بدينه وشرعه ! ومن ثَمَّ كانت لهم الكرامة من ربهم في خاصة نفوسهم وفي أتباعهم فيشفعهم بهم ، كما روى الطبراني بالسند الجيد والرواة الثقات أن النبي ﷺ قال : « يقول الله عز وجل يوم القيامة : يامعشر العلماء إني لم أضع علمي فيكم لأعذبكم ، اذهبوا فقد غفرتُ لكم » .

وهذا الحديث أورده في الترغيب بروايتين ، وذكره ابن كثير في مواضع من تفسيره مع تجويد سنده .

وروى البيهقي وغيره عن جابر أن النبي ﷺ قال : « يبعث العالم والعابد ، فيقال للعابد : ادخل الجنة ، ويقال للعالم : اثبت حتى تشفع للناس بما أحسنتَ أدبهم » .

ومن هنا يعلم أن تعظيم أهل العلم وتكريمهم هو من الايمان لا من الامتنان ، وأن انتقاصهم والازراء بهم نفاق وطغيان ، قال ﷺ : «ليس من أمتي مَن لم يجلّ كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه » ، كما في المسند وغيره بالسند الحسن . وقد حكم ﷺ بنفاق من استخفّ بالعالم فقال :« ثلاث لايستخفّ بهم إلاّ منافق : ذو الشيبة في الاسلام ، وذو العلم ، وإمام مقسط » رواه الطبراني كما في الترغيب .

وينبغي أن يعلم أن الثناء الوارد في الكتاب والسنة النبوية إنما هو =

الملائكة تصلّي على من يصلي على النبي ﷺ : عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « أكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة ، فانه أتاني جبريل آنفاً عن ربه عزّ وجلّ فقال : ما على الأرض من مسلم يصلّي عليك مرةً واحدة إلا صليتُ أنا وملائكتي عليه عشراً » (١) .

وعن عامر بن ربيعة عن أبيه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله

= في العلماء العاملين بعلمهم ، الذين نفعهم الله تعالى بعلمهم ونفع بهم ، وذلك هو العلم النافع المقصود في الشرع عند الاطلاق ، وهو الذي دعا به رسول الله ﷺ فقال : « اللهم انفعني بما علمتني ، وعلمني ما ينفعني ، وزدني علماً .. » الحديث كما في سنن الترمذي .

وأما العلم الذي لاينفع فقد استعاذ منه النبي ﷺ فقال : « اللهم إني أعوذ بك من علم لاينفع ، ومن قلب لايخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يُستجاب لها » . ورُوي عنه ﷺ أنه قال : « أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه » رواه الطبراني والبيهقي كما في الترغيب. وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول : إنما أخشى من ربي يوم القيامة أن يدعوني على رؤوس الخلائق فيقول لي : يا عويمر! فأقول لبَّيك ربِّ . فيقول : ما عملتَ فيما علمتَ ؟. اللهم انفعنا بالعلماء العاملين ، وألحقنا بهم يارب العالمين .

(١) قال الحافظ المنذري : رواه الطبراني عن عن ابي ظلال، عنه ، وأبو ظلال وثِّق ، ولا يضرُّ في المتابعات اه .

ﷺ يخطب ويقول : « من صلّى عليَّ صلاةً لم تزل الملائكة تصلي عليه ماصلى عليَّ ، فليُقِلَّ عبد من ذلك أو ليُكثر »[١] .

الملائكة تصلي على الصف الأول في الصلاة ،وعلى من يصل الصفوف:

عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول »[٢] . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله وملائكته يصلّون على الذين يَصِلون الصفوف ، ومن سَدَّ فرجةً رفعه الله بها درجةً »[٣] .

الملائكة تصلي على من جلس في مصلاَّه بعد الصلاة : عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن العبد إذا جلس في مصلاَّه بعد الصلاة صلَّتْ عليه الملائكة ، وصلاتهم عليه : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ، وإن جلس ينتظر الصلاة صلَّت عليه ، وصلاتهم عليه : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه » . رواه أحمد ، كما في الترغيب .

---

(١) رواه أحمد وأبو بكر بن أبي شيبة وابن ماجه ، كما في الترغيب .
(٢) رواه أحمد وأبو داود .
(٣) رواه أحمد وابن ماجه .

الملائكة يصلّون على من مشى في حاجة أخيه : رُوي عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « من مشى في حاجة أخيه حتى يثبتها له أظلَّه الله عز وجلَّ بخمسة وسبعين ألف ملك يصلّون عليه ، ويدعون له ، إن كان صباحاً حتى يمسي . وإن كان مساء حتى يصبح ، ولا يرفع قدماً إلا حطَّ الله عنه بها خطيئة ورفع له بها درجة »[١] .

صلاة الملائكة على المتسحّرين : عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله وملائكته يصلّون على المتسحّرين »[٢] أي الذين يتسحَّرون للصوم .

الملائكة عليهم السلام يصلّون على معلِّم الناس الخير : عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال : ذُكر لرسول الله ﷺ رجلان : أحدهما عابد ، والآخر عالم ، فقال رسول الله ﷺ : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ، ثم قال رسول الله ﷺ : إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جُحرها ، وحتى الحوت ، ليصلون

---

(١) قال المنذري : رواه أبو الشيخ وابن حبان وغيره .
(٢) رواه ابن حبان وغيره .

على معلم الناس الخير »[1] .

الملائكة تصلي على من يعود المريض : عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من مسلم يعود مسلماً غُـدْوةً إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي ، وإن عاده عشيَّة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح ، وكان له خريف في الجنة » . رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب، وقد روي عن علي رضي الله عنه موقوفاً اهـ . قال المنذري : ورواه ابن حبان في صحيحه مرفوعاً ولفظه : « ما من مسلم يعود مسلماً إلا يبعث الله إليـه سبعين ألف ملك يصلون عليه ، في أيِّ ساعات النهار حتى يمسي ، وفي أيّ ساعات الليل حتى يصبح » رواه الحاكم وصححه على شرطهما اهـ .

الملائكة تصلي على من ختم القرآن الكريم : عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا ختم العبد القرآن صلى عليه عند ختمه ستون ألف ملك »[2] .

---

(١) قال الحافظ المنذري : رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ورواه البزار من حديث عائشة رضي الله عنها مختصراً اهـ .

(٢) عزاه في الجامع الصغير إلى الديلمي في الفردوس ورمز إلى ضعفه . ولكنه يتقوّى بالشاهد الوارد عن سعد فانه رواه الدارمي باسناد حسن ، ورواه أيضاً صاحب الحلية عن سعد .

وعن سعد رضي الله عنه أنه قال : إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح ، وإن وافق ختمه أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي .

الملائكة تصلي على مطعم الطعام : رُوي عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : « الملائكة تصلي على أحدكم ما دامتْ مائدته موضوعة » (١) .

الدعاء لمطعم الطعام بصلاة الملائكة عليه : روى أبو داود وغيره عن أنس أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بن عبادة ، فجاء بخبز وزيت ، فأكل ثم قال النبي ﷺ : « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلَّتْ عليكم الملائكة » .

الملائكة تدنو ممَّن رقَّتْ قلوبهم بالوعظ والتذكير : روى مسلم عن حنظلة الأسَيدي قال : لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال : كيف أنت ياحنظلة ؟ قال حنظلة : قلتُ نافق حنظلة . فقال ـ أبو بكر ـ : سبحان الله ماتقول ؟ قال ـ حنظلة ـ : نكون عند رسول الله ﷺ يذكِّرنا بالنار والجنة ، حتى كأنا رأيُ عين ، فاذا خرجنا من عند

(١) قال المنذرى : رواه الاصبهاني . والمائدة هي مايوضع عليها الطعام .

رسول الله ﷺ عافسنا ـ أي خالطنا ـ الأزواج والأولاد والضَّيعات [١] فنسينا كثيراً . قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل هذا . فانطلقتُ أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ ، قلتُ : نافق حنظلة يارسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : « وما ذاك ؟ » قلت : يارسول الله نكون عندك تذكِّرنا بالنار والجنة كأنا رأيُ عين ، فاذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا كثيراً ! فقال ﷺ : « والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم ، وفي طرقكم ، ولكن ياحنظلة ساعةً وساعةً ـ ثلاث مرات ـ » .

وقد ورد ذلك عن كثير من الصحابة ، ففي الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلنا : يارسول الله مالنا إذا كنا عندك رقَّتْ قلوبنا وزهدنا في الدنيا وكنا من أهل الآخرة ، فاذا خرجنا من عندك فآنسنا أهالينا وشممنا أولادنا أنكرنا أنفسنا ؟! فقال رسول الله ﷺ :« لو أنكم تكونون إذا خرجتم من عندي كنتم على حالكم ذلك [٢] لزارتكم الملائكة في بيوتكم .. » الحديث ، ولفظ

---

(١) من المزارع والصناعات والحرف .

(٢) أي على رقة قلوبكم عند التذكير والوعظ ، كما في رواية أخرى لمسلم :=

المسند : « لصافحتكم الملائكة بأكفهم ، ولزارتكم في بيوتكم » وفي رواية له :« ولأظلتكم بأجنحتها » ورواه أبو يعلى والبزار برجال ثقات في حديث أنس بلفظ : « لو أنكم إذا خرجتم من عندي تكونون على الحال التي تكونون عليها لصافحتكم الملائكة بطرق المدينة »[1].

وفي هذا دليل قاطع على قوة التأثير بالوعظ والتذكير في ترقيق القلوب وتطييب النفوس ، وتحويلها من حال الغفلات إلى حال المشاهدات ، ومن حال الدنيا والانهماك فيها إلى حال الآخرة والرغبة فيها، فالوعظ والتذكير بالكلام الإلهي والحديث النبوي له روح فعّالة تسري في القلوب ، ومن ثَم كانت مواعظ النبي ﷺ تؤثر في نفوس الصحابة وترقق قلوبهم فيرتقي بهم الحال إلى ذروة الكمال ، كما قال أسيد بن حضير : لو أني أكون على أحوالٍ ثلاثة من أحوالي لكنت من أهل الجنة : حين أقرأ القرآن وحين أسمعه يُقرأ ، وإذا سمعتُ خطبة رسول الله ﷺ ، وإذا شهدتُ جنازةً . وقال العرباض بن سارية:

= فقال ﷺ : لو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر ـ أي التذكير بالنار والجنة ، كما دلّ عليه صدر الحديث ، وفي هذا إشارة إلى أن الدوام على تلك الحال عزيز ، وأن مفارقته لاتوجب معتبة ، لما طبع عليه البشر .

(١) انظر موارد الظمآن ، وشرح المواهب للزرقاني ، ومجمع الزوائد (١٠/٣١٠) وقال رجاله رجال الصحيح .

وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجِلت منها القلوب وذرفت منها العيون . ولذلك قال ابن مسعود : ما كنت أظنّ أحداً من الصحابة يريد الدنيا ـ أي من رقة قلوبهم ، ودقة صفائهم ، وطيب نفوسهم ـ حتى نزل : ﴿ منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة ﴾ .

ولما شعر الصحابة رضي الله عنهم بافتراق الحالين معهم : حالهم عند رسول الله ﷺ ، وفي مجالس وعظه وتذكيره ، وحالهم مع أهليهم وأولادهم وحرفهم ـ خافوا النفاق على أنفسهم ، لأن تغير حال الخلوة عن الجلوة من أمارات المنافقين ، فأمَّنهم رسول الله ﷺ مما خافوه ، وبيَّن لهم أن ذلك ليس مسبَّباً عن النفاق ، كما جاء موضحاً في رواية البزار عن أنس قال : قالوا يارسول الله إنا نكون عندك على حال ، فاذا فارقناك كنا على غيره ، فقال ﷺ : « كيف أنتم وربكم ؟ » قالوا: الله ربُّنا في السرِّ والعلانية ، فقال ﷺ : « ليس ذلكم النفاق »[1] .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير لسورة الملك . وقوله ﷺ : « كيف أنتم وربكم ؟» أي كيف أنتم مع الله تعالى حين تفارقون مجلسي ؟ فهل تحفظونه بالغيب أم تنسونه ؟ قال تعالى : ﴿ هذا ماتوعدون لكل أواب حفيظ ، من خشي الرحمن بالغيب ﴾ الآية . وقال ﷺ : « احفظ الله يحفظك » وهل أنتم تراقبونه في أموركم أم تغفلون عنه ؟ فقالوا : الله ربنا في السر والعلانية .

دنوُّ الملائكة من أماكن القرآن وحضورهم فيها : تقدم حديث أُسيد بن حضير : بينما هو يقرأ سورة البقرة ذات ليلة فالتفت فاذا أمثال المصابيح مدلاَّة بين السماء والأرض ثم ذكر ذلك للنبي ﷺ فقال له ﷺ : « تلك الملائكة نزلت لقراءة القرآن ـ وفي رواية : تلك الملائكة تستمع لك ، وفي رواية : تلك الملائكة تنزلت لقراءة سورة البقرة » .

وعن أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « البيت إذا قرىء فيه القرآن حضرته الملائكة، وتنكبت عنه الشياطين ـ أي تباعدت عنه ـ واتَّسع على أهله ، وكثر خيره وقلَّ شرُّه ، وإن البيت إذا لم يقرأ فيه القرآن حضرته الشياطين ، وتنكبت ـ أي تباعدت ـ عنه الملائكة، وضاق على أهله ، وقلَّ خيره ، وكثر شرُّه »[1] .

دنوّ الملائكة من أهل ذكر الله تعالى ، والمذكرين بالله تعالى ، ومشاركتهم للذاكرين في ذكرهم : روى مسلم وغيره عن أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفَّتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم

(١) رواه محمد بن نصر المروزي باسناده ثم قال : وفي الباب عن أبي هريرة موقوفاً ، وعن ابن سيرين اهـ . وقد روى الدارمي أثر أبي هريرة أيضاً .

السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » .

ورُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مرّ النبي ﷺ بعبد الله بن رواحة وهو يذكّر أصحابه فقال رسول الله ﷺ : « أما إنكم الملأ الذين أمرني الله أن أصبر نفسي معكم ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيِّ ﴾ الآية . أما إنه ماجلس عدتُكم إلا جلس معهم عدتهم من الملائكة ، إن سبَّحوا الله تعالى سبَّحوه ، وإن حمدوا الله حمدوه ، وإن كبَّروا الله كبَّروه، ثم يصعدون إلى الربّ جل ثناؤه ـ وهو أعلم بهم ـ فيقولون : ياربنا عبادُك سبَّحوك فسبَّحنا ، وحمدوك فحمدنا ، وكبَّروك فكبَّرنا ، فيقول ربنا جلَّ جلاله : ياملائكتي أُشهدكم أني قد غفرتُ لهم ، فيقولون : فيهم فلان الخطّاء ، فيقول : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » (١) .

---

(١) أورده الحافظ المنذري في الترغيب وقال : رواه الطبراني في الصغير اهـ . وتقدمت الأحاديث الدالة على أن لله ملائكة سيارة يلتمسون أهل الذكر ، وهذه الروايات بجملتها تدل على دنوّ الملائكة وحفيفهم بالذاكرين الله تعالى واشتراكهم معهم بذكرهم وحفيفهم بالمذكرين واستماعهم لتذكيرهم ووعظهم .

ومن ثمَّ قال الشيخ الأكبر في الجزء الثاني من الفتوحات : ينبغي للمذكِّر أن يراقب الله ويستحي منه ، ويكون عالماً بما يورده ، ومايبغي =

تأمين الملك على دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب : عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « مَن دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكَّل به : آمين ، ولك بمثله » أي بمثل ما دعوتَ لأخيك. رواه مسلم وغيره .

= لجلال الله تعالى ، ويجتنب الطامّات في وعظه ، فان الملائكة يتأذّون إذا سمعوا في الحق وفي المصطَفَيْن من عباده مالا يليق ، وهم عالمون بالقصص ، وقد اخبر ﷺ أن العبد إذا كذب الكذبة تباعد عنه الملك ثلاثين ميلاً من نَتْن ماجاء به فتمقته الملائكة .

فاذا علم المذكِّر أن مثل هؤلاء الملائكة يحضرون مجلسه فينبغي له أن يتحرّى الصدق ، ولا يتعرض لما ذكره المؤرخون عن اليهود من زلاّت مَنْ أثنى الله عليهم واجتباهم ، ويجعل ذلك تفسيراً لكتاب الله تعالى ويقول قال المفسرون ، وما ينبغي أن يقدم على تفسير كلام الله بمثل هذه الطوامّ، كقصة يوسف وداود وأمثالهم عليهم السلام بتأويلات فاسدة وأسانيد واهيةٍ عن قوم ـ أي اليهود ـ قالوا في الله ما قد ذكره الله عنهم .

فاذا أورد المذكِّر مثل هذا في مجلسه مقتته الملائكة ونفروا عنه ومقته الله تعالى ، ووجد الذي في دينه رقةٌ رخصةً يلجأ إليها في معصيته ، ويقول إذا كانت الأنبياء وقعت في مثل هذا فمن أكون أنا ؟ وحاشا والله ـ الانبياءَ مما نَسبت إليهم اليهود لعنهم الله ، فينبغي للمذكّر أن يحترم جلساءه ـ الملائكة ـ ولا يتعدى ذكر تعظيم الله بما ينبغي لجلاله ، ويرغّب في الجنة ويحذّر من النار ، وأهوال الموقف والوقوف بين يدي الله تعالى .

ثم قال : وقد ذكرنا في شرح كلام الله فيما ورد من ذكر الأنبياء عليهم السلام من التنزيه في حقهم ـ ماهو شرح على الحقيقة لكلام الله تعالى. اه

اقتداء الملائكة بمن أذَّن وأقام الصلاة في الفلاة : عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إذا كان الرجل بأرض قيٍّ - هي الأرض القفر - فحانت الصلاة فيتوضأ ، فإن لم يجد ماءً فليتيمَّم ، فان أقام صلى معه ملكاه ، وإن أذَّن واقام صلَّى خلفه من جنود الله مالا يُرى طرفاه »[(١)]

وَلاء الملائكة وبشائرهم للذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا : قال الله تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزَّل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم ولكم فيها ماتدّعون نُزُلاً من غفور رحيم ﴾ .

روى النسائي وأبو يعلى عن أنس رضي الله عنه قال : قرأ علينا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ فقال : « قد قالها ناس ثم كفر أكثرهم ، فمن قالها حتى يموت فقد استقام عليها »[(٢)] .

---

(١) قال المنذري : رواه عبد الرزاق في كتابه عن ابن التميمي عن أبيه ، عن أبي عثمان النهدي ، عنه .

(٢) والمعنى أن من قالها ووفَّاها حقوقها وواجباتها ومات على ذلك فهو من =

فهو سبحانه يخبر عن أهل الإيمان والاستقامة أنهم تتنزل عليهم الملائكة حين ينتقلون إلى عالم البرزخ بعد الموت ، فيقولون لهم : لا تخافوا مما سيأتي عليكم في العوالم ، ولا تحزنوا على ما مضى منكم في الدنيا ، فأنتم في أمان الله تعالى ، فبعدما يؤمّنونهم يبشرونهم بالجنة التي كانوا يوعدون بها في الدنيا على لسان الرسول ﷺ ، ويقولون لهم للتطمين والتودد والإيناس : نحن أولياؤكم أي أحبابُكم وأنصاركم ونصحاؤكم في الحياة الدنيا ، فنحن الذين كنا ننصركم على عدوكم الشيطاني فندلكم على الخير ، ونُلمّ بكم فنلهمكم الخير حين كان الشيطان يزين

= أهل الاستقامة ، كما ورد عن الصديق رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية، ثم قال : هم الذين لم يشركوا بالله شيئاً . وتلاها عمر الفاروق رضي الله عنه على المنبر ثم قال : استقاموا والله لله بطاعته ، ولم يروغوا روغان الثعالب . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : استقاموا على أداء فرائضه .

نعم ، ليس اختلافُ هذه الأقوال اختلافَ تضادّ وإنما هو اختلاف تنوع ، فان الاستقامة تشمل تلك الأقوال كلها كما ورد عنه ﷺ : « استقيموا ولن تُحصوا » أي لن تحصوا مراتب الاستقامة وفضائلها ، إذ الاستقامة هي إقامة النفس بقلبها وقالبها ، وظاهرها وباطنها ، وحواسها وجوارحها ، على الصراط المستقيم الذي دعا إليه النبي ﷺ . قال تعالى : ﴿ قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم .. ثم قال : وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبُل .. ﴾ الآية .

لكم الشر ، ونحن الذين كنا ننصركم على عدوكم الإنساني الكافر حين كنتم تقاتلونه . قال تعالى : ﴿ إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبِّتوا الذين آمنوا .. ﴾ الآية ، ونحن أحبابكم الذين كنا نحضر معكم في مجالس عباداتكم وصلواتكم وأذكاركم .

وأما ولاؤهم في الآخرة المشار إليه بقوله تعالى ﴿ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ فهو إيناسهم وملاطفتهم إياهم وحفاوتهم بهم لئلا تعتريهم وحشة لا في قبرهم ولا في حشرهم ولا نشرهم ، ومصاحبتهم لهم في سيرهم على الصراط ، فهم معهم دائماً محبون ومبشِّرون مخلصون صادقون ، وما أشد حاجة الانسان إلى الصديق وقت الضيق !

ومن ولائهم في الآخرة أنهم يشهدون للمؤمنين عند ربهم بطاعاتهم وعباداتهم وأذكارهم ، باعتبار أنهم كانوا يشاهدونها منهم في الدنيا ويشهدونها معهم ، فهم يشهدون لهم قال الله تعالى : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ ومن الأشهاد ملائكة الله تعالى ، كما ورد عن السلف رضي الله عنهم .

ومن ولائهم في الآخرة شفاعاتهم للمؤمنين ، قال تعالى : ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى .. ﴾ الآية .

بشارة الملائكة لمن زار أخاه حباً في الله تعالى : روى مسلم عن

أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : إن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى ، فأرسل الله على مدرجته - أي طريقه - ملكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية ، فقال : هل لك عليه من نعمةٍ تربُّها - أي تقوم بها وتسعى في صلاحها - فقال : لا ، غير أني أُحبه في الله . قال - الملك - : فإني رسول الله إليك ، إن الله قد أحبَّك كما أحببته فيه » .

صعود الملائكة بالكلم الطيب والعمل الصالح إلى ربّ العزة :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إذا حدَّثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله تعالى : إن العبد إذا قال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله : قبض عليهنَّ ملك ، فضمَّهنَّ تحت جناحه ، وصعد بهنَّ ، لا يمرُّ بهنَّ على جمعٍ من الملائكة إلا استغفروا لقائلهنَّ ، حتى يُحيَّى بهن وجه الرحمن . ثم تلا قوله تعالى : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ [1] .

---

(١) رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد . وقال المنذري : كذا في نسختي يُحيَّى بالحاء المهملة ، وتشديد المثناة تحت . ورواه الطبراني فقال : حتى يجيء بالجيم . ولعله الصواب اه . وانظر في مقدمتنا على كتاب الصلاة فان رفع الأقوال والأعمال مفصل هناك .

ما تتأذى منه الملائكة : عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من أكل البصل والثوم والكراث ، فلا يقربنّ مسجدنا، فان الملائكة تتأذّى مما يتأذّى منه بنو آدم » رواه مسلم. وفي رواية: نهى رسول الله ﷺ عن أكل البصل والكرّاث ، فغلبتنا الحاجة فأكلنا منها . فقال ﷺ : « من أكل من هذه الشجرة الخبيثة . فلا يقربنّ مسجدنا ، فان الملائكة تتأذّى مما يتأذّى منه الناس » .

ما تنفر منه ملائكة الرحمة وتبعد عنه : جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها اشترت نُمرُقةً [١] فيها تصاوير ، فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخل ، قالت عائشة : فعرفتُ في وجهه الكراهية ، فقلتُ : يارسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله ! ماذا أذنبتُ ؟ فقال رسول الله ﷺ : «ما بال هذه النمرقة»؟ فقلتُ : اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسّدها ، فقال رسول الله ﷺ : « إن أصحاب هذه الصُّور يعذَّبون يوم القيامة ، فيقال لهم : أحيوا ما خلقتم . وقال : إن البيت الذي فيه الصُّور لاتدخله الملائكة » [٢] .

---

(١) قال المنذري : النمرقة هي بضم النون والراء أيضا ، وقد تفتح الراء وبكسرهما هي المخدّة . اه .

(٢) قال في فيض القدير : أي إن ملائكة الرحمة والبركة ، أو الطائفين على =

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « إن الملائكة لاتدخل بيتاً فيه تماثيل أو صورة ». وروى ابن ماجه عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « إن الملائكة لاتدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة ».

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت سمعت النبي ﷺ يقول: « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه جَرس، ولا تصحب الملائكة رفقةً فيها جَرَس ». وعن علي كرَّم الله تعالى وجهه أن رسول الله ﷺ قال: « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة، ولا جنب، ولا كلب ». رواهما أبو داود والنسائي وغيرهما.

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « ثلاثة لا تقربهم الملائكة: جيفة الكافر، والمتضمّخ بالخَلوق[1]، والجنب إلا أن يتوضأ ». قال الحافظ المنذري: رواه أبو داود عن الحسن بن أبي الحسن عن عمار ولم يسمع منه، ورواه هو وغيره عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمَر عن عمار قال: قدمت على أهلي ليلاً

= العباد للزيارة واستماع الذكر ونحوهم ـ أي من بقية الملائكة الذين يحضرون مجالس العبادات والصلوات كما تقدم ـ لا الكتبة، فانهم لايفارقون المكلف، وكذا ملائكة الموت. اهـ.

(١) اي المدّهن المتلطخ.

وقد تشقّقتْ يداي ، فخلّقوني بزعفران ، فغدوتُ على رسول الله ﷺ فسلّمتُ عليه فلم يردَّ عليَّ السلام ولم يرحِّب بي ، وقال : « اذهب فاغسل عنك هذا » فغسلته ، ثم جئت فسلّمتُ عليه فردَّ عليَّ ورحَّب بي ، وقال : « إن الملائكة لاتحضر جنازة الكافر بخير ، ولا المتضمِّخ بزعفران ، ولا الجنبَ » قال : ورخص للجنب إذا نام أو أكل أو شرب أن يتوضأ .[1]

وروى البزار باسناد صحيح عن ابن عباس قال : ثلاثة لاتقربهم الملائكة : الجنب والسكران والمتضمخ بالخلوق ـ أي الذي له لون ـ .

وعن بريدة مرفوعاً : « ثلاثة لا تقربهم الملائكة : السكران ، والمتضمِّخ بالزعفران ، والحائض والجنب »[2] .

وعن ابن أبي أوفى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « إن الملائكة

---

(١) ثم قال الحافظ المنذري : المراد بالملائكة هنا هم الذين ينزلون بالرحمة والبركة دون الحفظة ، فانهم لايفارقونه ـ أي الانسان ـ على كل حال من الأحوال . ثم قيل هذا في حق كل من أخّر الغسل لغير عذرٍ ، ولعذرٍ ـ لكن ـ إذا أمكنه الوضوء فلم يتوضأ ، وقيل : هو الذي يؤخر الغسل تهاوناً وكسلاً ويتخذ ذلك عادة . والله أعلم اهـ .

(٢) كذا في الفتح الكبير والجامع الصغير مشيراً له بالصحة . قال الشارح المناوي رحمه الله تعالى : ومثل الجنب والحائض : النفساء ، ويظهر ان المراد بالحائض والنفساء من انقطع دمه منها وأمكنه الغسل ، لتفريطه باهماله .

لاتنزل على قوم فيهم قاطع رحم »[(١)] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال :« إذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلاً من نَتْن ما جاء به »[(٢)] .

فيمن تلعنه الملائكة : روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح » . وفي رواية لهما : « إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح ».

ومن ذلك : مارواه الطبراني عن ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:« إن المرأة إذا خرجت من بيتها وزوجها كارهٌ ، لعنها كل ملكٍ في السماء وكلّ شيءٍ مرَّتْ عليه ، غير الجنّ والإنس ، حتى ترجع ».

ومن ذلك ترويع المسلم : فقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من أشار إلى أخيه بحديدةٍ ، فان الملائكة تلعنه ـ وفي رواية : حتى ينتهي ـ وإن كان أخاه لأبيه

(١) رواه الطبراني كما في الترغيب وغيره .

(٢) قال المنذري : رواه الترمذي وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت ، وقال الترمذي : حديث حسن .

وأمه »[١] .

حماية الملك لمن حمى مؤمناً من منافق : عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من حمى مؤمناً من منافقٍ[٢] ـ أراه قال : بعث الله ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم ، ومن رمى مسلماً يريد به شَيْنه ـ أي نقصه وفضيحته ـ حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال » . رواه أبو داود وابن أبي الدنيا .

الحَكَمة بيد الملَك : عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « ما من آدميٍ إلا في رأسه حَكَمَة بيد ملَك ، فاذا تواضع الآدميُّ ـ قيل للملك : ارفع حَكَمَته ، وإذا تكبَّر قيل

(١) رواه الترمذي أيضاً ، والمراد بالحديدة مايشمل السلاح ونحوه من سكين وسيف ونحوهما ، ومعنى : « وإن كان أخاه » أي وإن كان المشير أخاً للمشار إليه ، ويصح عكسه ، لأن ترويع المسلم أو تخويفه حرام ، وإن كان هازلاً ولم يقصد ضربه بذلك ، كما دلَّ عليه قوله ﷺ : « وإن كان أخاه لأبيه وأمه » فان الأخ الشقيق لايقصد قتل شقيقه غالباً ، ولكن قد يهزل معه ، وإذا كان هذا يستحق اللعن بالاشارة فما الظن بالاصابة ؟!

(٢) يعني : أنه حمى مؤمناً من منافق يؤذيه بلسانه أو سنانه أو نحوهما ، من وجوه الإيذاء .

للملك : ضع حَكَمَتَه »[1] .

ملائكة التوفية

قال الله تعالى : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ، ويرسل عليكم حفظةً ، حتى إذا جاء أحدَكم الموتُ توفته رسلنا وهم لايفرِّطون ﴾ . وقال تعالى : ﴿ قل يتوفَّاكم ملك الموت الذي وكِّل بكم ، ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ .

فهو سبحانه وكَّل ملائكةً للتوفية باذنه سبحانه ، ورئيسهم هو ملك الموت عَزرائيل عليه السلام . وفيهم ملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب ، فالمؤمنون تتوفاهم ملائكة الرحمة ، والكفار تتوفاهم ملائكة العذاب .

قال تعالى : ﴿ ولو ترى إذ يتوفَّى الذين كفروا الملائكةُ يضربون وجوههم وأدبارهم ، وذوقوا عذابَ الحريق . ذلك بما قدمت أيديكم، وأن الله ليس بظلَّامٍ للعبيد ﴾ . وقال تعالى : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون

---

(١) قال المنذري : رواه الطبراني والبزار بنحوه من حديث أبي هريرة وإسنادهما حسن . ثم قال : والحكمة بفتح الحاء المهملة والكاف : هي ما تجعل في رأس الدابة كاللجام ونحوه اه أي فمن أراد أن يرفع تلك الحكمة فليتواضع .

في غمرات الموت ، والملائكة باسطوا أيديهم ، أخرجوا أنفسكم ، اليوم تُجزون عذاب الهُون بما كنتم تقولون على الله غير الحق،وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾ .

فتنزع ملائكة العذاب أرواح الكفار بعنف وشدة ، كما قال تعالى : ﴿ والنازعات غرقاً ﴾ . وأما المؤمنون فان ملائكة الرحمة تنشط أرواحهم نشطاً بيسر وسهولة ، كما قال تعالى : ﴿ والناشطات نشطاً ﴾ . وقال تعالى ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيّبين يقولون: سلام عليكم ، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ . فالملائكة تتلقاهم بالسلام والترحيب والبشارة بالجنة .

روى الإمام أحمد في المسند عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ، ولما يُلحد ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنَّ على رؤوسنا الطير ، وفي يده عود ينكت به الأرض ، فرفع رأسه ﷺ فقال : « استعيذوا بالله من عذاب القبر ـ مرتين أو ثلاثاً ـ ثم قال : إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ من الآخرة ، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه

مدَّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيَّتها النفس الطيِّبة! أُخرجي إلى مغفرةٍ من الله ورضوانٍ، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في - أي من فم - السِّقاء - أي بسهولة ويسر - فيأخذها - أي ملك الموت - فاذا أخذها لم يَدَعوها - أي لم يتركوها - في يده طرفة عينٍ حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيبِ نفحةِ مسكٍ وجدت على وجه الأرض.

« فيصعدون بها فلا يمرُّون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيِّبة ؟! فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح له، فيشيِّعه من كل سماءٍ مقرَّبوها، إلى السماء التي تليها، حتى يُنتهى بها إلى السماء السابعة، فيقول الله تعالى: اكتبوا كتاب عبدي في علِّيين وأعيدوه إلى الأرض، فاني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارةً أخرى.

« قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان: مَن ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: مادينك؟ فيقول: ديني الاسلام، فيقولان له: ماهذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هو

رسول الله ، فيقولون : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدَّقت . فينادي منادٍ من السماء أنْ صَدَقَ عبدي ، فافرشوه — أي فافرشوا له — من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة . قال : فيأتيه من رَوْحها وطيبها ويُفسح له في قبره مدَّ بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيّب الريح فيقول : أبشرْ بالذي يسرُّك ، هذا يومك الذي كنتَ توعد ، فيقول له : مَن أنت ؟ فوجهك الوجه الذي يأتي بالخير ! فيقول : أنا عملك الصالح ، فيقول — المؤمن — : ربِّ أقمِ الساعة ربِّ أقمِ الساعة ، حتى أرجع إلى أهلي ومالي — أي ما أعدَّ الله له في الجنة من المنازل والمراتب العالية التي شاهدها — .

« وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه الملائكة من السماء سُود الوجوه ، معهم المسوح فجلسوا منه مدَّ البصر ، ثم يجيء ملك الموت فيجلس عند رأسه ، فيقول : أيَّتها النفس الخبيثة ، أُخرجي إلى سخطٍ من الله وغضبٍ ، فتفرق في جسده ، فينتزعها كما يُنتزع السفود [1] الكثير الشُّعَب ، من الصوف المبلول ، فيأخذها ، فاذا أخذها — ملك الموت — لم يَدَعوها — أي لم يتركوها — في يده طرفة عينٍ ، حتى يجعلوها في تلك المسوح — أي الجلود

(١) السَّفُّود : الحديدة التي يُشوى بها اللحم .

أو اللباس الغليظ الخشن - فيخرج منها كـأنتن ريـح جيفة وُجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرّون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هي هذه الروح الخبيثة ؟! فيقولون : فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ، حتى يُنتهى به إلى السماء الدنيا، فيُستفتح له فلا يفتح له . ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ لا تُفتّح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة حتى يَلِج الجمل في سَمّ الخِياط ﴾ أي ثقب الإبرة .

« فيقول الله تعالى : اكتبوا كتابه في سجّين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحاً ، ثم قرأ ﴿ ومن يشرك بالله فكأنّما خرّ من السماء فتخطَفه الطير أو تهوي به الريح في مكانٍ سحيقٍ ﴾ فتعاد روحه في جسده ، ويأتيه ملكان فيُجلسانه ويقولان له : مَن ربّك ؟ فيقول : هاه هاه ! لا أدري ، فيقولان له : مادينك ؟ فيقول : هاه هاه ! لاأدري ، فيقولان له : ماهذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه ! لا أدري ، فينادي منادٍ من السماء أنْ كذب عبدي فافرشوه من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حرها وسَمومها ، ويضيّق عليه قبره حتى تختلف - تتفرّق - فيه أضلاعه ؛ ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح ، فيقول له : أبشر بالذي

يسوءك ، هذا يومك الذي كنت تُوعد ، فيقول له : من أنت ؟ فوجهك الوجه يجيء بالشرّ ! فيقول : أنا عملك الخبيث ، فيقول : ربِّ لا تُقم الساعة » أي خوفاً من العذاب الذي أُعدّ له في جهنم وقد رآه حين فتح له بابٌ إليها . قال تعالى : ﴿ النار يعرضون عليها غُدوّاً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب ﴾ .

وقد أورد الحافظ ابن كثير هذا الحديث في « تفسيره » معزواً للامام أحمد ، ثم قال : ورواه أبو داود من حديث الأعمش، والنسائي وابن ماجه من حديث المنهال بن عمرو ، به . اهـ . وللحديث شواهد متعددة من طرقٍ عديدة [١].

وقال تعالى ﴿ كلاَّ إذا بلغتِ التراقيَ [٢]. وقيل منْ راقٍ ﴾ قال ابن عباس في معنى هذه الآية : وقيل مَن يرقى بروح المحتضَر، ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب ؟ اهـ يعني أنه إذا احتضر الانسان تساءلت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب مَن الذى يقبض روحه ويرقى بها ؟ فكلٌّ منهم ينتظر حكم الله تعالى وأمره بذلك .

روى الشيخان ـ واللفظ لمسلم ـ عن أبي سعيد رضي الله عنه أن

(١) وقال الحافظ المنذري : هذا حديث حسن، رواته محتج بهم في الصحيح .
وكلمة « هاه هاه » قالها هنا للتوجّع والأسى .

(٢) التراقي : جمع ترقوة ، وهي قريبة من الحلقوم . والمعنى إذا بلغت الروح التراقي وحشرجت الصدر واحتدم الأمر .

نبيَّ الله ﷺ قال « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعةً وتسعين نفساً ، فسأل عن أعلم أهل الأرض ؟ فدُلَّ على راهبٍ[١] فأتاه فقال: إنه قتل تسعةً وتسعين نفساً ، فهل له من توبة ؟ فقال : لا . فقتله فكمَّل به مائة . ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ؟ فدُلَّ على رجلٍ عالمٍ ، فقال : إنه قتل مائة نفسٍ ، فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ! انطلق إلى أرض كذا وكذا فانّ بها أناساً يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فانها أرض سَوْء[٢]. فانطلق ، حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً

---

(١) أي عابد مترهب ليس عنده كثير علم ، بدليل قوله بعده « فدُلَّ على عالم ». وفي هذا إشعار بأن ذلك كان بعد رفع عيسى عليه السلام لأن الرهبانية حدثت بعده . قال في الفتح : وفيه فضل العالم على العابد ، لأن الذي أفتاه أولاً بأن لاتوبة له،غلبت عليه العبادة فاستعظم وقوع ماوقع من ذلك ، من استجرائه على قتل هذا العدد الكثير ، وأما الثاني فغلب عليه العلم ، فأفتاه بالصواب ، ودلَّه على طريق النجاة . اه

(٢) وفي هذا دليل أن من أراد التوبة والاصلاح فعليه أن يترك صحبة الأشرار ومجالستهم ، وأن يصحب الأخيار ويكون معهم ، لأن الصاحب ساحب ، والمجالسة تقتضي المجانسة . قال تعالى ﴿ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾.

قطُّ . فأتاهم ملك في صورة آدميٍّ ، فجعلوه بينهم - أي جعلوه حكماً بينهم وقد أرسله الله تعالى ليحكم بينهم بحكم الله تعالى - فقال : قيسوا ما بين الأرضين - أي التي خرج منها والتي قصدها - فإلى أيَّتهما كان أدنى - أي أقرب - فهو له ، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة . - وفي رواية لمسلم : فلما كان في بعض الطريق أدركه الموت فَنَاءَ بصدره - أي نهض ومال بصدره نحو القرية الصالحة - ثم مات ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فكان إلى القرية الصالحة أقربَ منها بشبرٍ ، فجُعل من أهلها » .

تأمين الملائكة على دعاء الحاضرين عند المريض والمحتضَر : روى مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : « إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً ، فان الملائكة يؤمِّنون على ما تقولون » . وروى مسلم وأصحاب السنن عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : دخل رسول الله ﷺ على أبي سلَمة - زوجها حين احتُضر - وقد شَقَّ بصره ، فأغمضه ، ثم قال ﷺ : « إن الروح إذا قُبض تبعه البصر » فضجَّ ناس من أهله ، فقال ﷺ : « لا تدْعوا على أنفسكم إلا بخير ، فان الملائكة يؤمِّنون على ماتقولون ، ثم قال :

اللهم اغفر لأبي سلمة ، وارفع درجته في المهديّين ، واخلُفه في عقبه من الغابرين (١) ، واغفر لنا وله يارب العالمين ، وافسحْ له في قبره ، ونوِّر له فيه » .

ملائكة السؤال في القبر

قال الله تعالى : ﴿ يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ويُضِلُّ الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء ﴾ .

يخبر سبحانه بأنه هو الذي يثبِّت الذين آمنوا بالقول الثابت الذي ثَبت عندهم وتمكّن في قلوبهم ، وهو الكلمة الطيبة التي ذكرت صفاتها الكريمة في الآية السابقة على هذه الآية : ﴿ ألم ترَ كيف ضرب الله مثلاً كلمةً طيبة ﴾ وهي لا إله إلا الله ﴿ كشجرة طيبة ﴾ وهي النخلة ﴿ أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾ الآية ، فهو سبحانه يثبت المؤمنين في الحياة الدنيا ، وذلك بالبقاء عليها مدة حياتهم لا تزحزحهم عنها المحن ولا الفتن ، وفي الآخرة أي بعد الموت ، وذلك في القبر الذي هو أول منزل من منازل الآخرة ، وكذلك في مواقف القيامة ، فلا يزلّون ولا يتلعثمون إذا سُئلوا في معتقداتهم هناك ،

---

(١) ـ أي : كن خليفة له في عقبه ـ أولاده وذويه من بعده ـ في رعايتهم وحفظهم على أكمل الوجوه . اه مرقاة .

ولا تدهشهم الشدائد والأهوال مهما تقلبت بهم الأحوال .

روى الشيخان وغيرهما عن البراء بن عازب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « المسلم إذا سُئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فذلك قوله تعالى ﴿ يثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾. وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يارسول الله تُبتلى هذه الأمة في قبورها فكيف بي وأنا امرأة ضعيفة ؟ فقال ﷺ « يثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة » [1]

ويتولـّى السؤال في القبر ملـكان من ملائـكة الله تعالى ، كما روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن العبد إذا وُضع في قبره وتولـّى عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا : أتاه ملـكان فيُقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ ـ لمحمدٍ [2] ﷺ ـ فأمـّا المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر إلى مقعدك في النار ، قد أبدلك به

---

(١) قال المنذري : رواه البزار ورواته ثقات .

(٢) هذا بيان من الراوي للرجل ، أي لأجل محمد ﷺ اه مرقاة .

مقعداً من الجنة [١] فيراهما جميعاً . وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول : لا أدري كنتُ أقول مايقول الناس [٢] فيقال له : لا دَرَيْتَ ولا تَليت [٣] ، ويُضرب بمطارق من حديد ضربةً ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غيرَ الثقلين » [٤] .

واسم الملكين منكر ونكير ، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قُبر الميّت أتاه ملكان أسودان أزرقان ، يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير ، فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : هو عبد الله ورسوله ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول هذا ، ثم يُفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ، ثم يُنوَّر له

---

(١) والمعنى انظر إلى مقعدك من النار لو لم تكن مؤمناً ولم تجب الملكين ، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة بإيمانك ، فيراهما جميعاً ، ليزداد فرحه حين يرى النعيم بعد ما رأى الجحيم ، « وبضدّها تتميز الأشياء » .

(٢) قال ابن حجر : إن أراد بالناس المسلمين فهو كذب ، حتى في المنافق ، لأنه ليس المراد مجرد قول باللسان ، بل اعتقاد القلب ، وإن أراد من هو بصفته ـ أي منافق أو كافر ـ فهو جواب غير نافع له . اهـ .

(٣) لا دريت أي لا علمتَ ماهو الحق والصواب ، ولا تليتَ أي ولا اتبعتَ الناجين اهـ مرقاة .

(٤) والمعنى أن تلك الصيحة يسمعها من يقرب منه من الدواب وسائر المخلوقات إلاّ الانس والجن .

فيه ، ثم يقال له : نَمْ . فيقول : أرجع إلى أهلي فأخبرهم ! فيقولان : نَمْ كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحبُّ أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك . وإن كان منافقاً قال : سمعت الناس يقولون قولاً فقلتُ مثله ، لا أدري ـ أي أنه نبيٌّ أم لا ـ فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول ذلك ، فيقال للأرض : التئمي ـ أي اجتمعي وانضمِّي ـ عليه ، فتلتئم عليه ، فتختلف أضلاعه ـ أي تتفرق وتزول عن مستواها الذي كانت عليه ـ فلا يزال معذباً ، حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك »[1] .

فعلى العاقل أن يتهيأ لذلك الخطاب ، وأن يستعد للجواب ، فان الموقف خطير ، وشأن السؤال كبير ، ولذلك أمر ﷺ بدعاء التثبيت للميت بعد الدفن ، كما روى أبو داود عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه ـ أي على القبر ـ فقال : « استغفروا لأخيكم ثم سلوا له بالتثبيت ، فانه الآن يسأل » أي قولوا : اللهم ثبته بالقول الثابت ونحو ذلك .

وفي الصحيحين عن أسماء رضي الله عنها أن النبي ﷺ حمد الله عز وجلّ وأثنى عليه ثم قال : « ما من شيء لم أكن أُريتُه إلا رأيته

---

(١) قال المنذري : رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب ، وابن حبان في صحيحه .

في مقامي هذا حتى الجنة والنار ، فأُوحي إليَّ أنكم تُفتنون في قبوركم مثلَ - أو قريبَ - من فتنة المسيح الدجال ، يقال : ما علمكَ بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن - أو الموقن - فيقول : هو محمد رسول الله جاءنا بالبيّنات والهدى ، فأجبنا واتّبعنا ، هو محمد - ثلاثاً - فيقال له : نَمْ صالحاً قد علمنا إن كنتَ لموقناً به ، وأما المنافق - أو المرتاب - فيقول : لاأدري ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته » [(١)] .

فعلى العاقل أن يستجيب لدعوة النبي ﷺ ، وأن يتحقّق بمتابعته ليحسن جوابه إذا سئل في القبر ، إذ لا يمكنه أن يقول : أجبنا واتّبعنا ، دون أن يكون قد أجاب واتبع النبي ﷺ ، وكما أن المكلّف يُسأل في القبر عن موقفه مع هذا الرسول الكريم ﷺ فانه يسأل أيضاً بعد الحشر بين يدي رب العالمين ، كما في الصحيحين عن عديّ بن حاتم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « وليلقينَّ اللهَ أحدُكم يوم يلقاه

---

(١) ومن المعلوم أن هذا السؤال انما هو في عالم برزخي غيبيّ ، كماهومفصّل في كتابنا « الايمان بعوالم الآخرة » وفيه بيان بعض الحكم في تغييب ذلك عن مشهد الناس ، ولكنه سبحانه قد يطلع على ذلك بعض عباده فيرون ويسمعون السؤال والجواب ، كما أوضحه العلماء والعرفاء في كتبهم ، وقد عقد الحافظ ابن رجب في كتاب « أهوال القبور » فصلاً خاصاً ذكر فيه عدةً ممن أطلعه الله تعالى على ذلك بالأسانيد الثابتة ، فارجع إليها إن شئت .

وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ، فليقولنَّ : ألم أبعث فيك رسولاً فيبلِّغَك ؟ فيقول : بلى . » الحديث . أي فماذا عملت فيما بلَّغك رسول الله ﷺ . اللهم وفقنا للسلوك على منهج رسول الله ﷺ القويم وصراطه المستقيم ، بتيسيرك وعونك يارب العالمين .

مواقف الملائكة ووظائفهم المنوطة بالأكوان المحيطة بالإنسان

تقدم الكلام على أصناف الملائكة عليهم السلام ، وأن منهم الموكلين بالتدابير الكونية وتنفيذ الأوامر الإلهية ، حسب إذن الله تعالى لهم وأمره بذلك ، كما هو مقتضى مشيئته وحكمته سبحانه .

فمنهم الموكَّلون بتدابير أمور الجبال : روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليكم يوم كان أشدَّ من يوم أحدٍ ؟ فقال ﷺ : « لقد لقيتُ من قومك مالقيت ، وكان أشد مالقيتُ منهم يوم العقبة ، إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليل ابن عبد كُلالٍ [1] ، فلم يجبني إلى ما أرَدْتُ فانطلقتُ وأنا مهموم

(١) وذلك أنه لما توفي أبو طالب وتوجَّه النبي ﷺ إلى الطائف ، وعمد إلى ثلاثة نفرٍ من أكابر ثقيف ، لأجل أن يؤووه ، فعرض عليهم نفسه ، وشكا إليهم أذى قومه في مكة ، فردُّوا عليه ﷺ أقبح ردٍّ وقابلوه بأشدِّ الأذى .

على وجهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقَرْن الثعالب [١] ، فرفعتُ رأسي فاذا أنا بسحابة قد أظلّتني ، فنظرتُ فيها فاذا فيها جبريل فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردّوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال [٢] لتأمره بماشئت فيهم . فناداني ملك الجبال فسلّم عليّ ثم قال : يامحمّد ذلك فيما شئت ، وفي رواية : فما شئتَ – إن شئتَ أطبقتُ عليهم الأخشبين [٣] – وفي رواية الطبراني : فقال يا محمد إن الله بعثني إليك وأنا ملك الجبال لتأمرني بأمرك فيما شئتَ ، إن شئتَ أطبقتُ عليهم الأخشبَيْن. فقال النبي ﷺ : بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً » .

وفي هذا بيان شفقة النبي ﷺ على قومه الذين قابلوه بأنواع الأذى ، وفيه مزيد صبره وحلمه ﷺ .

ومنهم الملائكة الموكّلون بالسحب يسوقونها حيث أمرهم الله تعالى :

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله

---

(١) اسم مكان ميقات أهل نجد ويقال له : قرن المنازل وهو على يوم وليلة من مكة ، كما في الفتح .

(٢) أي الملك الموكّل بالجبال .

(٣) هما جبلا مكة : أبو قبيس والذي يقابله وكأنه قعيقعان . كما في الفتح ، والمراد باطباقهما أن يلتقيا على مَن بمكة فيقضي عليهم كلهم .

ﷺ : « بينا رجل في فلاة من الأرض إذ سمع صوتاً في سحابة : اسق حديقةَ فلان ، فتنحَّى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حَرَّةٍ [١] فإذا شَرْجَة من الشِراج [٢] قد استوعبت ذلك الماء ، فتتبَّع ـ الرجل ـ الماء . فإذا رجل قائم في حديقة يحوّل الماء بمسحاته [٣] . فقال له : ياعبد الله مااسمك ؟ فقال : فلان ، الاسمُ الذي سمع في السحابة ، فقال له : ياعبد الله لم سألتني عن اسمي ؟ فقال : سمعتُ صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه ـ يقول : اسقِ حديقة فلان ، لاسمك ، فما تصنع فيها ـ أي في الحديقة ـ ؟ فقال : أما إذا قلتَ هذا ، فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدَّق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثه، وأردُّ عليها ثلثه ».

ومنهم الملائكة الموكلون بالرياح وتصريفها وهم خزنتها القائمون عليها :

قال تعالى : ﴿ وأما عادٌ فأهلكوا بريحٍ صَرصَرٍ عاتيةٍ ﴾ . قال البخاري : يقال : طَغَتْ على الخزّان كما طغى الماء على قوم نوح ، وروى ابن جرير باسناده عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال : لم تنزل قطرة من ماء إلا بكيل على يدي ملك ، فلما كان يوم نوح أُذِن للماء دون الخزان ، فطغى على الخزان فخرج ، فذلك قوله تعالى : ﴿ إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية ﴾ . قال : ولم يرسل شيء من

---

(١) هي أرض ذات حجارة سوداء .

(٢) أي مسايل الماء إلى السهل من الأرض . (٣) هي المجرفة .

الريح إلا بكيل على يدي ملك إلا يوم عاد ، فانه أُذِن لها دون الخزان فخرجت ، فذلك قوله تعالى : ﴿ بريحٍ صرصرٍ عاتيةٍ ﴾ عتت على الخزان [١] . اه .

وهناك الملائكة الموكلون بالبحار والأنهار والأشجار وغير ذلك . قال تعالى : ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ .

عصمة الملائكة عليهم السلام من المعصية والذنوب

إن مما يجب اعتقاده في الملائكة عليهم السلام أنهم معصومون عن المعاصي والذنوب ، بعصمة الله تعالى لهم وحفظه إياهم ، فقد ثبت بالادلة القرآنية الصريحة مايدل على عصمتهم :

الدليل الأول ـ قول الله تعالى في صفة الملائكة : ﴿ وقالوا : اتخذ الرحمن ولداً ! سبحانه بل عبادٌ مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ . فهم من ناحية القول لايتقدَّمون بقولٍ إلاَّ من بعد أن يأذن الله تعالى لهم في ذلك ، فالإذن منه سبحانه هو السابق ، وقولهم مسبوق بقوله سبحانه وإذنه ، وأما من ناحية العمل فلا يتحركون لعملٍ إلا بأمره تعالى ، فهم أمريُّون أي يعملون بموجب الأمر الصادر منه سبحانه ، وغير ذلك لا يعملون ، ولذا قدَّم

(١) انظر التفاسير ، ومنها تفسير ابن جرير وابن كثير .

قوله ﴿ وهم بأمره ﴾ على قوله ﴿ يعملون ﴾ ليفيد الحصر بذلك .

وحيث إن الملائكة بأمر الله تعالى يعملون ، فكيف يقع منهم بعد ذلك ذنب ؟! إذ لو وقع منهم ذنب للزم أن يكون عن أمره تعالى لهم بذلك الذنب ، وهذا باطل ، لأن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء، قال تعالى : ﴿ إن الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله مالا تعلمون ﴾ .

الثاني ـ قوله تعالى : ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ﴾ . فهم يأتمرون بأوامر الله تعالى ولا يعصون الله ما أمرهم كما وأن جميع تحركاتهم الفعلية هي أمرية،أي كلها قيام بمقتضى أوامره تعالى ،وبها تنفيذ لأوامره تعالى ، فكيف يقعون في معصية أو ذنب .؟!

الثالث ـ قوله تعالى : ﴿ يسبّحون الليلَ والنهار لا يفترون ﴾ . فلا تعتريهم فتراتُ انقطاعٍ عن تسبيح الله تعالى،لا في الليل ولا في النهار ، ومن كانت هذه صفته في جميع أوقاته فكيف يصدر عنه ذنب أو تقع منه معصية ؟

الرابع ـ قوله تعالى : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ، ويفعلون ما يؤمرون ﴾ فهم في مقام الخشية والمخافة دائماً ، كما وأنهم دأبهم الدائب يفعلون مايؤمرون ، فأين المعاصي منهم والمخالفات ؟ .

الخامس ـ قوله تعالى : ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن

الناس ﴾ فهم من المصطَفَيْن لرسالة الله تعالى في تنفيذ أوامره وتبليغها بصدق وأمانة .

السادس ـ قوله تعالى في الملائكة عليهم السلام : ﴿ وما نتنزّل إلا بأمر ربك ، له مابين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ، وما كان ربك نَسيّاً ﴾ فجميع تنزلاتهم في العوالم، إنما هي بأمر الله تعالى لا من تلقاء أنفسهم كما وأن جميع تنزلاتهم بالحق والصدق ، قال تعالى : ﴿ ما ننزّل الملائكة إلا بالحق .. ﴾ الآية . ومعنى قوله تعالى في الملائكة ﴿ له مابين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ، وما كان ربك نسياً ﴾ أي له سبحانه ماقدّامنا وما خلفنا، وما نحن فيه من الأماكن والأحايين ، فلا نتمالك أن ننتقل من مكان إلى مكان ، ولا أن ننزل في زمان دون زمان إلا بأمر الملِك سبحانه ومشيئته ، وهو الحفيظ العلاّم بجميع الحركات والسكنات ، وجميع أحوال الأكوان، لاتعتريه الغفلة ولا النسيان ، فأنّى لنا أن نتقلّب في ملكوته إلا إذا أذن لنا فيه جل وعلا ؟!

وأما ما قد يتوهمه بعض الناس وما قد يفهمونه من بعض الآيات القرآنية مما يُخِلُّ بعصمة الملائكة الكرام عليهم السلام فهو وهمٌ مرفوع وفهم مدفوع .

فمن تلك الآيات التي قد يتوهم منها ما يتوهم قوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربُّك للملائكة : إني جاعل في الأرض خليفةً ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك ؟ قال إني أعلم مالا تعلمون ﴾ .

فقد يتوهم منها اعتراض الملائكة على الله تعالى ، ولكن الحق ليس بذاك ، فان قولهم ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ ليس هو سؤال اعتراض ، فانه سبحانه لا يُسأل عما يفعل ، ولكن كما قال المحققون إنه سؤال استفسار واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة ، واستخبار عمّا يرشدهم ، ويزيح شبهتهم ، كسؤال المتعلم معلمه عمّا يختلج في صدره ، وليس باعتراضٍ على الله تعالى ، ولا طعناً في بني آدم على وجه الغيبة ، فانهم أعلى من أن يُظنَّ بهم ذلك ، لقوله سبحانه : ﴿ بل عباد مكرَمون . لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ فانهم لم يتقدموا بهذا القول من السؤال والاستفسار إلا بعد الإذن لهم في ذلك، لأنهم لايسبقونه بالقول سبحانه .

هذا ، وإن الملائكة عليهم السلام كرامٌ بررةٌ أتقياء فطناء أدباء مع الحضرة الربانيّة ، لايتأتّى منهم الانتقاد ولا الاعتراض على الله تعالى في مقاله المبيِّن لمنزلة آدم ، والمعلِن بفضله والمؤذن بشرفه ،

فانه سبحانه أراد أن يعلن بمنزلة آدم ويعلم الملائكة بفضله وشرفه، فقال: ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ وهو في اللغة من يخلف غيره ، والهاء فيه للمبالغة ، وجمهور أهل العلم والمعرفة، على أن المراد به آدم عليه السلام ، كما هو مفصل في كتبهم ، قال العلامة البيضاوي : والمراد به آدم عليه الصلاة والسلام ، لأنه كان خليفة الله في أرضه ، وكذلك كلُّ نبيٍّ (١) استخلفهم الله تعالى في عمارة الأرض وسياسة الناس ، وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم لا لحاجةٍ به تعالى إلى من ينوبه ، بل لقصور المستخلَف عليه ـ أي بني آدم ما سوى الأنبياء منهم فإنهم قاصرون ـ عن قبول فيضه تعالى، وتلقي أمره بغير واسطة ، ولذلك لم يستنبىء سبحانه ملَكاً ، كما قال الله تعالى : ﴿ ولو جعلناه ملَكاً لجعلناه رجلاً ﴾ . اهـ

---

(١) قال تعالى في داود عليه الصلاة والسلام : ﴿ ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق .. ﴾ الآية . وقال تعالى في الخليل الكريم عليه الصلاة والسلام : ﴿ قال إني جاعلك للناس إماماً .. ﴾ الآية . وقال تعالى في الخليفة الأعظم سيدنا محمد ﷺ : ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم .. ﴾ الآية . ومن قارن بين هذه النصوص القرآنية واعتبر بما فيها وتبصَّر بمعانيها أيقن أن سيدنا محمداً ﷺ هو إمام الأنبياء والمرسلين حقاً ، كما أخبر عن ذلك بقوله : « إذا كان يوم القيامة كنتُ أنا إمام النبيين ، وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم ، غير فخر » ﷺ.

فجعل الله سبحانه الرسلَ رجالاً حتى تتلقَّى الناس عنهم دينهم وأحكام شرعهم ، ويسمعوا كلامهم وتعاليمهم ، ويرَوْا أفعالهم ويتبعوهم في أعمالهم ومعاملاتهم وسِيَرهم وأخلاقهم وآدابهم ، إلى ماوراء ذلك .

﴿ قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال إني أعلم مالا تعلمون ﴾ استفسروا عن الحكمة لخفائها عليهم ، مستعلمين ومستفهمين ، ولذا جاء الجواب : ﴿ إني أعلم مالا تعلمون ﴾ . واختلف في وجه معرفتهم بأن سيقع من ذريَّة آدم إفساد وسفك ؟ : فقيل : إنما عرفوا ذلك بإخبارٍ من الله تعالى لهم بذلك ، ولم يقصَّ علينا ذلك الإخبار اكتفاءً بدلالة الجواب عليه للايجاز ، كما هو عادة القرآن الكريم . ويؤيّد ذلك ماروي في بعض الآثار أنه لما قال الله تعالى ذلك قالوا : وما يكون من ذلك الخليفة ؟ قال : تكون له ذريَّة يفسدون في الأرض ، ويقتل بعضهم بعضاً ، فعند ذلك قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟.

وقيل : عرفوا ذلك بالتلقي من اللوح ، وقيل : عرفوا ذلك استنباطاً مما ركز في عقولهم أن العصمة من خواصهم، وقيل : عرفوا ذلك قياساً لأحد الثقلين ـ وهم الانس ـ على الآخر ـ وهم الجن قبل

الانس ـ باعتبار أنهما ـ أي الثقلين ـ غير معصومين . وقيل : عرفوا ذلك من تسمية آدم خليفة ، لأن الخلافة تقتضي الإصلاح ، وتقـويم المستخلَف عليه وإيقـافه عند الحدود [١]، وذلك يستلزم أن يصدر منه فساد إما في ذاته بمقتضى الشهوة ، أو في غيره من السفلة . وقيل غير ذلك ، والله تعالى أعلم بما هنالك [٢] .

وأما قصَّة هاروت وماروت الواردة في القرآن الكريم فليس فيها مايطعن بالملائـكة ويخلُّ بعصمتهم ، وذلك أن الشيـاطين كانوا يسترقون السمع من السماء ، ثم يضمُّون إلى ماسمعوه أكاذيب يلفّقونها ويلقونها إلى الـكهنة من الإنس ، وجعلت الكهنة يدوّنونها في كتبٍ ويقرءونها ويعلمونها الناس ، وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام ، حتى صاروا يقولون : إن الجن يعلمون الغيب ، وإن هذا العلم هو علم سليمان عليه السلام ، وإنه ما تمّ لسليمان ملـكه إلا بهذا العـلم ، وبه سُخرت له الجن والإنس والطير .. فأنزِل هذان الملـكان لتعليم السحر

---

(١) انظر جميع ماتقدم في تفسير البيضاوي والنسفي وروح المعـانى ، وغيرها من التفاسير .

(٢) ولا يخلو بعض تلك الوجوه السابقة عن نظرٍ فيها ، ولكن تركنا الاطالة مخافة الملالة .

ابتلاءً من الله تعالى للناس وللتمييز بين السحر وبين المعجزة ، وظهور الفرق بين كلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبين كلام السحرة [١] ، وإليه الإشارة بقوله تعالى إخباراً عنهما : ﴿ إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ .

قال العلامة الرازي في هذه الآية : يعني إنما نعلمكم السحر لتتوصّلوا به إلى الفرق بين المعجزة والسحر ، فلا ينبغي أن تستعملوا هذا السحر في أغراضكم الباطلة ، فانكم إن فعلتم ذلك كفرتم . فالحاصل أنه تعالى إنما أنزلهما ليحصل بسبب إرشادهما الفرق بين الحق الذي جاء سليمان وأتمّ له الله به ملكه ، وبين الباطل الذي جاءت الكهنة به من السحر ، ليفرق بين المعجزة والسحر [٢] اهـ .

قال الله تعالى : ﴿ واتّبعوا ماتتلوا [٣] الشياطين ﴾ يعني أن فريقاً من اليهود المخبر عنهم في الآيات السابقة نبذوا كتاب الله تعالى وهو التوراة ، واتبعوا كتب السحر التي كانت تقرؤها الكهنة ﴿ على

---

(١) انظر ذلك في تفسير البيضاوي والنسفي والخازن والآلوسي وغيرها .

(٢) انظر كتاب الأربعين للفخر الرازي .

(٣) وهو حكاية حالٍ ماضية ، والأصل « تلَتْ » وقول الكوفيين : إن المعنى ما كانت تتلواً : محمولٌ على ذلك ، لا أن « كان » هناك مقدَّرة . اهـ من تفسير روح البيان وغيره .

ملك سليمان ﴾ أي على عهده وزمان ملكه ﴿ وما كفر سليمان ﴾ فيه تكذيب للشياطين ودفع لما اتُّهم به سليمان من اعتقاده السحر واعتناقه إيّاه وعمله ، كما أشيع عنه من قِبَل الكهنة ﴿ ولكنّ الشياطين كفروا يعلّمون الناس السحر ﴾ إغواءً وإضلالاً ، قال العلامة البيضاوي : والمراد بالسحر - أي هنا في الآية - مايستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان ، مما لا يستقل به الانسان ، وذلك لايستتبُ - أي لا يتم - إلا لمن يناسبه - أي الشيطان - في الشرارة وخبث النفس ، فان التناسب شرط في التضامّ والتعاون . اهـ .

﴿ وما أُنزل [١] على الملكين ﴾ يعني أنهم يعلّمون الناس السحر ، ويعلمونهم ما أنزل على الملكين ، أو المعنى أن اليهود اتبعوا ماتتلوا الشياطين من السحر ، واتبعوا ماأنزل على الملكين ﴿ ببابل هاروت وماروت ﴾ اسمان علمان [٢] بيان للملكين . والذي أنزل

---

(١) جاء في تفسير البيضاوي وغيره : وقيل « ما » نفي معطوف على قوله«وما كفر سليمان » اهـ .

(٢) وهما أعجميان،منعا من الصرف للعلمية والعجمة ، وقيل : عربيان من الهرت والمرت ، بمعنى الكسر ، ويشكل عليه منعها من الصرف ، وليس إلا العلمية ، وتكلفه بعضهم فقال : يحتمل أنهما معدولان من الهارت والمارت اهـ من روح المعاني وغيره .

عليهما هو علم السحر ابتلاءً من الله تعالى للناس وليفرقوا بين السحر والمعجزة كما تقدّم .

﴿ وما يعلمان من أحد ، حتى يقولا إنما نحن فتنة ﴾ يعني أنهما مايعلّمان أحداً حتى ينصحاه ويقولا له إنما نحن ابتلاء من الله تعالى ، ومحنة واختبار ﴿ فلا تكفر ﴾ .

قال العلامة البيضاوي وغيره في تفسير قوله تعالى ﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ : أي وما يعلمان أحداً حتى ينصحاه ويقولا له إنما نحن ابتلاء من الله ، فمن تعلم منا - أي السحر - وعمل به كفر ، ومن تعلم وتوقّى عمله ثبت على الإيمان ، فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به . اه ونقل ذلك العلامة الآلوسي في تفسيره بالنص .

﴿ فيتعلمون منهما مايفرّقون به بين المرء وزوجه ﴾ أي علمَ السحر الذي يكون سبباً في التفريق بين الزوجين ، بأن يخلق الله تعالى عند ذلك النفرة والخلاف بين الزوجين ابتلاءً منه سبحانه ﴿ وماهم بضارّين به من أحد إلا باذن الله ﴾ لأن السحر وغيره من الأسباب لا تؤثر بالذات بل بأمره تعالى ومشيئته وخلقه . وقد أمر الله تعالى بالتعوّذ من شر النفوس الساحرة النفاثات في العُقَد كما جاء في سورة الفلق .

وفي ذلك دليل على أن للسحر حقيقةً ، وأن له تأثيراً ، كما عليه أهل السنة ، ولكن بإذنه تعالى ومشيئته وخلقه . وليس هذا موضوع بحثنا حتى نفصله .

هذا وإن البحث في عالم الملائكة عليهم السلام واسع الأطراف ، فسيح الأكناف ، وقد اقتصرنا منه على المهمات والموجزات ، فنسأل الله تعالى أن يعفو عن السيئات ، ويعظم لنا أجر الحسنات ، ويعطّف علينا قلب مصدر الخيرات والبركات ، ومنبع الفيوضات والفتوحات ، سيدنا وشفيعنا عند ربنا ، محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم ، إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

حول عالم الجن

إن من جملة العوالم التي أثبتها القرآن الكريم - عالم الجن، فقد ذكرهم الله تعالى في مناسبات من الآيات متعددة، بيّن فيها مادة خلقهم وأوضاعهم ، كما بيّن مسؤوليتهم ومطالبتهم بالتكاليف الشرعية ، وأن منهم المسلمين ومنهم القاسطين ، وأن منهم الصالحين ، ومنهم دون ذلك ، كما بيّن سبحانه في الآيات القرآنية وجوهاً من اتصالات الجن بعالم الإنس .

كما وأن السنة النبوية قد تناولت ذكر عالم الجن ، وبيّنت قضاياهم ، وأوضحت ماعليهم من التكاليف الشرعية بموجب الدعوة المحمدية ، فقد دعاهم رسول الله ﷺ إلى الاسلام وقرأ عليهم القرآن ، وبلّغهم ماأمرهم الله تعالى به من العقائد والأحكام ، وبيّن لهم الحلال والحرام ، بمقتضى أنه الرسول العام ، عليه أفضل الصلاة والسلام .

فلذلك وجب الاعتقاد الجازم بوجود الجن،وأنهم عالم حقيقي ليس وهمياً تخييلياً ، ولا ضرباً من النفوس البشرية الشريرة ، ولا من القوى البشرية الخبيثة ، ولا من نوع الجراثيم المكروبية الضارة ، فان جميع هذه الأفهام والأوهام حول عالم الجن - هي تحريف لكلام الله تعالى

عن معانيه المرادة منه ، وصرفٌ له عن الوجه المخبَر عنه ، إلى وجه آخر هو في معزلٍ عنه ، وإنما الجنُّ عالم خفيٌّ [١] حقيقي الوجود ، له شأنه وأحكامه .

وقد صنفت الكتب في تفصيل ذلك ، وإنما أذكر - إن شاء الله تعالى - طرفاً مهماً من البحث حولهم ، باعتبار أن هذا الكتاب لم يوضع لذلك ، وسوف يأتي التفصيل إن شاء الله تعالى بعد ذلك .

خلق الجنّ

قال الله تعالى : ﴿ خَلَق الإنسان من صَلْصال كالفخار . وخلق الجانَّ من مارجٍ من نار ﴾ [٢] .

روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « خُلِقَت الملائكة من نور ، وخُلقت الجانُّ من مارجٍ من

---

(١) فان مادة كلمة (جن) تدل على الستر والخفاء ، ومن ذلك : ﴿ جن عليه الليل ﴾ أي ستره وأخفاه بظلامه ، ومنه سميت الأجنة في بطون الامهات لاستتارها وخفائها ، ومنه : المِجنُّ - التُّرس - لانه يقي صاحبه ويستره .

(٢) ففي هذا بيان مادة الجن التي خلقهم الله تعالى ، وهي مارج من نار . والمرج الاختلاط ومنه سمي المرج ، لاختلاط النباتات فيه ، ومرج أمر الناس اختلط . فالجن مخلوقون من مختلط من نار ، وهو اللهب المختلط بسواد النار ، من : مرج الشيء إذا اضطرب واختلط .

نار ، وخُلق آدم مما وصف لكم » . وقد تقدم الكلام على هذا الحديث في أول الكتاب .

وقد أخبر سبحانه أن الجن خلقوا قبل الانس . قال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصالٍ من حمأٍ مسنون . والجانّ خلقناه من قبل من نار السَّموم ﴾ .

وقد نبَّه أكابر العلماء العارفين إلى أن إبليس ليس هو أباً أوّلاً للجنّ ، كما يتوهَّم بعض الناس ، وإنما هو ـ أي ابليس ـ واحد من الجنّ ، قال تعالى : ﴿ إلا إبليسَ كان من الجن .. ﴾ الآية ، وأما أبو الجن الذي هو كآدم عليه السلام للبشر ، فانه غير إبليس [1] .

(١) انظر فتوحات الشيخ الأكبر ، ويواقيت الشيخ الشعراني وغيرهما ، فليس إبليس أول الجن ، ولكنه أوّل أشقياء الجنّ ، أي أول من شَطَن من الجن ، كما أن قابيل أول أشقياء الإنس . فمن كفر من الجن سمي شيطاناً جنياً ، ومن لم يكفر منهم يسمى جنياً ، كما أن من كفر من الانس سمي شيطاناً إنسياً ، ومن لم يكفر فهو إنسي ، قال تعالى : ﴿ شياطينَ الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾ . وقد أمر سبحانه بالتعوذ من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس . وفي المسند عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له : «يا أبا ذر تعوّذ بالله من شر شياطين الانس والجن » قلت : يا رسول الله وللانس شياطين ؟! فقال : « نعم » .

صفاتهم الخلقية

الجن هم أرواح قائمة في أجسام لطيفة ناريّة ، قادرة على التشكـل بصُور مختلفة ، يأكلون ويشربون، وفيهم الذكر والأنثى، ويتناكحون ويتناسلون ، ويموتون طائفةً بعد طائفة ، كما هو في الإنس .

فباعتبار أنهم أجسام لطيفة نارية لايراهم الإنس في الصورة التي خلقهم الله تعالى عليها ، قال تعالى : ﴿ إنه يراكم هو وقبيله من حيثُ لاترونهم ﴾ وأما رؤيتهم إذا تشكلوا في غير صورهم فهي محقّقة الوقوع.

وأما إنهم يتشكّلون بصور مختلفـة ـ صورة رجال أو بعض الحيوانات ـ فيدل على ذلك مارواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : وكّلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته وقلت : لأرفعنّك إلى رسول الله ﷺ ، فقال : دعني فاني محتاج ، وعليّ عيال ولي حاجة شديدة ، فخلّيتُ عنه ، فأصبحتُ ، فقـال النبي ﷺ : « يا أبا هريرة مافعـل أسيرك البارحة ؟ » فقلت : يارسول الله شكا حاجةً شديدةً وعيالاً ، فرحمتُه وخلّيتُ سبيله . فقال ﷺ : « أما إنه قد كذبك ،وسيعود » .

قال ابو هريرة : فعرفتُ أنه سيعود ، لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود . فرصدته ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته ، فقلت : لأرفعنّك

إلى رسول الله ﷺ ، فقال : دعني فاني محتاج وعليّ عيال ، لا أعود، فرحمتُه فخلَّيتُ سبيله ، فأصبحتُ ، فقال لي رسول الله ﷺ : « يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟ » قلت : يا رسول الله شكا حاجةً وعيالاً ، فرحمته ، فخلَّيت سبيله ، فقال : « أما إنه قد كذبك ، وسيعود » .

قال أبو هريرة : فرصدتُه الثالثة ، فجاء يحثو من الطعام ،فأخذته، فقلت لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات ، إنك تزعم أنك لاتعود ثم تعود !. فقال : دعني أعلمْك كلماتٍ ينفعك الله بها . قلت : وما هي؟ قال:إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكرسيّ : ﴿الله لا إله إلا هو الحيُّ القيوم ..﴾حتى تختم الآية [1] ، فانك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان - وفي رواية ابن مردويه : لم يقربك أحد من الجن صغير ولا كبير ذكر ولا أنثى - حتى تصبح ، فخلَّيتُ سبيله ، فأصبحت ، فقال لي رسول الله ﷺ : « مافعل أسيرك البارحة ؟ » قلت : يارسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليتُ سبيله ! فقال ﷺ : « وما هي ؟ » قلت : قال لي إذا أويت

(١) وفي رواية أبي المتوكل : عند كل صباح ومساء ، وفي حديث معاذ بن جبل زيادة : وخاتمة سورة البقرة : آمن الرسول .. إلى آخرها، كما في الفتح .

إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ وقال لي : لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ـ وكانوا أي الصحابة أحرص شيء على الخير ـ فقال ﷺ : « أما إنه صدقك ، وهو كذوب ، تعلم من تخاطب من ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة ؟ » قلتُ : لا ، فقال : « ذاك شيطان » أي شيطان من الشياطين .

وقد ذكر في الفتح من فوائد الحديث : أنه قد يتصوّر الشيطان ببعض الصور فتمكن رؤيته ، وأن الجن قد يأكلون من طعام الإنس ، ويظهرون لهم ويتكلمون بكلامهم ، وأنهم قد يسرقون ويخدعون . اهـ فقد تشكّل الشيطان الجني بصورةٍ ، وأتى إلى أبي هريرة في بيت الصدقة يحثو من الطعام وكان منه ما كان . وقد وقع نظير ذلك مع أبي أيوب الأنصاري وأبي بن كعب كما في سنن النسائي وغيره ، ففي حديث أُبي بن كعب أنه كان له جرن فيه تمر ، وأنه كان يتعاهده ، فوجده ينقص ، فاذا هو بدابّةٍ شبه الغلام المحتلم ، قال أُبي بن كعب : فقلت له : أجنيٌّ أم إنسيٌّ ؟ فقال : بل جنيٌّ .. الحديث .

وأما إن الجن يموتون ففي الصحيح من دعائه ﷺ : « اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلّني ، أنت الحيُّ الذي لا

تموت ، والجن والإنس يموتون » . وهم يموتون قرناً فقرناً كالإنس ، قال تعالى : ﴿ والذي قال لوالديه أفٍّ لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي ؟ وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله ﴾ أي الحشر وما وراءه ﴿ حقٌّ ، فيقول ما هذا إلا أساطير ﴾ أي أباطيل ﴿الأوّلين . أولئك الذين حق عليهم القول في أممٍ قد خَلَتْ ﴾ أي مضت وهلكت ﴿ من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ﴾ فقوله تعالى : ﴿ قد مضت من قبلهم من الجن والإنس ﴾ دليل على موت الجن طائفة بعد أخرى كالإنس . نعم قد يطول عمر بعضهم أكثر من الإنس . وقال تعالى : ﴿ وحقَّ عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس ﴾ الآية .

وقد أخبر سبحانه عن قوة الجن وأن منهم العفاريت[1] الأشداء الأقوياء . فسخر لسليمان عليه السلام جنوداً قوية من الجن تعمل بين يديه ، وتصنع له مايشاء من المحاريب والتماثيل ، والجفان الكثيرة ، والقدور الكبيرة .

قال تعالى : ﴿ وحُشر لسليمان جنوده من الجنّ والإنس والطير ، فهم يُوزعون ﴾ فهو سبحانه يذكر فضله على نبيه سليمان بأنه حُشر له

---

(١) جمع عفريت ، وهو المارد القويّ الداهية .

أي جُمع له العساكر القوية الكثيرة من نوع الجن والانس والطير، ﴿ فهم يوزعون ﴾ أي يكفّ أولهم على آخرهم، لئلا يتقدم أحد منهم عن منزلته المرتبة له، وليكونوا مجتمعين فلا يتخلف منهم أحد، وذلك للكثرة العظيمة، وفيه إشعار بتمام مسارعتهم بالانتظام، والاصطفاف بإحكام. وكان الذي يليه من الجنود هم الإنس ثم الجن، ثم الطير تُظله ومن معه بأجنحتها، مع التزام كلٍ من قادة الطيور مكانه المعيَّن له.

وقال تعالى إخباراً عن سليمان عليه السلام وتسخير الجن له ومدى قوتهم: ﴿ قال ياأيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين؟ قال عفريت من الجن: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك، وإني عليه لقويٌّ أمين ﴾.

وذلك أن سليمان عليه السلام لما أراد إحضار عرش بلقيس من بلدة قبيلة سبأ في اليمن، إلى مقام سليمان في الشام، قبل أن تصل إليه بلقيس ومعها وزراؤها ليريها عظيم قدرة الله تعالى، والقوة التي مكنه الله تعالى منها وملكه العظيم، ولتشاهد أدلة نبوته وصدقه عليه الصلاة والسلام. ولأجل أن يختبر عقلها، أمر بأن يُنكَّر لها عرشُها: أتعرفه أم تنكره؟ فنادى بالملأ: ﴿أيكم يأتيني بعرشها؟ ﴾.

فانبرى له عفريت من الجن وقال : ﴿ أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ﴾ أي مجلس حكمك بين الناس وقضائك فيما بينهم. وكان يجلس من الصبح إلى نصف النهار أو قريب منه ،وقيل المراد قبل أن تستوي من جلوسك قائماً . ثم أكَّد له ذلك بقوله : ﴿ وإني عليه لقويٌ أمين ﴾ يعني أنه لايصعب ولا يشق عليه ذلك،لأنه قويٌ ، ولا يأخذ منه شيئاً ولا يبدِّل فيه ، لأنه أمين ، وذلك لأن عرشها كان مثقلاً بالجواهر ومليئاً بالنفائس الثمينة .

فهذا التعهد من العِفْريت الجني والتزامه إحضار ذلك العرش بين يدي سليمان مع قطعه تلك المسافات الشاسعة : دليل على شدته وقوته ، ومع ذلك فان نبي الله سليمان عليه السلام أراد ماهو أعجل من ذلك ، وكان الأمر كما أراد .

وقال تعالى : ﴿ ولسليمانَ الريحَ غدوُّها شهر ، ورواحها شهر ، وأسَلْنا له عين القِطْر ، ومن الجنّ من يعمل بين يديه باذن ربه، ومن يَزِغْ منهم عن أمرنا نُذِقْه من عذاب السعير . يعملون له ما يشاء من محاريبَ وتماثيلَ وجِفانٍ كالجوابِ وقدورٍ راسياتٍ ،اعملوا آل داود شكراً ، وقليل من عباديَ الشكور ﴾ .

وفي هذا يبيّن الله تعالى فضله على نبي الله سليمان عليه السلام ،

﴿ ولسليمان الريحَ ﴾ أي سخرنا لسليمان الريح ﴿ غدوُّها شهر ، ورواحها شهر ﴾ جريها بالغداة مسيرة شهر ، وجريها بالعشيّ مسيرة شهر ، فكانت تسير في اليوم الواحد مسيرة شهرين ، وفي هذا بيان قوة الريح المسخرة ، لأنْ تُقِلَّ سليان وجنوده الكثيرة وتحملهم حيث أراد عليه السلام . ﴿ وأسلنا له عين القطر ﴾ أي النحاس المذاب ، أساله له سبحانه من معدنه ، فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ﴿ ومن الجن ﴾ أي سخرنا له من الجن ﴿ من يعمل بين يديه باذن ربه ﴾ . أي كل ذلك بمشيئته سبحانه وإذنه بذلك ﴿ ومن يزغ منهم ﴾ أي ومن يعدل من الجن ﴿ عن أمرنا ﴾ أي عما أمرناه به من طاعة سليمان ﴿ نذقه من عذاب السعير ﴾ في الآخرة وهو عذاب الحريق ، وقيل : في الدنيا أيضاً ، بأن يسلِّط عليه المَلَك سوط نارٍ ، فيضربه به الملك إذا استعصى الجني عن طاعة سليمان عليه السلام .

﴿ يعملون له مايشاء من محاريب ﴾ أي من مساجد شريفة وقصورٍ منيفة ﴿ وتماثيل ﴾ وهي نقوش وتجميلات في الجدران . وقيل : صور للاشجار وما لا روح له ، وقال بعضهم : صور السباع والطيور [1] .

---

(١) كما في تفسير البيضاوي والنسفي وغيرهما من التفاسير ، وذلك أنه كان مباحاً في شريعتهم ، وقد ذكروا أنه لم يكن يأمرهم بفعل ذلك عبثاً أو =

﴿ وجفانٍ ﴾ الجفان جمع جفنة وهي ما يوضع فيها الطعام وهي أعظم القِصاع أو من أعظمها ﴿ كالجواب ﴾ جمع جابية من الجباية ، وهي الجمع ، والمعنى : أنهم يصنعون له الجفان الكبرى التي هي كالحياض الكبرى ، وكلها مملوءة بالطعام. قيل : كان يقعد حول الجفنة الواحدة من تلك الجفان ألف رجل ﴿ وقدورٍ ﴾ جمع قِدر ، وهو ما يطبخ فيه ، ولكنها واسعة الحجم ﴿ راسيات ﴾ ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لسعتها ﴿ اعملوا آل داود شكراً ، وقليل من عبادي الشكور ﴾.

روى ابن أبي الدنيا والبيهقي وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لما قيل لهم ﴿ اعملوا آل داود شكراً ﴾ لم يأت ساعة على أهله وولده من الليل والنهار إلا ومنهم قائم يصلي . وفي رواية : كان مصلى داود لم يخلُ من قائم يصلي ليلاً ونهاراً ، وكانوا يتنا وبون ذلك .

مطالبة الجن بالتكاليف الشرعية

ذهبت جماهير أهل العلم إلى أن الجنّ مكلّفون بالشرائع الإلهية ،

= لهواً ، فانه نبي رسول منزه عن ذلك ، بل لِحِكَم في ذلك ومهمات ، ومن ذلك تقييد الحيوان أو الطير المتمثل له وتحديد حدٍ له ، حتى لا يبغي على غيره ولا يؤذي غيره ، وهذا بموجب تصرف القوى الروحية ، وقيل غير ذلك ، والله تعالى أعلم بما هنالك .

وأنهم تتناولهم الأوامر والنواهي الشرعية . وأدلة القرآن الكريم والسنة النبوية على ذلك كثيرة شهيرة .

قال الله تعالى إخباراً عما يقال لكفار الجن والإنس يوم القيامة ﴿ يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا : شهدنا على أنفسنا ، وغرّتهم الحياة الدنيا ، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾ . فدلَّ ذلك على تكليفهم كما كلِّفت الإنس ، وتوجُّهِ الخطاب الشرعي عليهم كما هو في الانس ، ولذلك اعترفوا بأنهم كافرون ، وشهدوا على أنفسهم بالكفر.

وقال تعالى ﴿ أولئك الذين حقَّ عليهم القول في أمم قد خلتْ من قبلهم من الجن والانس ، إنهم كانوا خاسرين . ولكلٍ درجاتٌ مما عملوا ، وليوفِّيهم أعمالهم وهم لا يُظلمون ﴾ .

ففي هذه الآيات يخبر سبحانه أنَّ من الجن والانس مَنْ حقَّ عليهم القول أي وجب عليهم العذاب ، وأنه خاسر ، وذلك لا يكون إلا في أهل التكليف المستوجبين العذاب بأعمالهم . وفي قوله تعالى: ﴿ ولكلٍ درجات مما عملوا ﴾ دليل ظاهر في ثوابهم وعقابهم ، وأن مسيئهم كما يستحقُّ العذاب بإساءته ، فمحسنهم يستحق الدرجات باحسانه ، وذلك كله يستلزم أنهم كانوا في الدنيا مأمورين بالشرائع ومتعبدين بها،

ولذلك استحقوا الدرجات بأعمالهم في الخير والشر .

وقال تعالى ﴿ وقيَّضْنا لهم قرناء ﴾ أي قيَّضنا للمشركين قرناء من الشياطين ﴿ فزيَّنوا لهم مابين أيديهم وما خلفهم ﴾ وهو ترغيبهم في الدنيا وحرصهم عليها ، وتكذيبهم بالآخرة وإعراضهم عنها ﴿ وحقّ عليهم القول في أممٍ قد خلت من قبلهم من الجن والانس ، إنهم كانوا خاسرين ﴾ أي وجب عليهم العذاب مع أمم قد مضت من قبلهم من الجن والإنس. ففي هذا دليل على تكليف الثقلين: الإنس والجن ، وتعلق الأمر والنهي بهم جميعاً ، وكذلك تعلق الثواب والعقاب بهم .

وقال تعالى ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً : يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس ، وقال أولياؤهم من الانس : ربَّنا استمتع بعضنا ببعض ، وبلغنا أجلنا الذي أجَّلتَ لنا ، قال : النار مثواكم خالدين فيها إلا ماشاء الله إن ربك حكيم عليم ﴾ . ففي هذه الآية دليل صريح على تكليف الجن ، فان هذا القول يقال للجن يوم القيامة ، فيذكر الإنسُ استمتاعَ بعضهم ببعض في الدنيا ، وذلك الاستمتاع هو ما كان بين الجن والانس في الدنيا من طاعتهم إيَّاهم في معصية الله تعالى وكفرهم به ، وعبادتهم لهم ليستعينوا بهم على أغراضهم وأهوائهم ، كما قال تعالى ﴿ بل كانوا يعبدون الجن ، أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ .

ومما يدلّ على تكليف الجنّ بالشرائع السماوية قوله تعالى ﴿ وإذ

صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن، فلما حضروه قالوا أنصتوا، فلما قُضيَ ولَّوا إلى قومهم منذرين . قالوا : يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أُنزِل من بعد موسى يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم . يا قومنا أجيبوا داعيَ الله وآمنوا به ، يغفر لكم من ذنوبكم ويُجِرْكم من عذابٍ أليم . ومَنْ لا يُجِبْ داعيَ الله فليس بمعجزٍ في الأرض ، وليس له من دونه أولياء ، أولئك في ضلالٍ مبين ﴾ .

وقد صح أن نفراً من الجن سبعةً ـ وقيل تسعة ، وقيل أكثر من ذلك ـ جاءوا إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ ببطن نخلة [١] فلما سمعوه قالوا انصتوا ، كما أخبر الله تعالى عنهم .

وفي هذا وجوه من الأدلة على تكليف الجن :

أحدها ـ أن الله تعالى هو صرفهم إلى رسوله ﷺ يستمعون القرآن ليؤمنوا به ، ويأتمروا بأمره وينتهوا عما نهى عنه .

الثاني ـ أنهم ولَّوا إلى قومهم منذرين ، والإنذار هو الإعلام بالخوف بعد وجود أسبابه ، فأنذروهم النار إن عصوا الرسول ﷺ .

---

(١) وهي اسم لموضع على بُعْد ليلة من مكة المكرمة ، وكانوا من جن نُصيبين ، وقد روى ذلك الحاكم وابن أبي شيبة وأحمد بن منيع باسناد جيد ، كما في شرح المواهب .

الثالث ـ أنهم أخبروا عن سماعهم القرآن وتعقّله وتفهّمه ، وأنه يهدي إلى الحق ويهدي إلى صراط مستقيم.وهذا دليل على تمكنهم من العلم الذي تقوم به الحجة ، وهم قادرون على امتثال ما فيه . ومن المعلوم أن التكليف إنما يستلزم العلم والقدرة ، فهم مكلفون .

الرابع ـ أنهم قالوا لقومهم : ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به . وهذا ظاهر في أنهم مكلَّفون مأمورون باجابة الرسول ، وتصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ﷺ .

الخامس ـ أنهم قالوا : ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ﴾ والمغفرة لا تكون إلا عن ذنب ، وهو مخالفة الأمر ﴿ ويجركم من عذاب أليم ﴾ . وهذا يدل على أن من لم يستجب منهم لداعي الله تعالى لم يُجره الله من العذاب الأليم .

ومن الأدلة على أن الجن مكلفون بالأوامر الإلهية والشرائع السماوية : الخطابات والنداءات الموجَّهة في سورة الرحمن إلى كلٍّ من الجن والانس . فانه سبحانه وتعالى ذكر خلق النوعين ،فقال : ﴿ خلق الانسان من صلصالٍ كالفخار ، وخلق الجانَّ من مارجٍ من نارٍ ﴾ . فذكر نعمته عليهما بالايجاد ، ثم خاطبهم بما يحملهم على الاعتراف بنعمه وكرمه عليهم دون تردد ولا إنكارفقال ﴿فبأيِّ آلاء ربكما تكذبان ﴾ .

ثم عدّد سبحانه أصناف نعمه على كلٍ من الجن والانس : النعم الآفاقية والنفسية والسماوية والأرضية .

وكلما ذكر صنفاً من الكرم والنعم ، أردف ذلك بما يحمل المخاطبين من الإنس والجن على التفكّر والاعتبار ، والاعتراف والاقرار بنعم المنعم عليهم ، وكرمه الواصل إليهم فيشكرونه ولا يكفرونه ، ويحمدونه ولا يجحدون نعمه .

روى الترمذي وغيره عن جابر قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا . فقال : « لقد قرأتها على الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم ! كنتُ كلما أتيتُ على قوله ﴿ فبأيِّ آلاء ربكما تُكذبان ﴾ قالوا : لابشيءٍ من نعمك ربّنا نكذّب ، فلك الحمد » .

وهذا يدل على أن الجن قد علموا أنهم مقصودون بهذا الخطاب ، فلذلك أحسنوا الجواب .

ثم قال سبحانه ﴿ سنفرُغ لكم أيها الثقلان ﴾ وفي هذا ترغيب في وعده ، وتخويف من وعيده ، وتهديد شديد من عواقب الذنوب ، ثم قال سبحانه ﴿ فيومئذٍ لا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جانّ ﴾ وفي هذا بيان للانس والجان أنه سبحانه لعلمه بهم وبجميع أعمالهم وأقوالهم وما

صدر منهم لايحتاج أن يسألهم عنها سؤال استعلام ، بل هو يعلم جميع ذلك ، وأحاط بكل ماهنالك ، وجعل للمجرمين علامات تعرفهم بها الخلائق من أهل الموقف . وعلى هذا يكون السؤال المنفي هو سؤال الاستعلام والاستخبار ، لا سؤال المحاسبة والمجازاة ، فانه ثابت قطعاً ، قال تعالى : ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ وقال تعالى : ﴿ وقِفوهم إنهم مسئولون ﴾ إلى غير ذلك من الآيات المثبتة للسؤال .

وقال بعضهم في قوله تعالى : ﴿فيومئذٍ لايُسأل عن ذنبه إنسٌ ولا جانّ ﴾ : هذا وقتَ البعث والمصير إلى الموقف،فانهم حينئذٍ لايُسألون، ولكنهم يُسألون بعد إطالة الوقوف ومرور الشدائد والأهوال ، ثم استشفاعهم إلى الله تعالى أن يريحهم من طول الموقف وكرباته،وهناك يتقدم للشفاعة العظمى إمام النبيين والمرسلين الذي يقول : « أنا لها ، أنا لها» ﷺ ، فينفضّ أمر الخلائق للسؤال والحساب .

فالجن مكلَّفون كما أن الإنس مكلفون ، وإن تكاليف الجنّ هي تكاليف الانس من حيث الاجمال ، وأما من حيث التفصيل فقد يختصُّ الجن بأحكامٍ فرعية جزئية دون الانس ، لاختلافهما في الجنس ، كما نص عليه العلماء . والله تعالى أعلم .

بلوغ دعوة الرسل لعالم الجن

قال الله تعالى : ﴿ يامعشر الجن والانس ألمْ يأتكم رسلٌ منكم يقصّون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟! قالوا : شهدنا على أنفسنا ، وغرّتهم الحياة الدنيا ، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ، ذلك أنْ لم يكن ربُّك مهلكَ القرى بظلم وأهلها غافلون ﴾ .

فهو سبحانه يسأل كفار الجن والانس يوم القيامة عن موقف الرسل معهم في الدنيا : هل بلّغوهم الدعوة وقصّوا عليهم آيات الله تعالى ؟ وهل أنذروهم عذاب الآخرة ، ولقاء يوم القيامة ، وما يحتوي عليه من سؤال وحساب وعذاب وثواب إلى غير ذلك ؟ . فكلهم يُقرّون ويعترفون بأن الرسل قد بلّغت وأوضحت وأنذرت، ويشهدون على أنفسهم بالكفر وأنهم غرتهم الحياة الدنيا . ثم نبّه سبحانه بقوله بعد اعترافهم وإقرارهم باقامة الحجة عليهم ، فقال ﴿ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ﴾ أي بل لابدّ وأن يرسل فيهم من ينبّههم من غفلاتهم ، ويوقظهم من سكراتهم ، ويخرجهم من ظلماتهم ، حتى لا يُبقي عذراً لمعتذر ، ولا حجة لمن يحتج ، حتى إذا

عذبهم عذبهم بحق وعدل ، لا جَوْر ولا ظلم [١] .

---

(١) وقد اختلف العلماء هل كان في الجن نبي مرسل اليهم منهم؟ فذهب الجمهور سلفاً وخلفاً إلى أن الرسل الذين أرسلوا إلى الجن هم رسل الانس ، وأن النبوة والرسالة الالهية هما من خصائص الانس كما قال الحافظ السيوطي في لقط المرجان : جمهور العلماء سلفاً وخلفاً على أنه لم يكن من الجن قطُّ رسول ولا نبيٌّ ، كذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ومجاهد والكلبي وأبي عبيد ، وقد أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ قال : ليس في الجن رسل ، إنما الرسل في الانس ، والنذارة في الجن ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ فلما قضي ولّوا إلى قومهم منذرين ﴾ اهـ . يعني أنه سبحانه أثبت لهم مقام الانذار فقط ، فهو نظير قوله تعالى في الانس : ﴿ فلولا نفر من كل فرقةٍ منهم طائفةٌ ليتفقّهوا في الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم .. ﴾ الآية . فكان كل رسول من الانس يرسَل إلى أقوامٍ خاصة من الانس والجن ، ثم بعث رسول الله سيدنا محمد ﷺ إلى كافة الانس وكافة الجن .

وذهب الضحّاك بن مزاحم وبعض العلماء إلى أن في الجن رسلاً منهم محتجين بقوله تعالى ﴿ يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ قال في الفتح : فروى الطبري من طريق الضحاك إثبات ذلك وقال : ومن قال بقول الضحّاك احتجّ بأن الله تعالى أخبر أن من الجن والانس رسلاً أرسلوا اليهم ، فلو جاز أن المراد برسل الجن رسل الانس لجاز عكسه ، وهو فاسد . اهـ كلام الطبري كما في الفتح .

وقد أجاب الجمهور عن قوله تعالى : ﴿ يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ بأن المراد ألم يأتكم رسل من مجموعكم وأحد نوعيكم ،=

وقال سبحانه ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ وقد أخبر سبحانه في عدةٍ من الآيات أنه يعذب كفرة الجن كما يعذب كفرة الانس ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ لأملأن جهنم من الجِنّة والناس أجمعين ﴾ . وقال تعالى : ﴿ قال ادخلوا في أممٍ قد خلتْ من قبلكم من الجن والانس في النار .. ﴾ الآية . فما عذَّبهم حتى بعث فيهم رسولاً بلَّغهم الدعوة وأقام عليهم الحجة . فهذا دليل آخر على أن الجن قد بلَّغتهم الرسل الدعوة وبينت لهم الشريعة المكلفين بها .

ومن الأدلة على تبليغ الرسل الدعوة للجن : قوله تعالى إخباراً عن الجن حين سمعوا القرآن من النبي ﷺ : ﴿ قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتاباً أُنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه ، يهدي إلى الحق وإلى طريق

= لا من جميعكم ومن كل نوعٍ منكم . قالوا : وهذا له نظائر وأشباه في لغة العرب الفصيحة ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات ٍ طباقاً ، وجعل القمر فيهنّ نوراً ﴾ أي في إحداهن ، وليس في كل سماء قمر .

وقد اتفق الكلُّ على بعثة سيدنا محمد ﷺ إلى جميع طبقات الانس والجنّ بلا خلاف ، كما نقل في الفتح عن ابن عبد البر أنه قال : لايختلفون أنه ﷺ بعث إلى الانس والجن ـ أي كافة ـ وهذا مما فُضل به على الأنبياء . اهـ صلوات الله تعالى عليه وعليهم أجمعين .

مستقيم﴾ فهذا القول منهم يدل على أنهم كانوا قد بلغتهم دعوة موسى عليه السلام ، وأنهم كانوا عالمين بكتاب موسى عليه السلام ، وهو التوراة ، فلما سمعوا القرآن قالوا إنه مصدق لما بين يديه ، أي لما تقدم من التوراة ، وسائر كتب الله النازلة على الرسل صلوات الله وسلامه على رسولنا وعليهم أجمعين .

ففي هذا دليل على أنهم كانوا متعبِّدين بشريعة موسى عليه السلام ، ثم راحوا يتعبدون بشريعة سيدنا محمد ﷺ .

ومن الأدلة على أن الجن قد بلَّغتهم رسل الله تعالى التكاليف

الشرعية وبيَّنتها لهم : إخباره سبحانه عن كفار الجن أنهم في النار ، كما أخبر عن كفار الانس أنهم في النار ، فكلا الفريقين من كفارهما ـ هو كافر شرعاً ، فما هو الدليل الشرعي على تخصيص كفار الانس ببلوغ الدعوة لهم دون الجنّ ؟!

بلوغ دعوة النبي سيدنا محمد ﷺ لعالَم الجن

أجمع العلماء على عموم بعثة النبي ﷺ إلى عالم الجن ، وبلوغ دعوته لهم ، واستدلوا على ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

أما الدليل على عموم رسالته إلى عالم الجن . فقد قال سبحانه :

﴿ قل أيُّ شيءٍ أكبر شهادةً ؟ قل : الله شهيد بيني وبينكم، وأُوحيَ إليَّ هذا القرآنُ لأنذركم به ومَن بلغ .. ﴾ الآية . وإن الجنّ قد بلغهم القرآن بنص القرآن . قال تعالى : ﴿ قل أُوحيَ إليَّ أنه استمع نفر من الجن ، فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً . يهدي إلى الرشد فآمنَّا به .. ﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن .. ﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿ تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾ . والجن هم من عالم التكليف.

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « فُضِّلتُ على الأنبياء بستٍ ـ فذكر منها ـ : وأُرسلتُ إلى الخلق كافة » . فيدخل في عموم الخلق عالم الجن . قال الحافظ في الفتح : وثبت التصريح بذلك في حديث : « وكان النبي يبعث إلى قومه ، وبُعثت إلى الانس والجن » فيما أخرجه البزار . اه

وقد نقل في الفتح عن ابن عبد البر أنه لا خلاف في أنه ﷺ بُعث إلى الإنس والجنّ .

وقد ثبت بلوغ دعوته ﷺ إلى الجن قطعاً ، وكان ذلك عن طريق توافدهم عليه ، واستماعهم إليه ﷺ ، وعن طريق ذهابه إليهم وقراءته عليهم ، وسؤالاتهم له وجواباته لهم . قال تعالى :﴿ وإذ صرفنا

إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن .. إلى قوله تعالى : ياقومنا أجيبوا داعيَ الله وآمنوا به ﴾ . والمعنى : أجيبوا داعيَ الله الذي جاء يدعوكم إلى الله ، وقد دعاكم ، فيحقّ عليكم أن تجيبوه ، ولولا أنه ﷺ مأمور بدعوتهم لما وجبت إجابته عليهم . وقال تعالى : ﴿ قل أُوحيَ إليّ أنه استمع نفر من الجن .. إلى قوله تعالى : وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به ﴾ أي سمعنا الهدى من محمد رسول الله ﷺ فآمنا به .

وروى مسلم عن علقمة قال : سألت ابن مسعود رضي الله عنه هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلةَ الجن ؟ قال : لا [1] . ولكنّا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ، ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشِّعاب ! فقيل : استطير ؟! أو اغتيل؟! ـ استفهام تعجبي ـ قال ابن مسعود : فبتنا بشرِّ ليلة بات بها قوم ، فلما أصبحنا إذا هو جاءٍ من قِبَل حِراء ، فقلنا : يارسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك ، فبتنا بشرِّ ليلةٍ بات بها قوم ، فقال ﷺ : « أتاني داعي الجنّ ،

---

(١) وقد ورد أيضاً في حديث آخر أن ابن مسعود سئل : أكنت مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ؟ فقال : أجل . كما رواه ابن جرير وأبو نعيم . وفي المسند عن ابن مسعود قال : كنت مع رسول الله ﷺ ليلة وفد الجن ، وفي روية : أنه كان مع رسول الله ﷺ ليلة الجن. فهذه الروايات لاتنافي مانحن فيه ، لأن القصة متعددة كما نبه على ذلك المحققون .

فذهبتُ معهم ، فقـرأت عليهم القـرآن » . قال ابن مسعود : فانطلق رسول الله ﷺ بنـا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم ، وسألوه عن الزاد فقال : « كلُّ عظم ذُكـر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفرَ مايكون لحماً ، وكل بعرةٍ أو روثة علفٌ لدوابّـكم . قال رسول الله ﷺ : فلا تستنجوا بهما ، فانهما طعام إخوانـكم » . وروى أحمد في مسنده نحوه.

وفي مسند أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمـكة ، إذ قال : « ليقم معي رجل منكم » وفي رواية أخرى : استبعثني رسول الله ﷺ - أي بعث إليَّ - فخرجت مـع رسول الله ﷺ ، حتى إذا كنا بأعلى مـكة رأيت أسوِدةً مجتمعةً ، قال فخطَّ لي رسول الله ﷺ خطاً ثم قال : « قم ههنا حتى آتيك » فقمتُ ومضى رسول الله ﷺ إليهم ، فرأيتهم يتنوَّرون إليه[1] ، قال : فسمَر معهم رسول الله ﷺ ليلاً طويـلاً حتى جاءني الفجـر . وفي رواية أخرى فجعلوا يركبون رسول الله ﷺ - أي يتزاحمون عليه - وجعل ﷺ يقرأ عليهم[2].

وتقدَّم حـديث الترمذي أنه ﷺ قرأ سورة الرحمن على الجنّ .

---

(١) أي يتطلَّعون إلى رؤيته ﷺ من بعيد .

(٢) وقد أورده الامام أحمد في مسنده بأسانيد متعددة موزعـة في مسند ابن مسعود .

اصناف الجن وافتراقهم على طرائق

قال الله تعالى إخباراً عنهم ﴿ وأنّا منّا الصالحون ، ومنا دون ذلك، كنا طرائقَ قِدداً - إلى قوله تعالى : وأنا منا المسلمون، ومنا القاسطون [١] ، فمن أسلم فأولئك تحرَّوْا رشَداً . وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ﴾ .

فقد أخبر سبحانه أن الجنّ على طرائق قدد أي : طرائق متقطعة ، ومشارب متفرقة ، وآراء متعددة . فمنهم الصالح ، ومنهم الطالح ، ومنهم المسلم ومنهم الكافر ، ومنهم المتَّبع ومنهم المبتدع، ومنهم اليهودي والنصراني والمجوسي ، إلى غير ذلك ، كما هو في الانس .

فالمسلمون منهم يقال لهم : الجن المسلمون ، وصلحاؤهم يقال لهم صلحاء الجن ، والكفار منهم يُسمَّون شياطين [٢] الجن ، وأول شيطان جني هو إبليس [٣] كما قال فيه سبحانه : ﴿ كان من الجن ففسق عن

---

(١) القاسط : هو الظالم الجائر الناكب عن الحق ، بخلاف المقسط ، فهو العادل المستقيم على الحق .

(٢) جمع شيطان ، مأخوذ من : شَطَن بمعنى بَعُد ، أو من : شاط بمعنى احترق ، فوزنه « فَيْعال » أو « فَعْلان » .

(٣) انظر كلام الشيخ الأكبر رضي الله عنه . قال الحافظ ابن عبدالبر : الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان على مراتب ، فاذا ذكروا الجن خالصاً =

أمر ربّه ﴾ .

وهذا قول كثير من العلماء والعارفين ، واستدلوا على أنه كان من الجن وليس هو ملكاً بوجوه من الأدلة :

أولاً - إن إبليس مخلوق من النار ، قال تعالى إخباراً عنه : ﴿ خلقتني من نارٍ وخلقته من طين ﴾ والملائكة مخلوقون من النور كما تقدم في حديث مسلم .

ثانياً - إن إبليس له ذريَّة . قال تعالى : ﴿ أفتتخذونه وذريَّته أولياء من دوني وهم لكم عدوٌّ ؟! ﴾ .

وأما الملائكة فلا ذريَّة لهم ، لأنهم ليسوا ذكوراً ولا إناثاً ولا شهوة لهم (١) .

ثالثاً - إن إبليس كان من الجن بنص القرآن ، والجن ليسوا ملائكة ، لقوله تعالى : ﴿ ويوم نحشرهم جميعاً ، ثم نقول للملائكة :

= قالوا جني ، فان أرادوا أنه ممن يسكن مع الناس قالوا عامر ، والجمع عمّار ، فان كان ممن يعرض للصبيان قالوا أرواح ، فان خبث وتعرّض بالأذى والوسوسة قالوا شيطان ، فان زاد على ذلك وقوي أمره قالوا عفريت . اهـ .

(١) انظر كتاب الأربعين للفخر الرازي .

أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟! قالوا : سبحانك أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن ﴾ فدلَّت الآية على أن الجن جنس آخر غير الملائكة .

رابعاً - إن الملائكة عليهم السلام معصومون عن المخالفة والمعصية ، ويفعلون مايؤمرون ، وهم بأمر الله تعالى يعملون ، وإن إبليس خالف أمر الله تعالى بالسجود لآدم ، ولم يعمل ما أمره الله تعالى به .

وأما من قال من العلماء بأن إبليس من الملائكة : فاحتجَّ بأنه لو لم يكن ملكاً لما تناوله الأمر بالسجود لآدم ، لأن الأمر بالسجود لآدم كان موجَّهاً للملائكة بنص﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ فلو لم يكن ملكاً لما كان تخلفه عن السجود لآدم يوجب طرداً وإبعاداً حينئذٍ .

وقد أجاب عن ذلك العلماء القائلون بأن إبليس من الجن،أجابوا عن قوله تعالى : ﴿ فسجدوا إلا إبليس ﴾ بأنه استثناء من جنس المأمورين ، لا من جنس الملائكة ، ويكون التقدير : وإذ قلنا للملائكة ولإبليس : اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس . تقول : أمرتُ إخوتي وعبدي بكذا ، فأطاعوني إلا عبدي ، فالعبد ليس من الإخوة ، ولا داخلاً فيهم إلا من حيث شَمِله الأمر بالفعل معهم . هذا وإن قوله

تعالى : ﴿ مامنعك ألاَّ تسجد إذ أمرتُك ﴾ يشير إلى أن هناك أمراً موجهاً عليه بالسجود . وأجابوا أيضاً بأن استثناءه من الملائكة استثناء من غير الجنس فهو منقطع (١) .

موقف الشيطان من الانسان

قال الله تعالى : ﴿ إن الشيطان لكم عدوٌّ فاتخذوه عدوّاً ﴾ . فالشيطان عدوٌّ للانسان مبين ، فينبغي للانسان أن يقف معه موقف المعادي الحذِر من شره ومكره . ومن شدة عداوة الشيطان للانسان أنه يبذل جميع جهوده وطاقاته في تضليل الانسان وتزيين الكفر والطغيان والفساد له ، قال تعالى: ﴿ فزيَّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل ، فهم لايهتدون ﴾ وقال تعالى ﴿ تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزيّن لهم الشيطان أعمالهم أي كفَّرهم وفسَّقهم .

ومن عداوته أنه يَعد الانسان بالفقر واليأس مما يؤمله ويرجوه ، ويأمره بالفحشاء ، قال تعالى : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾.

كما وأنه يسعى في إزعاج الإنسان وتحزينه ، قال تعالى : ﴿ إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا ﴾ . كما وأنه يسعى في إلقاء العداوة بين بني آدم ، وإثارة البغضاء فيهم بشتى الأسباب القولية

(١) وثمة أجوبة متعددة تحتاج إلى تفصيل .

والعملية ، قال تعالى : ﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله ﴾ . وقال تعالى : ﴿ إن الشيطان ينزغ بينهم ﴾ أي يوقع الشرور ويفسد ذات البين .

كما وأن من شأن الشيطان أن يقذف في القلب الأباطيل والظنون السيئة ، ويوسوس ويفسد .

ففي الحديث عن علي بن الحسين رضي الله عنهما أن صفيَّة زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ معتكفاً ، فأتيتُه أزوره ليلاً ، فحدَّثتُه ثم قمتُ لأنقلب ـ أي لأرجع ـ فقام معي ليقلبني ، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد ، فمرَّ رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا ، فقال النبي ﷺ :« على رِسْلِكما ، إنها صفيَّة بنت حُييّ » فقالا : سبحان الله يا رسول الله ! فقال : « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وإني خشيتُ أن يقذِف في قلوبكما شراً ـ أو قال شيئاً ـ » [1] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود ، ونقل الكرماني عن الامام الشافعي أنه قال في معنى الحديث : إنه ﷺ خاف عليهما الكفر لو ظنَّا به التهمة فبادر إلى إعلامهما بمكانهما نصيحةً لهما في الدين، قبل أن يقذف الشيطان في قلوبهما أمراً يهلكان به .

وقد نبَّه الله تعالى عباده إلى أن خطر الوساوس الشيطانية كبير وشرَّها مستطير ، وأنه ينبغي للعبد أن يلجأ إلى ربه ، عائذاً به من همزات الشياطين ، قال تعالى ﴿ وقل ربِّ أعوذ بك من همزاتِ الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرونِ ﴾ . وقال تعالى : ﴿قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . إله الناس . من شر الوسواس الخناس . الذي يوسوس في صدور الناس . من الجنة والناس ﴾ .

ومن وسوسته ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلَق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربَّك ؟ فاذا بلغه فليستعذ بالله ولينْتَهِ » . أي فليترك التفكير في هذا الخاطر الباطل ، وليفكر بالأمر الحق ، لئلا يستحوذ عليه الشيطان بتلك الوسوسة الفاسدة والتخيُّلات الكاسدة ، فانها من باب القلق والتشويش .

ومن ذلك مارواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لايزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا : خلق الله الخلقَ ، فمن خلق الله ؟ فاذا قالوا ذلك فقولوا : الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفُواً أحد ، ثم ليتفلْ عن يساره ثلاثاً ، وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم » . يعني أن ذلك وسوسة باطلة ،

لاموقع لها من الاعتبار والقبول في موازين العقول ، فان الله أحد واحد ، ولا أحد قبله ، إذ أن الواحد العددي النسبيّ لا واحد قبله ، فما ظنك بالواحد الأحد المطلق الذي له الوحدة الذاتية المطلقة سبحانه وتعالى ؟!.

ومن شر الشيطان أنه يحاول أن يكفر الانسان بأنواع من المكفرات ، فان عجز عن ذلك حاول أن يوقعه في البدع الضالة، فان عجز عن ذلك حاول أن يوقعه في كبائر الذنوب، فان عجز عنها حاول أن يوقعه في صغائر الذنوب ، فان عجز عنها حاول أن يشغله بالمباحات التي لاثواب فيها ولا عقاب عليها ، فيكون قد شغله عما يثاب عليه من فضائل الأعمال ، فان عجز عن ذلك حاول أن يشغله بالعمل المفضول عن العمل الأفضل ، فان عجز عن ذلك كله حاول أن يشوّش على المؤمن فكره ويعكّر عليه صفاءه . ولذلك ينبغي للعبد أن يَعوذ بربه ، ويتحصّن به من شرور الشياطين .

وإن للتحصّن والتحرّز من وساوس الشياطين ومضارهم ومفاسدهم أسباباً واقيةً ، أرشد الشارع الحكيم إليها وإلى إيقاعها في مواقعها :

أحدها : التعوّذ بالله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وإمّا ينزغنّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله، إنه هو السميع العليم ﴾. أي السميع المجيب

لاستعاذتك ، العليم بحالك وبما يحفظك من نزغات الشيطان [١] .

---

(١) وقد علَّم النبي ﷺ أمته وجوهاً من التعوذ حسب مقتضى الحالات التي هم فيها :

فمن ذلك التعوذ حالة الغضب ، ففي صحيح البخاري عن سليمان بن صُرَد قال : كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستبَّان ، فأحدهما احمرَّ وجهه وانتفخت أوداجه ، فقال النبي ﷺ : « إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه مايجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ذهب عنه ما يجد .. » الحديث .

ومن ذلك التعوذ عند رؤيا يكرهها ، كما في الصحيحين عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ : « إذا رأى أحدكم في منامه الرؤيا يحبها فانما هي من الله فليحمد الله عليها ، وليتحدَّث بها ، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان ، فليستعذ بالله من شرّها ولا يذكرها لأحد فانها لاتضرُّه ، وفي رواية لمسلم : فليبصق عن يساره ثلاثاً ، وليتعوَّذ بالله من الشيطان ، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه » .

ومن ذلك التعوذ عند إرادة الخلاء ، روى أبو داود وابن ماجه بسند حسن عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله ﷺ : « إن هذه الحشوش ـ كناية عن الخلاء ـ محتضرة ـ أي يحضرها الشياطين ـ فاذا أتى أحدكم الخلاء فليقلْ : « أعوذ بالله من الخبُث والخبائث » . وفي الصحيحين : كان رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء يقول : « اللهم إني أعوذ بك من الخبُث والخبائث » . قال في المرقاة : يعني ذُكران الشياطين وإناثهم .

وفي المسند عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلماتٍ نقولها عند النوم من الفزع : « بسم الله، أعوذ بكلمات الله التامة ، من =

ثانيها : التسمية ، فانها وقاية من شر الشيطان (١) .

= غضبه وعقابه ، ومن شرّ عباده ، ومن همزات الشياطين ، وأن يحضرون » قال : فكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه ، ومن كان منهم صغيراً لايعقل أن يحفظها كتبها له فعلّقها في عنقه . قال ابن كثير : ورواه ابو داود والترمذي والنسائي اه .

وفي الصحيح أنه ﷺ كان يُعوّذ الحسن والحسين : « أعوذ بكلمات الله التامّة ، من كل شيطانٍ وهامّةٍ ، ومن كلّ عينٍ لامّةٍ » .

(١) فمن ذلك التسمية على الطعام ، وعند دخول الرجل بيته ، وخروجه منه ، روى مسلم عن جابر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه ، قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عَشاء ، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله ، قال الشيطان : أدركتم المبيت ، وإذا لم يذكر الله عند طعامه ، قال الشيطان: أدركتم المبيت والعشاء » . وفي السنن عن أنس عن النبي ﷺ : « من قال إذا خرج من بيته : بسم الله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فيقال له حسبُك، هُديت وكفيت ووقيت ، وتنحّى عنه الشيطان » .

والتسمية عند إرادة الجماع ، كما في الصحيحين والمسند عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله فقال : بسم الله ، اللهم جَنّبنا الشيطان وجنّب الشيطان مارزقتنا ، فانه إن قضي بينهما ولد من ذلك : لم يضرّه الشيطان أبداً » أي لم يضرّه باضلاله وإغوائه ببركة التسمية ، فلا يكون للشيطان عليه سلطان ، ولا يلزم منه عصمة الولد من الذنب ، بل إنه يكون حسن العاقبة ، ويموت على الايمان ، =

ومن أعظم التعويذات الإكثار من قراءة المعوّذات [١] .
فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يتعوّذ من الجانّ وعين الانسان ، حتى نزلت المعوّذتان ، فأخذ بهما وترك ماسواهما [٢] .

= وفي هذا بشارة عظمى . اه ملخصاً من فيض القدير .

ومن ذلك التسمية على آنية الطعام ، وعند إغلاق الباب ، وإطفاء المصباح ونحو ذلك ، كما في الصحيحين وغيرهما عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إذا استجنح الليل ـ أو كان جنح الليل ـ فكفّوا صبيانكم ، فان الشياطين تنتشر حينئذٍ ، فاذا ذهب ساعة من العشاء فخلّوهم ، وأغلق بابك ، واذكر اسم الله ، فان الشيطان لايفتح باباً مغلقاً ، وأطفيء مصباحك واذكر اسم الله ، وأوكِ سِقاءك ـ أي شدّ عليه رباطه ـ واذكر اسم الله ، وخمّر إناءك ـ أي ضع عليه غطاءً ـ واذكر اسم الله ، ولو أن تعرض عليه شيئاً ، وأطفئوا المصابيح فان الفويسقة ـ أي الفأرة ـ ربّما جرّت الفتيلة فأحرقت أهل البيت » .

(١) وهي سورة الفلق والناس والاخلاص ، من باب التغليب ، أو إن أقل الجمع اثنان .

(٢) رواه الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه والضياء في المختارة وصححه ، كما في شرح المواهب ، وقال في المواهب : وهذا لايدل على المنع من التعوذ بغير هاتين السورتين ، بل على الأولوية ، ولا سيّما مع ثبوت التعوذ بغيرهما اه أي كما تقدم في الأحاديث الصحيحة .

وإنما كان ﷺ يكثر من التعوذ بهما ، لما اشتملتا عليه من جوامع الاستعاذة =

وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ، ثم نفث فيهما ثم يقرأ : ﴿ قل هو الله أحد . وقل أعوذ برب الفلق . وقل أعوذ برب الناس ﴾ ثم يمسح بهما مااستطاع من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات . وقال ﷺ لعقبة بن عامر : « اقرأ المعوّذات في دُبُر كل صلاة » أي لما فيها من الحفظ والوقاية .

= من كل مكروه جملة وتفصيلاً ، فان الاستعاذة من شر ماخلق تعم كل شر يستعاذ منه في الأشباح والأرواح ، والاستعاذة من شر الغاسق إذا وقب ـ وهو الليل إذا أظلم ، والقمر إذا غاب ـ تتضمن الاستعاذة من شر ما انتشر فيه من الأرواح الخبيثة ، والاستعاذة من شر النفاثات تتضمن الاستعاذة من شر النفوس الساحرة وسحرهنّ ، ومن شر حاسدٍ تتضمن الاستعاذة من شر النفوس الخبيثة المؤذية .

وسورة قل أعوذ برب الناس تتضمن الاستعاذة من شر الانس والجن المشار إليه بقوله الوسواس أي الذي يوسوس للآدميّ عند غفلته عن ذكر الله تعالى. الخناس : الذي يخنس عند ذكر الله تعالى ، من الجنة والناس : بيان للشيطان الموسوس أنه جني وإنسي . قال تعالى : ﴿ شياطينَ الانس والجن ﴾ أو من الجنة : بيان للشيطان الموسوس ، والناس : عطف على الوسواس اه ملخصاً من شرح المواهب .

وفي هذا تنبيه إلى خطر الوسواس وكبير إفساده وضرره ، وأن الانسان ينبغي له أن يعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس ، ليحفظه من شر الوسواس الخناس ، وإذا لم يفعل ذلك فهو في مهاوي الضلال ومهامه الهلاك .

وفي السنن عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ المعوذات في دبر كل صلاة .

ثالثها ـ قراءة آية الكرسي ، وتقدم عن أبي هريرة في الصحيح أن من قرأها إذا أوى إلى فراشه فانه لن يزال عليه من الله حافظ ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح .

وكذلك قراءة خاتمة سورة البقرة ، فيها وقاية من الشياطين . فروى الترمذي عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال : « إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام ، أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ، ولا يُقرأ بهنَّ في دارٍ ثلاث ليالٍ فيقربها شيطان » . رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم .

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي مسعود قال قال رسول الله ﷺ : « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلةٍ ـ وفي رواية : في ليلته ـ كفتَاه » أي كفتاه شرَّ الشياطين والآفات ، ومن المساوىء والمكاره ، وقيل : معناه حسبه بهما فضلاً وأجراً ، أو إنهما أقلُّ ما يجزىء من القراءة في قيام الليل .

هذا وإن قراءة سورة البقرة في البيت تنزل عليه الخير والبركة ، وتبعد عنه الشياطين وتحفظ أهل البيت من السحرة ، كما جاء في

الحديث الذي رواه مسلم عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال : « اقرأوا سورة البقرة ، فان أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة » . يعني أن المواظبة على تلاوتها والعمل بها نماء وبركة في العمل والعمر والرزق ، وترك تلاوتها حسرة وفوات خير وبركة ، ولا يستطيعها البطلة أي السحرة ، لأن لها سلطاناً وقوة .

وقد ورد أن تلاوة القرآن تتنزل لها الملائكة كما تقدم في الأحاديث الصحيحة ، ومتى نزلت الملائكة انهزمت الشياطين ، سيَّما إذا قرىء القرآن جهراً في الليل ، فقد روى أبو داود عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال لعمر : « مررتُ بك وأنت تصلي رافعاً صوتك » فقال عمر : يارسول الله أُوقِظ الوسنان وأطرد الشيطان . فقال له ﷺ : « اخفض شيئاً » .

رابعها – من جملة ماورد لأجل التحفظ والتحرز من شرور الشياطين ، مارواه الشيخان وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد – وفي رواية للبزار : يحيي ويميت – وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة : كانت له عِدْل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومُحِيَتْ عنه مائة سيئة ، وكانتْ له حرزاً من

الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلاَّ أحد عمل أكثر من ذلك » .

خامسها ـ الإكثار من ذكر الله تعالى ، فان ذكر الله تعالى حصن حصين للذاكر ، كما روى الترمذي وأحمد من حديث الحارث الأشعري أن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا ، فذكر الحديث وقال في الخامسة : وأمركم أن تذكروا الله تعالى ، فان مَثَل ذلك كمثل رجل خرج العدوُّ في أثره سِراعاً ، حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم ، قال : وكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلاَّ بذكر الله تعالى » .

وروى البيهقي وابن أبي الدنيا وأبو يعلى عن أنس مرفوعاً : « إن الشيطان واضعٌ خَطْمه ـ أي فمه ـ على قلب ابن آدم ، فان ذكر الله خنس ، وإن نسي التقم قلبه ، فذلك الوسواس الخناس » . وقال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ من شر الوسواس الخناس ﴾ : الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فاذا سها وغفل وسوس ، فاذا ذكر الله خنس . اهـ . وذلك لأن للذاكر معية إلٰهية خاصة ، كما جاء في صحيح ابن حبان أن النبي ﷺ قال : « إن الله عزَّ وجلَّ يقول :

أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحرّكتْ بي شفتاه » . ولأن ذاكر الله تعالى تحفّ به الملائكة ، فكيف يستولي عليه الشيطان ؟! وقد فصّلنا ذلك فيما سبق . اللهم اجعلنا من الذاكرين الله كثيراً .

ومن أجمع التعاويذ وأقواها تأثيراً ماجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « رأيت ليلة أُسريَ بي عِفريتاً من الجن يطلبني بشعلةٍ من نارٍ ، كلّما التفتُّ رأيتُه ، فقال لي جبريل عليه السلام : ألا أعلِّمكَ كلماتٍ تقولها فتطفىء شعلته وَيخرّ لفيه ـ أي يقع على وجهه ـ فقال رسول الله ﷺ : بلى . فقال جبريل : قل أعوذ بوجه الله الكريم ، وبكلمات الله التامّات ، التي لا يجاوزهنّ برٌّ ولا فاجر ، من شرِّ ما ينزل من السماء ، ومن شرِّ مايعرُج فيها ، ومن شر ماذرأ في الأرض ، ومن شر مايخرج منها ، ومن فتن الليل والنهار ، ومن طوارق الليل والنهار ، إلا طارقاً يطرقُ بخيرٍ يارحمن»[1].

فهذه جملة موجزة من الأسباب الواقية من شرور الشياطين ووسوستهم ، ومن أراد التوسع في ذلك فليرجع إلى كتب السنة النبوية .

---

(١) رواه مالك عن يحيى بن سعيد مرسلاً ، ورواه النسائي من حديث ابن مسعود بنحوه ، ورواه أحمد وأبو يعلى ، ولكل منها إسناد جيد محتج به ، عن عبد الرحمن بن خنبش التميمي رضي الله عنه ، وقد سئل كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادته الجنّ ؟ فذكر الحديث وقال في آخره : فطفئت نارهم ، وهزمهم الله تبارك وتعالى . اهـ كما في ترغيب المنذري .

مصير عالم الجن يوم القيامة

أجمع العلماء على أن كفّار الجنّ هم في النار يوم القيامة، لورود ذلك بنصّ الآيات القرآنية . قال تعالى : ﴿ ولكنْ حقّ القول مني لأملأنّ جهنّم من الجِنّة والناس أجمعين ﴾ وقال تعالى : ﴿ قال ادخلوا في أمم قد خلَتْ من قبلكم من الجنّ والانس في النار ﴾ . وقال تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنّم كثيراً من الجن والانس ﴾ وقال تعالى : ﴿ فكُبْكِبوا فيها هم والغاوون . وجنودُ إبليس أجمعون ﴾ وقال تعالى إخباراً عن الجن ﴿ وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون . فمن أسلم فأولئك تحرّوا رشداً . وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ﴾ .

وهذه الآيات تدل على أن الجن مكلّفون بالشرائع التي جاءت بها الرسل ، ووجوب اتباعهم لهم ، وقد تقدم الكلام على عموم بعثة سيدنا محمد ﷺ إلى كافة الجن، كما عمّت كافة الانس، وأنه يجب على الجن طاعته ﷺ كما يجب على الانس .

فان قيل : إن الجن خلقوا من نار، فماذا تؤثِّر فيهم نار الشهاب في الدنيا ونار العذاب في الآخرة ؟

فقد أجاب المحققون عن ذلك بأنه لايلزم إذا كان الجن خُلقوا من نارٍ أن يكونوا ناراً ، أو أن النار لاتؤلمهم ، فان الانس خلقوا

من تراب ، ولكنهم ليسوا ترابا ، بل أنشأهم الله تعالى وطوّرهم وصوّرهم ، ولو أن إنسياً أُهيل عليه التراب أو هُدِم عليه بيت من التراب لاستغاث من الأوجاع والآلام ، وهكذا الجن خلقوا من نار ولكنهم ليسوا بنار ، بل أنشأهم الله تعالى وطوّرهم وصوّرهم ، وإن النار تؤلمهم وتحرقهم .

وأما حكم مؤمني الجن في الدار الآخرة : فالجماهير على أنهم في الجنة ، وذهبت طائفة من العلماء إلى أن ثواب المؤمنين منهم هو نجاتُهم من النار ، ثم يكونون ترابا ، أو يبقون على الأعراف .

واستدلوا على ذلك بقوله تعالى إخباراً عنهم : ﴿ يا قومنا أجيبوا داعيَ الله وآمنوا به ، يغفر لكم من ذنوبكم ويجرْكم من عذاب أليم ﴾. فجعل غاية ثوابهم إجارَتهم من العذاب الأليم .

وقد استدلّ الجماهير على أن كافر الجن في النار بقوله تعالى : ﴿ يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي ﴾ ففي هذا دليل على أن الله تعالى أرسل الرسل صلوات الله عليهم إلى الانس والجن ، والرسل إنما جاءوا مبشِّرين ومنذرين ، كما قال تعالى ﴿ رسلاً مبشِّرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ وقد ترجم البخاري على ذلك في صحيحه فقال : باب ذكر الجن وثوابهم وعقابهم ، لقوله تعالى : ﴿يا معشر الجن والإنس ألم

يأتكم رسل منكم يقصُّون عليكم آياتي .﴾ الآية . بخساً : نقصاً . قال مجاهد : ﴿ وجعلوا بينه وبين الجِنَّة نسباً﴾. قال كفار قريش : الملائكة بنات الله ، وأمهاتهم بناتُ سَرَوات الجنّ . قال الله تعالى ﴿ ولقد علمتِ الجِنَّة إنهم لمحضرون ﴾ سيُحضرون للحساب . ثم أورد حديث أبي سعيد بالسند المتصل : « إذا كنتَ في غنمك وباديتك فأذَّنتَ بالصلاة ، فارفع صوتك بالنداء ، فانه لا يسمع مدى صوت المؤذِّن جنٌّ ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يومَ القيامة » قال أبو سعيد : سمعتُه من رسول الله ﷺ . اه .

وقال تعالى إخباراً عن الجن ﴿ وأنَّا لمَّا سمعنا الهدى آمنا به ، فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رَهَقاً ﴾ . فالبخس هو النقص ، والرهق هو الظلم . فالبخس المنفي هو نقصان الثواب ، والرهق المنفي هو الظلم والزيادة في العقوبة على الإساءة ، فهو سبحانه لا ينقص من ثواب محسنهم ، ولا يزيد في سيئات مسيئهم . وهذا نظير قوله تعالى ﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولاهضماً ﴾. وبذلك استدل البخاري على ثواب الجن المؤمنين .

وقال تعالى في سورة الرحمن ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنّتان . فبأيِّ آلاء ربكما تكذِّبان ﴾ . فهذه الآيات تتناول صنفي الجن والإنس ، بدليل أن « مَن » عامَّة ، وبدليل قوله ﴿ فبأي آلاء ربكما

تكذبان ﴾ فانه خطاب للانس والجن . وقد نقل عن الامام مالك أنه استدل بذلك على ثواب مؤمني الجنّ .

وقال تعالى ﴿ فيهنّ قاصرات الطّرْف لم يطمثْهنَّ إنس قبلهم ولا جانّ . فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ . وقال تعالى : ﴿ حورٌ مقصورات في الخيام . فبأي آلاء ربكما تكذبان . لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جانّ . فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ . فهذا مما يدل على أن مؤمني الجن في الجنة .

هذا وقد أجملنا البحث حول عالَم الجنّ ، وذكرنا بعض ما فيه الكفاية ، بعدما فصّلنا الكلام على عالَم الملائكة عليهم السلام .

والله تعالى نسأل ، وبرسوله الأكرم ﷺ نتوسّل ، أن يدخلنا في زمرة عباده الذين قال فيهم : ﴿ أولئك الذين نتقبّل عنهم أحسن ماعملوا ، ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنّة ، وعْد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴾ .

وصلى الله على سيدنا وشفيعنا محمد ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ، عددَ خلق الله تعالى ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته ، وسبحان ربك رب العزّة عمّا يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

وكان الفراغ من تدوين هذا الكتاب يوم الاثنين الموافق ١٢ من شهر صفر ١٣٩٢ هـ .

الفهرس

الخطأ والصواب

ص	س			
٢٠	٤	والجان من قبل	والجان خلقناه من قبل	
٢٦	١٥	وعيت منه	وعيت عنه	
٤٨	١٢	حتى يدخلون	حتى يدخلوا	
٥٥	١٢	من تعالى الله	من الله تعالى	
٦٤	٣	فيخلق عيسى	فيُخلَق عيسى	
٧٠	١٢	الذي جئتم	الذي جئتهم	
٧٥	١٤	والذين آمنوا	والذين آمنوا معه	
٨٤	٥	رآيت	رأيت	
١٠٨	١٣	في أحسن صفته	في أحسن صفة	
١١٧	١٥	عليه السلام	عليها السلام	x
١٩٩	٦	أحبائكم	أحبابُكم	x
٢١٩	٢	مثل أو قريبَ	مثل أو قريباً	
٢٤٠	٧	قد مضت	قد خلت	